

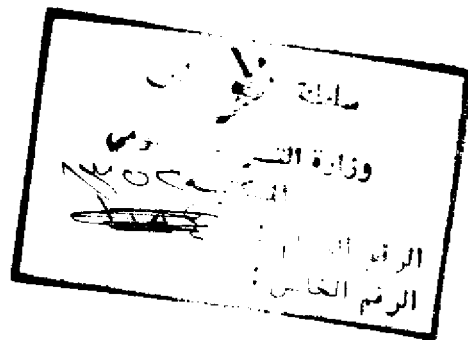
سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

قناطر الخيرات

تأليف الإمام القدوة العلامة
أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي

الجزء الثاني

١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م



٢

عدد	هذه فهرست الجزء الثانى من كتاب قناطر الخيرات
٢	القنطرة الخامسة فى الزكاة المشروعة فى الاموال وفيها
٤	خمسة ابواب * (الباب الاول) * فى فضل الزكاة ووعيدها
١٠	الباب الثانى فى انواع الزكاة الستة واسباب الوجوب
١٠	النوع الاول زكاة النعم وبيان شروط المال الاربعة
١٣	النوع الثانى زكاة المعشرات
١٣	النوع الثالث زكاة النقدين وهما الذهب والفضة
١٥	النوع الرابع زكاة التجارة
١٥	النوع الخامس فى الركاز والمعادن
١٦	النوع السادس فى زكاة الفطر
١٧	الباب الثالث فى الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة
١٧	وما يجب على مؤدى الزكاة مراعاته من الوظائف العشرة
٢٨	ذكر الصفات التى تراعى فى الفقراء وهى ستة صفات
٣٢	الباب الرابع فى القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه
٣٣	ذكر الاصناف الثمانية
٣٤	بيان الخصال الاربعة التى يراعيها اخذ الزكاة
٣٨	الباب الخامس فى صدقة التطوع وفضلها واداب اخذها
...	واعطاءها وفيه ثلاثة فصول
[illegible]	[illegible]

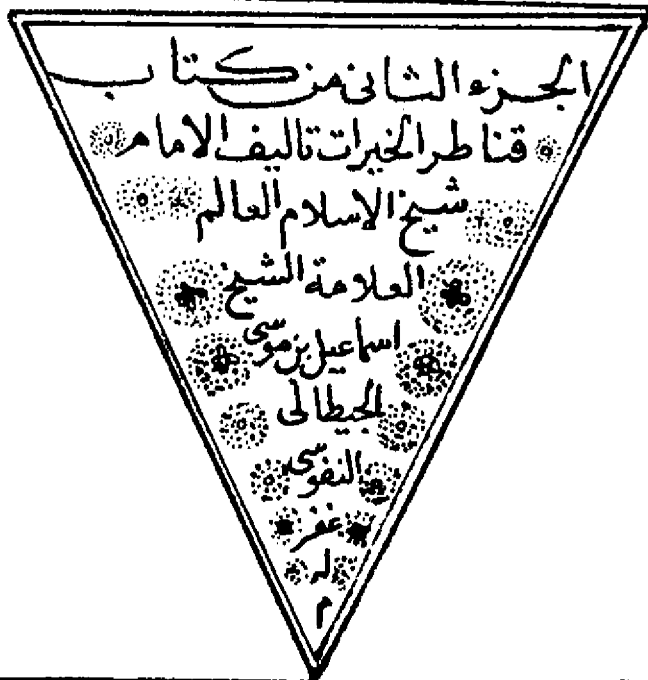
صحيفة

تمت الفهرست بحمد الله وعونه وحسن توفيقه *

* وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه *

وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

م م م



الجزء الثاني من كتاب
قناطر الخيرات تاليف الامام
شيخ الاسلام العالم
العلامة الشيخ
اسماعيل بن موسى
الجيطالي
النفوسي
غفر
له
٢



(القنطرة الخامسة فى الزكاة المشروعة)

(فى الاموال منقولة من كتاب الغزالى وغيره)

الحمد لله الغنى الحميد الواسع المجيد المبدئ المعيد ذى البطش الشديد الفعال لما يريد احمده حمدا استوجب به من نعمه المزيد واصلى على رسوله صلاة ارجو بها من الله العون والتاييد والعصمة والتسديد

(اما بعد) فان الله تعالى شرع الزكاة فى الاموال بعد فروض الابدان وجعلها حقا واجبا للفقراء فى اموال الاغنياء حكمة الف بها بين قلوبهم لتبعثها على التعاون فى ادراك مطلوبهم ونيل محبوبهم لان الراجى لغيره هائب لـه وصول والمرجو ما لديه مهيب موصول اذ لو انقطعت رغبة الفقراء من ذوى الاموال لسقطت بذلك من قلوبهم هيبة الاجلال فيفضى ذلك الى التقاطع والتدابر

وا

والتباغض والتنافر فيؤول ذلك الى خراب الدنيا وانقطاع سكانها
فكان في ايجاب الله تعالى الزكاة مواساة للفقراء ومعونة
لذوي الحاجات والضعفاء تكفهم عن البغضاء والتقاطع
وتبعثهم على التواصل والتراجع مع ما في ادائها من تمرين
النفس على السماحة والبذل ومجانبة الشح والبخل لان
السماحة تبعث على اداء الحقوق والشح يصد عنها ويهيج
بين الناس القطيعة والعقوق فامتحن الله تعالى عباده
حين آمنوا به وصدقوه وادعوا محبته وعبدوه فامرهم ان
ينفقوا اموالهم المحبوبة عندهم فيكون ذلك تصديقا لدعواهم
محبته وايثارا منهم له على ما سواه لانه انما تمتحن درجة الحب
بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم
بالدنيا وبها يانسون اليها وينفرون من الموت
لاجلها وان كان في الموت لقاء محبوبهم فقال تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاستنزلهم
عن المال الذي هو معشوقهم وعن النفس التي
هي غاية محبوبهم فقال تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى
لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون اذ فيه
ذريعة الى تواصل الخلق واتصاف للانسان
بالسخاء الذي هو اكرم اوصاف النفس وتطهير القلب
من درن الذنوب ومنزاة للمال وحصن حصين من الاهوال
قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الآية

فانزل الله تعالى فرض الزكاة فى المدينة مجملا فبين النبى عليه
الصلاة والسلام حدودها وانواعها ورسم اسباب
وجوبها واجناسها ونحن ان شاء الله تعالى نكشف عن اسرارها
الخفية وشروطها الجلية مع الاقتصار على ما لا يستغنى
عن معرفتها مؤدى الزكاة وقابضها وينحصر ذلك فى خمسة
ابواب الاول فى فضل الزكاة ووعيد تاركها الثانى
فى انواع الزكاة واسباب وجوبها الثالث فى ادائها
وشروطها الباطنة والظاهرة الرابع فى قابضها
وشروط استحقاقه وآداب قبضه الخامس فى صدقة
التطوع وفضيلتها وآداب اخذها واعطائها ونشرح هذه
الابواب ان شاء الله تعالى على الترتيب *(الباب الاول)* فى فضل
الزكاة ووعيدها اعلم ان الزكاة قنطرة الاسلام وطهارة
للعبد من الآثام قرن الله سبحانه وتعالى فرضها بالصلاة
وافردهما بالذكر عن سائر الخيرات تنبيها على انهما من اعظم
القربات فقال تعالى مخبرا عن فضله بالرسل عليهم من الله
الصلوات واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء
الزكاة وقال تعالى اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا
الله قرضا حسنا الآية وروى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا امراضكم
بالصدقة واستدفعوا انواع البلايا بالدعاء وعنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ما انتقص مال من صدقة وما
تواضع عبد الا رفعه الله تعالى وما عفا عبد عن مظلمة
الا زاده الله تعالى بها عزا وعنه عليه الصلاة والسلام

انه قال الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك وعنه عليه السلام انه قال من ادى زكاة ماله واقرا الضيف وادى الامانة فقد وقى شح نفسه وقال عليه السلام فى بعض خطبه ايها الناس لا نبى بعدى ولا امة بعدكم فاعبدوا الله ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاتكم طيبة بها انفسكم وحجوا بيت ربكم واطيعوا ولات امور كم تدخلوا جنة ربكم وعنه عليه السلام انه قال ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى من اموالكم وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ما قصر احد فى الزكاة والحج الا سال الله تعالى الكرة قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين فقيل لابن عباس اتق الله فانا نرى هذا فى الكافر يعنى المشرك فاحتج ابن عباس باول الاية ثم قال هذه الاية اشد شئ على اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا والتاخير فيها احد له عند الله خير فى الآخرة وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مانع الزكاة يقتل قال الربيع قال ابو عبيدة ذلك اذا منعها من امام يستحق اخذها وقال الله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وعن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال لما قالت العرب اما الصلاة فنصلى واما الزكاة فلا تجعل فى اموالنا شركاء فقال ابو بكر والذى نفسى بيده لا قاتلن من فرق

بين الصلاة والزكاة ولو منعوا مني عقالا مما كانوا يؤدونه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه حتى الحق بالله وعن
ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلاة لمانع الزكاة قالها
ثلاثا والمتعدي فيها كمانعها ومن طريق انس عنه عليه السلام انه قال
مانع الزكاة في النار ومن طريق عائشة عنه عليه السلام انه قال
لا تخالط الصدقة مالا الا اهلكته وقال الله تعالى وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقال تعالى ويمنعون
الماعون قيل انه الزكاة في بعض الاقوال ولذلك توجه
الوعيد على من منعه وقال بعض العلماء الزكاة مال يؤدي
الى النار قيل معناه في ذلك من اخذها كما لا تحل له ومن
اعطاها لمن لا يستحقها ومن منعها من المستحقين لها
فهم جميعا في النار وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ما نقض قوم العهد الا ابتلاهم الله تعالى بالقتل ولا منع
قوم الزكاة الا منع الله عنهم القطر ولا ظهرت فاحشة الزنا
في قوم الا سلط الله عليهم الطاعون قال الله تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الى قوله فذوقوا
ما كنتم تكنزون قال اهل التفسير هذه الاية نزلت في مانع
الزكاة من اهل القبلة روى هذا عن ابن عمر وقال كل
مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين
وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض وروى
عن ابن عباس والضحاك والسدي مثله وعن سعيد

ابن المسيب ان رجلا باع ارضا له فقال له عمر رضى الله عنه احرز مالك الذى اخذت احفر له تحت فراش امراتك فقال يا امير المؤمنين اليس بكنز فقال ما اديت زكاته فليس بكنز وعن جابر بن عبد الله انه قال اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وقال بعضهم كل ما فضل عن حاجتك فهو كنز روى هذا عن عبد الواحد بن زيد واستدل اصحاب هذا القول بما روى عن ثوبان انه قال لما انزلت هذه الاية قال النبى عليه السلام تبا للذهب تبا للفضة يقولها ثلاثا فشق ذلك على اصحاب النبى عليه السلام فقال المهاجرون فاى المال نتخذ فسال عمر رحمه الله النبى عن ذلك فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه وعن ابى ذر رحمه الله انه قال اتيت النبى عليه السلام وهو فى ظل الكعبة فلما رآنى قد اقبلت قال هم الاخسرون ورب الكعبة مرتين قال قلت من هم فداك ابى وامى قال الاكثرون الا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وخلفه وقليل ما هم وعن ابى هريرة وابى ذر قالا كل صفراء وبيضاء اوكا عليها صاحبها فهى كنز حتى يفرقها وعن ابى ذر ايضا قال من ترك صفراء او بيضاء كوى بها يوم القيامة وعن ابى هريرة انه قال من ترك عشرة آلاف درهم جعلت صفايح يعذب بها صاحبها يوم القيامة قبل القضاء وعن النبى عليه السلام انه قال من ترك صفراء او بيضاء كوى بها وعن ابى امامة قال مات رجل من اهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال النبى عليه السلام كية ثم توفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال النبى عليه السلام كيتان وعن على بن

ابي طالب قال كل ما زاد على اربعة آلاف درهم فهو كنز اديت
زكاته اولم تؤد وما دونها نفقة وعن ابن مسعود رحمه الله
انه قال والله الذي لا اله الا هو ما من رجل يكوى
بكنز فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع
جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدة وعن الاحنف بن
قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة من ملاء قريش
اذ جاء رجل اخشن الثياب احسن الوجه فقال بشر الكنازين
برضيف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم
حتى يخرج من نقض كتفيه ويوضع على نقض كتفيه حتى
يخرج من حلمة ثدييه ويقال له ذق كنزك فتكوى الجباه
والجنوب والظهور حتى يلتقي الحر في اجوافهم قال فوضع القوم
رؤسهم فما رايت احدا منهم رجع اليه شيئا ثم ادبر فاتبعته
حتى بلغ الى سارية فقلت ما رايت هؤلاء الا كرهوا ما قلت
لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا فاذا هو ابو ذر رحمه
الله واولى الاقاويل بالصواب ان شاء الله القول الاول
لان الوعيد وارد في منع الزكاة لا في جمع المال
الحلال يدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ادى زكاة ماله فقد ادى الحق الذي عليه ومن
زاد فهو خير له وقال نعما بالمال الصالح للرجل الصالح وقد
اختلف العلماء في حكم الآية وفيمن نزلت فروى عن ابن عمر
انه قال انما كان هذا قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها
الله تعالى طهارة للاموال وعن ابن عباس رحمه الله انه
قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة الآية

كبر ذلك على المسلمين فقالوا ماندع لاولادنا قال عمر انا
افرج عنكم فقال يانبى الله انه كبر على اصحابك هذه الاية
فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها مابقى
من اموالكم وانما فرض المواريث فى اموال من يبقى بعدكم
ثم قال الا اخبركم بخير مايكنز المرء المراة الصالحة اذا نظر
اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته
وقال بعض الصحابة هى فى اهل الكتاب وفى المسلمين
من كسب مالا حلالا فلم يعط حق الله منه كان كنزا وان قل
كان على وجه الارض او فى بطنها وما اعطي حق الله منه
لم يكن كنزا ولو كان كثيرا مدفونا فى الارض وعن ابى ذر
رحمه الله تعالى قال اختلفت انا ومعاوية بالشام فقال
معاوية نزلت فى اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم
وقال بعضهم نزلت فى مانع الزكاة خاصة وهو اولى
الاقاويل لما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مامن صاحب كنز لايودى زكاته الا حمي
عليه فى نار جهنم فيجعل صفايح فيكوى بها جبينه وجنباه
حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين الف
سنة مما تعدون ومامن صاحب ابل لايودى زكاتها
الا بطح لها يوم القيامة بقاع قرقر اوفر ماكانت تسير
عليه كلما مضت عليه اخراها ردت عليه اولاها حتى
يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين الف
سنة ومامن صاحب غنم لايودى زكاتها الا بطح لها
بقاع قرقرا وفر ماكانت فتطاه باظلافها وتنطحه

بقرونها ليس فيها عقصا ولا جلحا كلما مضت عليه اخراها
ردت عليه اولاها حتى يقضي الله تعالى بين خلقه في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة مما تعدون قال الراوي فلا
ادري اذكر البقر ام لا وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول من ترك بعده مالا ولم يزكه مثل له يوم القيامة شجاعا
اقرع له زبيبتان يتبعه يقول له ويلك ما انت فيقول
انا كنزك الذي تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلتقم
يده فيقضمها ثم يلتمس سائر جسده والله تعالى اعلم

الباب الثاني في انواع الزكاة واسباب الوجوب

اعلم ان الزكاة باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكاة النعم
والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة
المعشرات وزكاة الفطر النوع الاول زكاة النعم
اعلم ان الزكاة لا تجب الا على الموحدين بلغا كانوا او اطفالا
عقلاء او مجانين لقول النبي عليه السلام امرت ان
اخذها من اغنيائكم واردها في فقرائكم فعم بالكاف
والميم جميع اغنياء المسلمين ولا تؤخذ من اغنياء المشركين
كما لا تدفع الى فقرائهم لان الزكاة لا تطهرهم ماداموا
على شركهم وانما تؤخذ من المسلمين الذين تكون الزكاة
طهارة لهم كما قال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم الاية هذا شرط من عليه الزكاة واما المال فشروطه
اربعة وهي ان يكون المال نعما باقيا حولا ونصابا كاملا
مملوكا على الكمال الاول كونه نعما فلا زكوة الا في الانعام
وهي الابل والبقر والضان والمعز واما الخيل والبغال

والحمير والمتولد من الظباً بالغنم فلا زكاة فيها واختلف في السوم هل هو شرط في الزكاة او لا فقال قوم لا زكاة الا في السايمة دون المعلوفة وقال قوم بل هي في الجميع الثاني الحول لقول النبي عليه السلام لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ثم هذا انتاج المال فانه ينسحب عليها حكم المال فتجب الزكاة فيها بحلول الاصول ومهما باع المال قبل حلول الحلول او وهبه انقطع الحول الثالث كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لانه هو الذي حجر على نفسه فيها التصرف ولا تجب في المال الضال والمغصوب الا اذا عاد اليه فتجب زكاة ما مضى عوده والله تعالى اعلم الرابع كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضان وهي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع وفي خمس وعشرين بنت مخاض من الابل وهي الداخلة في السنة الثانية فان لم تكن في المال فابن لبون ذكر وهو الداخل في السنة الثالثة يدفعه في الزكاة وان كان قادرا على شرا بنت مخاض وفي ست وثلاثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة ثم في احدى وستين جذعة وهي التي في السنة الخامسة ثم في تمام ست وسبعين بنتا لبون ثم في احدى وتسعين حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل

ويستثنى

اربعين بنت لبون والله تعالى اعلم واما البقر فهى عند
اصحابنا كالابل حذو النعل بالنعل فى الاربع والعشرين من البقر
وما دونها فى كل خمس شاة من المعز وفى خمس وعشرين
حولية نظيرة بنت مخاض والثنية من البقر مكان بنت لبون
من الابل فاذا زادت على مائة وعشرين ففى كل خمسين رباعية
وفى كل اربعين ثنية هذا عند اصحابنا فى البقر واما غيرهم
من اهل الخلاف فلا شئ فى البقر حتى تبلغ ثلاثين ثم فيها تبيع
وهو الذى فى السنة الثانية ثم فى اربعين مسنة وهى التى
فى السنة الثالثة ثم فى الستين تبيعان واستقر الحساب عندهم
بعد ذلك ففى كل اربعين مسنة وفى كل ثلاثين تبيع والله تعالى
اعلم واما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة
جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شئ فيها حتى تبلغ
مائة واحدى وعشرين ففيها شاتان حتى تبلغ مائتين واحدى
ففيها ثلاثة شياه الى اربع مائة ففيها اربع شياه ثم استقر
الحساب فى كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك
الواحد فى النصاب فاذا كان بين رجلين اربعين من الغنم
ففيها شاة وان كان بين ثلاثة نفر مائة وعشرون شاة ففيها
شاة واحدة على جميعهم حتى تكمل مائة واحدى وعشرين ففيها
شاتان على قدر حصصهم وكذلك غير الغنم من الابل والبقر
يستتم الشريك فيها بنصيب شريكه فى الاصل والنصاب ويحمل
الضان على المعز والبقر على الجواميس والابل على البخت
وتوخذ الزكاة من اوسط المال ويتم بالسخال والعجلان والفصلان
ولا يوخذ منهم ولا توخذ مريضة ولا هرمة ولا ذات عوار

والرابعة مكان الحقة والسديسة من البقر مكان الجذعة من الابل

ولا توخذ كرايم الاموال ولا الاكولة وهى المعلوفة ولا المخاض
وهى الحامل ولا الربا وهى التى تربى ولدها ولا غذاء المال
وهو الردى السيّ الغدا منه بل توخذ من الكرايم كريمة
ومن اللياملييمة والله تعالى اعلم النوع الثانى زكاة
المعشرات فيجب العشر فى البر والشعير والذرة والسلت
والتمر والزبيب اذا كان مما سقته السماء والعيون وان كان
مما سقى بالدوالى والنواضح فنصف العشر وتجب الزكاة
فيها بالادراك وكمال النصاب فهو كمال خمسة اوساق وهى
ثلاثة ماية صاع بصاع النبى عليه السلام ويعتبر ان تكون
الاوسق تمرا او زبيبا وحبا يابسا لا رطبا ولا عنبا ولا فريكا
فان نقصت عن الثلاثماية فليس فيها زكاة ويحمل البر
على الشعير والسلت وهو جنس من الشعير وتوخذ الزكاة
من الجملة واما التمر والزبيب والذرة فتخرج من كل واحد
على حدة لانها اجناس مختلفة ويستتم الشريك فى جميع
الحبوب والثمار بنصيب شريكه وتوخذ الزكاة من كل
واحد على قدر حصته بعد اليبوسة والتنقية لا رطبا ولا عنبا
الا ان حلت بالاشجار افة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام
الادراك فقد اجاز بعض العلماء ان توخذ الزكاة من الرطب
فتكال تسعة للمالك وواحد للفقير قال ولا يمنع من هذه
القسمة قولهم ان القسمة بيع بل يرخص فى مثل هذا للحاجة
ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح فى الثمار وان يشتد الحب
ووقت الادا بعد الجفاف والله اعلم النوع الثالث زكاة
النقدين وهما الذهب والفضة فتجب الزكاة فى الذهب

المسكك اذا تم عشرون دينار الخالصا في ملك انسان
واحد وحال عليها الحول وكذلك غير المسكك من التبر
وغيره اعني المصوغ حليا تجب الزكاة فيه بتمام عشرين
مثقالا ذهبا خالصا فيخرج من العشرين دينارا نصف
دينار ومن العشرين مثقالا نصف مثقال ثم لا شئ
في الزيادة حتى تبلغ اربعة دنانير اواربع مثاقيل ثم فيها
عشر دينارا وعشر مثقال واما الفضة فاذا تم الحول
على مائتي درهما ووزنها بالوزن الشرعي ويقال انه وزن
مكة وهي نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهي ربع
العشر ومازاد ففي كل اربعين درهما درهم وان نقص
من نصاب الذهب او الفضة حبة فلا زكاة فيه وتجب على
من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها مقدار النصاب
من النقرة الخالصة ويضم الذهب الى الفضة وتخرج الزكاة
منهما ولا يستتم الشريك فيها بنصيب شريكه بل حتى
يتم النصاب في حصته وتجب في الحلي ومراكب الذهب
واواني الفضة وبالجملة في كل ما وقع عليه اسم الذهب
والفضة اذا تم فيه النصاب وتجب في الدين الذي
هو على ملئ اذا كان حالا وان كان موجلا فحتى يحل ويسقط
المزكي ما عليه من دين الذهب والفضة خاصة عند
اخراج الزكاة منهما خاصة دون ما سواهما من انواع الزكاة
والدرهم قيراطان والقيراط ثلاثون حبة هذا في كتب
اصحابنا وقد وجدت في اثار قومنا ان الدينار الشرعي فيه اثنتان
وسبعون حبة من حب الشعير وان الدرهم الشرعي

فيه من حب الشعير خمسون حبة وخمسا حبة والله
تعالى اعلم النوع الرابع زكاة التجارة وهى زكاة الذهب
والفضة وانما ينعقد الحول من وقت ملكه النقد الذى
به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا وان كان ناقصا
فتقوم البضاعة عند راس الحول فان كان فى قيمتها
مقدار النصاب اخرجت الزكاة منه والا فلا ويقوم
التاجر كلما معه من الامتعة والعروض والحب وغير
ذلك من جميع ما اشترى للتجارة قيمة وسطا وقبل
تقوم بسعر البلد فان كان ما اشترى به نقدا وكان
نصابا كاملا فلتقوم البضاعة المشتراة فانما زادت
القيمة على النصاب اخرج زكاة القيمة وان نقصت
على النصاب فليخرج زكاة النصاب المجعول فيها ومن نوا
التجارة فى مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى
به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول فليسود
زكاة تلك السنة وماكان من ربح فى السلعة فى أخر
الحول وجبت الزكاة فيها بحول راس المال ولم يستانف
له حول كما فى النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع حولها
بالمبادلة الجارية بينهم كساير التجارات وزكاة ربح مال
القراض على العامل وان كان قبل القسمة اذا تم النصاب
فى حصته والله تعالى اعلم النوع الخامس فى الركاز
والمعادن فالركاز دفين الجاهلية وقد اوجب النبى صلى
عليه وسلم فيه الخمس ويجوز اخذه فى كل زمان وسبيله
سبيل الغنيمة فكل من لا ياخذ الغنيمة فلا يجوز له اخذه

كالمشرك والمراة والعبد والطفل ولا يجوز اخذه الا بعلامة تبين انه للمشركين كالصليب والتمثال ونحوه وان وجد فيه علامة اهل التوحيد او لم يوجد فيه علامة اصلا فلا يا خذه وان وجد كنزا جاهليا اخرج خمسه ودفعه الى الامام وان لم يكن الامام فليدفعه لمن تدفع له الزكاة من الفقراء الاولياء واما معادن الذهب والفضة فعلى من اخرج منها شيئا زكاته وقد قيل في المعادن الخمس والله اعلم

النوع السادس في صدقة الفطر وهي فضيلة عند اصحابنا من اهل الجبل دون غيرهم من اهل المشرق وقد ثبت ان النبي عليه السلام فرض زكاة الفطر على كل نفس من المسلمين صاع من تمر او صاع من شعير حرا كان او عبدا ذكرا او انثى فظاهر هذا الخبر يقتضي الوجوب وثبت عنه ايضا في حديث الاعرابي المشهور وذكر الزكاة فقال هل غيرها فقال لا الا ان تطوع فذهب من قال انها فرض الى انها داخلة تحت الزكاة وذهب الغير الى انها غير داخلة والله تعالى اعلم وهي صاع بصاع النبي عليه الصلاة والسلام وهي زكاة الابدان يخرجها المرء عن من يمونه من اولاده الاطفال ومما ليكه وزوجته ولا تلزم من يتحمل من اجلها دينا ولكن يعطها من عنده فضل عن قوته هو وجميع من تلزمه نفقته يوم الفطر وليلته ويخرجها من جنس قوته او من افضل منه فان اقتات من الحنطة فلا يخرج من الشعير وان اقتات من حبوب مختلفة فليخرج من ايها احب ولا يخرج فطرة نفس واحدة

من جنسين وان كان يقتات من الثمار او اللحوم او البقول او الالبان فليخرج منها صاعا وافضل اوقاتها قبل صلاة العيد يوم الفطر وان لم يخرجها فى ذلك اليوم فهي فطرة الى يوم الاضحى ويخرجها عن جميع من زاد عنده من عياله مالم تطلع الشمس يوم الفطر ومن تلف من عياله قبل طلوع الشمس من يوم الفطر فليس عليه منه شيء وكل من جاز من اولاده البلغ لايجب عليه اخراجها عنه وكذلك المغصوب انه يودى عنه اذا طمع فى رجوعه اليه وعبيدا لتجارة ليس عليه من فطرتهم شيء وكذلك الزوجات مالم يخليهن ويخرج فطرة العبد المشترك كل من اشترك فيه على قدر حصصهم وان تبرعت الزوجة بالاخراج على نفسها اجزا ذلك زوجها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان كان عنده ما يودى عن بعض عياله دون بعض فليقدم فى الاخراج من كانت نفقته عليه آكد ويقال ان النبي عليه السلام قدم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم والله تعالى اعلم فهذا المقدار من المسائل الفقهية لابد للمسترشد من معرفتها وقد تعرض له نوازل خارجة عن هذا المقدار فليستفت عنها من يثق بعلمه وورعه من العلما عند نزولها والله تعالى اعلم الباب الثالث فى الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة اعلم انه يجب على مودى الزكاة مراعات عشر وظايف الاولى اعتقاد النية وهو ان ينوى عند الدفع اخراج زكاة الفريضة طاعة لله ولرسوله عليه السلام وليس عليه تعيين الاموال فى قول بعضهم

فان كان له مال غايب فقال هذا عن مالى الغايب ان كان سالما والا فهو نافلة فقد قيل انه جايز لانه لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولىّ والخليفة تقوم مقام نية المجنون والصبىّ فى اخراج زكاتها واذا وكل باداء الزكاة ونوى عند التوكيل فقد اجزاه وقد اجاز بعضهم ان وكل وكيله بعقد النية فاقام توكيله بالنية مقام نيته والله اعلم وقد وجدت فى كتاب تنسب فيه المسائل الى ابى عبيدة مسلم رحمه الله تعالى ذكر فيه فقال واذا حضر اخراج زكاة مالك من الذهب او الفضة او التجارة او الحرث او الماشية فاركع ركعتين وقل اللهم قنى شح نفسى واجعلنى من المفلحين تردد هذا مرات واخراج اطيب مالك واجوده فان الرب احق باطيب مال العبد قال واذا اردت تفريقها بنفسك فقل اللهم انك فرضت الزكاة وامرت باداها وجعلتها مقرونة بالصلاة اللهم ارزقنى اقامة الصلاة وايتا الزكوة وان اضعها مواضعها وسدد لى وارشد لى واهد لى وسلمنى من كل جبار فاسق وماكر مخادع واهد قلبى وبدلى لمواضعها كما الهمتنى اخراجها اللهم ان اصبت مواضعها تقبل ذلك منى وبارك لى فيه واجعله لى طهارة وزكاة ووسيلة اللهم وان اخطات مواضعها فلا تمتنى حتى ترزقنى اخراجها وان اضعها مواضعها انك علام الغيوب فانى لم اعتمد خلافك ولا خلاف رسولك فارشد لى ووفقنى ولا تدرنى فى عماى ولا تسلمنى الى هوى ولا تزين لى ضلالة ولا تعمنى على الهدى وارزقنى ما يرضيك كما رزقتنى ما يرضينى من سعة فضلك

فان ذلك من عطائك وفضلك ورزقك فبارك لى فى عطائك
وبارك لى فى فضلك وبارك لى فيما اعطيتنى واجعلنى
لانعمك من الشاكرين الثانية المبادرة الى اول وقت الامكان
قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم يعنى الى العمل
الذى تستوجبون به الغفران ومن اخر زكاة ماله مع التمكن
فقد عصى وقيل من فرط فيها مع التمكن حتى يدخل حول
فى حول انه هالك وقيل لا يهلك ما لم يمت مضيعا لها واما ان
تلف ماله بعد التمكن ومصادفة المستحق فلا تسقط عنه
الزكاة وفى اثر اصحابنا اذا عرف مقدار كيل ماله لزمته الزكاة
تلف ماله او لم يتلف والاول عندى احسن وهو لا تلزمه
الا بالتفريط فى اخراجها مع وجود مستحقها ويجوز تعجيل
الزكاة عن وقتها بشرط ان تقع بعد كمال النصاب وانعقاد
الحول اعنى يعجل زكاة عامين فى عام ثم ان عجل فمات المسكين
قبل تمام الحول او ارتد او صار غنيا او تلف مال المالك
او مات فالمدفوع الى المسكين ليس بزكاة واسترجاعه غير
ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فانه ينبغى ان يدركها
عليه والله اعلم الثالثة ان يقصد بها اهل الولاية الاتقياء
المعرضين عن الدنيا وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال
لا تاكل الا طعام تقى ولا ياكل طعامك الا تقى وهذا لان التقى
يستعين بها على التقوى فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك
اياه وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال اطعموا طعامكم
الاتقيا وولوا معروفكم الصالحين وفى لفظ آخر اضف بطعامك
من تحبه فى الله وفى كتاب الغزالى قال وكان بعض العلماء يؤثر

بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل فقال هولاء قوم هممهم الله سبحانه وتعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد منهم الى الله تعالى احب الي من ان اعطي الفا ممن همته الى الدنيا قال فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال بعض العلماء لا تعطى الزكاة الا المتولي ولا توخذ الا من متولا ولا يجوز ان تعطى لخمسة مشرك ومنافق وعبد وغني ومن تلزمه نفقته من الوالدين وولد غير بالغ وزوجة واشباههم فهولا لا تعطى لهم الزكاة والله تعالى اعلم الرابعة ان تعطيها لوجه الله تعالى خالصا لا لريا ولا طمعا من مخلوق وقال تعالى الذين ينفقون اموالهم رئاء الناس الاية ثم ضرب لذلك مثلا فقال فمثله كمثل صفوان عليه تراب الاية اعني ان الناس يرون في الظاهر للمرائي عملا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لانه لم يكن لله كما ذهب الوابل وهو المطر الغزير ما كان على الصفوان وهو الحجر الصلب الاملس من التراب فتركه صلدا اي اجرد لا شيء عليه فالواجب على الانسان ان يخلص عمله لله تعالى والا بطل قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الاية ويقال نزلت فيمن يتصدق يلتمس الاجر والثنا الخامسة ان ينفق من ماله اجوده واحبه اليه واطيبه في نفسه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون يعني لا تقصدوا الى الردي من اموالكم فتنفقوا منه ولو

اهدي اليكم ما قبلتوه الامع كراهية وحيا وفي الحديث
سبق درهم ماية الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان
من اطيب ماله راضيا فرحا باعطايه لله تعالى فيكون
ذلك الدرهم افضل من ماية الف مع كراهية او عدم
اخلاص قال الله تعالى مخبرا عن المنافقين لا يأتون الصلاة
الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ولذلك ذم
الله اقواما جعلوا لله ما يكرهون قال ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار
وقف بعض القرا على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدا فقال لا جرم ان
لهم النار وانهم مفرطون اى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون
النار لان الله تعالى جعل اهل السهام شركا رب المال في ماله
فكيف يمسك الجيد ولهم فيه حق ويعطي الردى واما ان
كان المال كله رديا فلا باس باعطا الردى الا ان يتطوع
وايضا فان امساك الجيد واخراج الردى لله تعالى من سو
الادب لانه ان امسك الجيد لنفسه ولاهله او لعبده فقد
اثر غير الله ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعامه
لأوغر صدره هذا ان كان نظره لله تعالى لا يريد منه عوضا
لنفسه واما ان كان نظره لنفسه وثواب الله تعالى في الاخرة
فليس بعاقل يوثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق
فامضى او اكل فافنا والذى ياكله قضا حاجته في الحال وليس
من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار لما يقوم
عليه في الاخرة السادسة ان يستصغر العطية فانه ان
استعظمها اعجب بها والعجب من مهلكات وهو محبط للاعمال

قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة
كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى والمعصية كلما استكبرت
صغرت عند الله تعالى ويقال لا يتم المعروف الا بثلاثة
تصغيره وتعجيله وستره والعجب والاستعظام يجرى
فى جميع العبادات ودواءه علم وعمل اما العلم فهو ان تعلم
ان العشر قليل من كثير وان الله تعالى قد قنع من عبده
باحسن درجات العطا والعبد جدير ان يستحيى من ذلك
فكيف يستعظمه وان ارتقى فى الدرجة العليا فى اعطاء
ماله كله او اكثر لله تعالى فليتأمل من اعطاه المال والى
ماذا يصرفه فالمال لله تعالى وله المنة عليه اذا اعطاه ووفقه
لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو من قلبه عزوجل
وان كان اعطاه الله تعالى ورجا ثواب الاخرة فكيف يستعظم
اعطاءما ينتظر عليه اضعافه عند الله تعالى كما قال وان
تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما واما العمل
فهو ان يعطيه عطا الخجل المستحيى من البخل بامساك بقية
ماله عن الله عزوجل فتكون هيئة الانكسار والحياء كهيئة
من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان
المال كله لله تعالى وبذل جميعه وهو الاحب عند الله
تعالى وانما لم يامر عبده بذلك لانه يشق عليه فيبخل كما قال
الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا السابعة الا يفسد
صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى واختلفوا فى حقيقة المن والاذى فقيل
المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال بعض السلف من

فى ربع العشر

فسدت صدقته فقيل كيف المن فقال ان تذكرها وتحدث
بها وقيل المن ان تستخدمه بالعطاء والاذى ان تعيره بالفقر
وقيل المن ان يتكبر عليه من اجل اعطائه والاذى ان ينتهره
او يوبخه بالمسئلة وقد قال عليه السلام لا يقبل الله صدقة
منان وفى كتاب الغزالى قال وعندى ان المن له اصل ومغرس
وهو من احوال القلب وصفاته ثم تتفرع عليه احوال
ظاهرة على اللسان والجوارح فاصله ان يرى نفسه محسنا
اليه ومنعما عليه وانما حقه ان يرى الفقير محسنا اليه
بقبول حق الله تعالى منه الذى هو طهارته ونجاته من النار
وانه لو لم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من
الفقير اذ جعل كفه نايبا عن الله عز وجل قبل ان تقع فى يد
السائل فليتحقق انه مسلم الى الله عز وجل حقه والفقير
اخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله تعالى
ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عبده او خادمه الذى
هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مودى الدين كون القابض
تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه المتكفل برزقه
واما هو فانما يقضى الدين الذى لزمه لاستبراء ذمته فهو
ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعانى
الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة واخذها لم ير
نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا لحب الله
تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل وشكرا على نعمة
المال طلبا للمزيد فكيف ما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير
حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما جعل هذا فرى فى نفسه

في قبض حقه اذ قال النبي عليه السلام ان الصدقة تقع
في يد الله عز وجل

انه محسن للفقير تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى
المنّ وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر
والدعا والحرمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق
والتقديم له فى المجالس والمتابعة فى الامور فهذه كلها ثمرات
المنّة ومعنى المنّة فى الباطن ما ذكرناه واما الاذى فظاهره
التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتغضيب الوجه وهتك
الستر بالاظهار وفنون الاستحقار وباطنه وهو منبعه
امران احدهما كراهية لرفع اليد عن المال وشدة ذلك
على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثانى
رويته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس
رتبة منه وكلاهما منشأة الجهل اما كراهية تسليم المال
فهو حمق لان من كره بذل درهم فى مقابلة ما يسوى الفا
فهو شديد الحمق ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا الله
تعالى وللثواب فى دار الاخرة وذلك اشرف من بذله
او يبذله لتطهير نفسه من رذيلة البخل وشكرا لطلب
المزيد وكيف ما كان فالكراهية لا وجه لها واما الثانى
فهو ايضا جهل لانه لو عرف فضل الفقر بل ينزله او يتمنى
درجته اذ فى الحديث ان صلحاء الاغنيا يدخلون الجنة بعد
الفقرا بخمسماية عام ولذلك قال عليه السلام هم الاخسرون
ورب الكعبة فقال ابو ذر ومن هم قال الاكثرون اموالا
الحديث ثم قال كيف يستخس الفقير وقد جعله الله تعالى
مسخرا له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد
فى حفظه لمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم للفقير قدر

حاجته

عطف على فضل الفقر وعرف خطر الاغنياء لما استخس

حاجته ويكف عنه الفاضل الذى يضره لو سلمه اليه
فالغنى مسخر للسعي فى رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد
المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت
فياكله اعداؤه فاذا انمحت الكراهية وتبدلت بالسرور
والفرح بتوفيق الله تعالى له فى اداء واجب الحق عليه
وتقييضه الفقير له حتى تخلص عنه عهدته وصار غنما لا
له من الذنوب لقبوله منه انتفا الاذى والتوبيخ وتقطيب
الوجه وتبدل بالاستبشار والثنا وقبول المنة فهذا
منشا المن والاذى فان قيل فرؤية نفسه فى درجة
المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف
بها انه لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له علامة دقيقة
واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية هل
كان يزيد استنكاره واستبعاده له على ما كان قبل التصدق
عليه فان زاد فان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه توقع
بسببها ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك والله اعلم فان قيل فهذا
امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه فما دواءه فاعلم ان
له دواء باطنا وظاهرا اما الباطن فالمعرفة فيها بالحقائق
التى ذكرناها فى فهم الوجوب وهى المعانى المتقدمة فيعلم
بها ان الفقير هو المحسن اليه فى تطهيره من الذنوب بالقبول
منه واما الظاهر فالاعمال التى يتعاطاها متقلد المنة
منها ما روى ان بعضهم كان يضع الصدقة بين يدى الفقير
ويتمثل قائما بين يديه يسئله قبولها منه حتى يكون هو
فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو ردها

عليه ومنها ماروى عن بعضهم انه كان يبسط كفه ليأخذ
الفقير منها فتكون يد الفقير هى العليا ويد المعطي هي السفلى
ومنها ماروى ان عائشة وام سلمة رضى الله عنهما اذا
ارسلنا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ مايدعو به
ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى
تخلص لنا صدقتنا فكانوا لايتوقعون الدعا منه لانه
شبه المكافاة فكانوا يقابلون الدعا بمثله وهكذا فعل
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابنه عبد الله فيما بلغنا
فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع
وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها
هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب
وهذه الشريطة من الزكاة تجري مجرى الخشوع من
الصلاة وثبت ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام لايقبل
الله صدقة منان وبقوله تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى وانما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته
منها دون هذا الشرط والله اعلم الثامنة ان يظهر
الصدقة حيث يعلم ان فى الاظهار ترغيبا للناس فى الاقتداء
ويحرس سره عن داعية الريا فقال تعالى ان تبدوا الصدقات
اى تظهروها فنعما هى اى نعمت الخصلة وان تخفوها اى
تسروها وتؤتوها اى تعطوها الفقراء فى السر فهو خير
لكم اى افضل وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن
صدقة السر افضل وفى التفسير قال اهل المعانى هذه

الاية فی صدقة التطوع لاجماع العلماء ان الزكاة المفروضة
اعلانها افضل كالصلاة المكتوبة فی الجماعة افضل من
افرادها وكذلك ساير الفرايض لمعنيين احدهما ليقتدی
به الناس والثانی لئلا يسوء به الظن ولا ريا فی الفرض
واما النوافل والفضائل فاخفاؤها افضل لبعدها
من الريا والافات فهكذا ينبغی لصاحب الزكاة ان
يبديها حيث يقتضی الحال الابداء للاقتداء ولازالة التهمة
وكذلك اذا سال السائل علی ملا من الناس فلا ينبغی له
ان يترك الصدقة خوفا من الريا فی الاظهار بل ينبغی ان
يتصدق ويحفظ سره عن الريا بقدر الامكان وهذا لان
فی الاظهار محذورا ثالثا سوی المن والريا وهو هتك
ستر الفقير فانه ربما يتاذی ان يری فی صورة المحتاج فمن
اظهر السوال فهو الذی هتك ستر نفسه فلا يحذر فيه
هذا المعنی فی اظهاره بالصدقة عليه وهذا كاظهار الفسق
علی من تستر به وتاب منه لان اشاعة الفسق عنه
واظهاره حرام محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره
منهی عنه فاما من اظهره بنفسه فاقامة الحد عليه اشاعة
ولكن هو السبب فيها ولمثل هذا المعنی قال عليه الصلاة
والسلام من القی جلباب الحيا فلا غيبة له وقد قال الله
تعالی وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندبه الی العلانية
لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التامل
فی وزن هذه الفائدة بالمحذور الذی فيها من الريا وحب
الشهرة مقصودة حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتهوين

والسمعة لانه اذا كانت الشهرة مع

لحب المال فى القلب فحب الشهرة لاجتلاب الجاه اشد
استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك
فى الاخرة وقد يقال صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم
المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب افعا من الافاعى
والانسان مامور بتضعيفهما من نفسه او قتلهما بدفع
اذاهما فهما قصد الريا والسمعة فكانه جعل بعض
اطراف العقرب قوة للحية فبقدر ما ضعف من العقرب
زاد فى قوة الحية ولو ترك الامر كما كان عليه من البخل
لكان اهون عليه وقوة هذه الصفات انما تضعف
بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاى
فائدة فى ان يخالف داعية البخل ويجيب داعية الرياء
فيضعف الادنى ويقوى الاقوى وليكن متيقظا
لهذه الغوايل ومتفطنا لما فى الاعلان من الفوائد فان
ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان
فى بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل والله تعالى
اعلم الناسعة ان يطلب بصدقته من فقراء اهل
الولاية من تزكوا به الصدقة فان عمومهم خصوصا
فليراع خصوص تلك الصفات وهى ست الصفة
الاولى ان يخص بصدقته الزهاد الاولياء المعرضين
عن الدنيا وفى كتاب الضيا قال ومن قصد بزكاته اهل
الفضل كان افضل له وكذلك قالوا من اعطى زكاته
ثقة ضوعفت له اربع وعشرون زكاة والثانية ان
يكون من اهل العلم او التعلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم

والتعلم لان العلم اشرف العبادات مهما صحت النية ولذلك
قيل من اكرم عالما فكانما اكرم سبعين نبيا ومن اطعم
متعلما فكانما اطعم سبعين شهيدا ويروى ان ابن
المبارك كان يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو
عممت فقال انى لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من
مقام العلما واذا اشتغل قلب احدهم بحاجة لم يتفرغ
للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل
الصفة الثالثة ان يكون صادقا فى التقوى والعلم بخفايا
التوحيد حتى انه اذا اخذ الصدقة حمد الله تعالى وشكره
وراى النعمة منه تعالى لا من خلقه وان الخلق وسايط
مسخرة مقهورة بتسليط الله تعالى عليه دواعى الفعل
وييسر له الاسباب فاعطا وهو مقهور وعن لقمان الحكيم
انه قال لابنه يابنى لا تجعل بينك وبين الله تعالى منعما وعد
نعمة غيره عليك مغرما فالصدقة على ذى يقين افضل وانفع
للمتصدق من ثنا غيره وشكره الذى يرى النعمة من العباد
لان شكره حركة لسان يقل فى الاكثر جدواه واعانة مثل
هذا المؤمن المتيقن لا يضيع واما الممدح بالعطا ويدعو
بالخير فقد يذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذاء فاحوالهما
متفاوتة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث
معروفا الى بعض الفقرا وقال للرسول احفظ ما يقول
فلما اخذه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من
شكره ثم قال اللهم لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا
لا ينساك فاخبر الرسول النبى عليه الصلاة والسلام

بذلك فسر وقال قد علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر
التفاته على الله تعالى وحده ويروى انه عليه الصلاة
والسلام قال لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب
الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله
وقيل لما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة اهل
الافك قال لها ابو بكر قومي فقبلي راس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله
وفي لفظ آخر قالت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك
فقال عليه السلام دعها يا ابا بكر فلم ينكر ذلك مع ان
الوحي وصل اليها على لسانه عليه الصلاة والسلام
ورؤية الاشياء من غير الله تعالى من اوصاف الكفار قال
الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
ومن لم يصف قلبه عن رؤية الوسايط الا من حيث
انهم وسايط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق
الله تعالى في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه
الصفة الرابعة ان يكون مستترا مخفيا حاجته
لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروة وممن
ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل
قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم
بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا اي لا يلحون بالسوال
لانهم اغنياء باليقين اعزة بصبرهم وهكذا ينبغي ان
يطلب اهل الدين ويستكشف عن بواطن احوال اهل

الخير والتجمل عن السوال بالصبر ليضاعف ما يدفع اليهم
من المعروف اضعاف ما يصرفه الى المهاجرين بالسوال
الصفة الخامسة ان يكون معيلا او محبوسا بمرض
او سبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
لانهم مقصوصون الجناح مقيدوا الاطراف فلهذه الاسباب
كان عمر رضي الله تعالى عنه فيما بلغنا يعطي اهل البيت القطيع
من الغنم العشرة فما فوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعطي
العطا على مقدار العيلة وسئل عمر عن جهد البلا فقال كثرة
العيال وقلة المال الصفة السادسة ان يكون من الاقارب
وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة وفي صلة الرحم
من الثواب ما لا يخفى وعن علي انه قال لان اصل اخا من
اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما
ولان اصله بعشرين احب الي من ان اتصدق بماية درهم
ولان اصله بماية درهم احب الي من ان اعتق رقبة والا
صدقا والاخوان في الدين ايضا يتقدمون على المعارف كما
يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهي
من الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي
ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات
فهي الذخيرة الكبرا والغنيمة العظما ومهما اجتهد في ذلك
واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد فان احد
اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتاكيد
حب الله تعالى في نفسه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات

التى تقوى فى قلبه فتشوقه الى لقاء الله تعالى والاجر
الثانى مايعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته
فان قلوب الابرار لها اثار فى الحال والمال فان اصاب
حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون الثانى
فهذا معنى تضاعف اجر المصيب فى الاجتهاد هاهنا
وفى سائر المواضع والله تعالى اعلم بالصواب العاشرة
من الوظايف المتقدمة الاينقل الصدقة من بلده الى
بلد آخر استحب ذلك اكثر العلماء روى ذلك عن طاوس
وعمر بن عبد العزيز والنخعى واكثر فقهاء الامصار وان
فرقها فى غير بلده فهو جائز فى قول اصحاب الراى وروى
عن عمر بن عبد العزيز انه رد زكاة اوتى بها من خرسان
الى الشام فردها الى خرسان واجاز بعضهم نقلها عن بلده
الى ذى قرابة روى ذلك عن الحسن والنخعى وفى اثر
اصحابنا عن ابى المؤثر وقد سئل فقيل له ارايت ان كان فى البلد
فقرا فساق من اهل الدعوة وفى غيره قريبا منه اهل
ولاية اتدفع الزكاة الى فساق الفقرا من اهل البلد ام
تنقل الى اهل الولاية فى غير البلد فقال الذى نرى ان
فقرا اهل الدعوة احق بها حتى يستغنوا ولو كانوا فساقا
ولا تدفع الى غيرهم وهم محتاجون والله تعالى اعلم الباب
الرابع فى القابض واسباب استحقاقه ووظايف قبضه
اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمى
ولا مطلبى اتصف بصفات الاصناف الثمانية المذكورين
فى كتاب الله تعالى ولا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد

من اهل البلد

ولا الى هاشمي او مطلبي واما الصبي والمجنون فيجوز
الصرف اليهما اذا قبض وليهما اذا كان ابواهما متوليين
عند اصحابنا فلنذكر من الاصناف الثمانية من مست
اليه الحاجة وهم الفقراء والمساكين الصنف الاول
الفقراء وفي كتاب الغزالي الفقير هو الذي ليس له مال
ولا قدرة له على الكسب قال فان كان معه قوت يومه
وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين قال فان قدر
على الكسب بآلة فهو فقير قال ولا يخرجه عن الفقر كونه
معتاد السؤال قال وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال
بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته قال وان
كان متعبدا يمنعه الكسب عن وظايف العبادات واوراد
الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى منه وقد روي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكسب فريضة بعد
الفريضة وعن عمر رضي الله عنه انه قال كسب في شبهة
خير من مسئلة وان كان مكتفيا بنفقة من يجب عليه
نفقته فليس بفقير الصنف الثاني المساكين والمسكين
هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو
مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا وهو غني والدويرة
التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه
اسم المسكين وكذلك اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه
وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه من المسكنة
وامثال هذه الحاجات لا تنحصر ولكن كل ما اتسع فيها
الانسان اقتحم خطر الشبهات في اخذ ذلك من الزكاة والمنع

يأخذ بالاحوط والله اعلم فحق على الفقير ان يعرف قدر نعمة
الله تعالى ويتحقق ان فضل الله عز وجل عليه فيما زواه
عنه افضل من فضله فيما اعطاه كما سيأتي ان شاء الله تعالى
وليراع في اخذ الصدقة اربع خصال احدها ان يتحقق
ان ما يأخذه من الزكاة انما اخذه من الله سبحانه رزقا
له وعونا على الطاعة حتى لا يمدح من اعطاه ولا يذم من
منعه ولتكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعة الله تعالى
وليصرف الفاضل عن حاجته الى اهله ان استغنى عنه
فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله تعالى
مستحقا للبعد والمقة من الله سبحانه والثانية ان
يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه
بحيث لا يخرج عن كونه واسطة ولكنه طريق لوصول
نعمة الله سبحانه اليه وللطريق جزء من الشكر من حيث
جعله الله تعالى طريقا وواسطة وذلك لا ينافي في رواية
النعمة من الله عز وجل فقد قال النبي عليه السلام من لم
يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل وقد اثنا الله عز وجل
على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وفاطر
القدرة عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه اواب الى غير
ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب
الابرار وزكا عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك
في ارواح الشهداء وهذا اذا كان صاحب الزكاة متولا واما
اذا كان غير متولا فليقتصر على دعاء الدنيا والله اعلم وقد
قال عليه السلام من اسدى اليكم معروفا فكافوه فان لم

تستطيعوا فادعوا له حتى ترا ان قد كافأتموه وقال تعالى
وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم اى ادع لهم ان دعوانك
مما تسكن اليه قلوبهم وقال عليه السلام اللهم صل على آل
ابى اوفى لما اتاه بزكاة ماله والله اعلم ومن تمام الشكر
ان يستر عيوب المعطى ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا
يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند غيره من
الناس ضيعته فوظيفة المعطى الاستصغار لما اعطاه
ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وكل ذلك
لا تناقض فيه اعنى التصغير والتعظيم لشئ واحد لان النافع
للمعطى ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه والاخذ
بالعكس وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل
فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان
يرى الواسطة اصلا والله اعلم الثالثة ان ينظر فيما ياخذه
فان ما يكن من حله تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن
الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من اموال العرب والاجناد
وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق
عليه الامر وكان ما يسلم اليه شبهة فله ان يأخذ بقدر الحاجة
فان فتوى الشرع فى مثل هذا ان يتصدق به وهذا اذا عجز عن
الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكاته اذ لا تقع زكاته عن مؤديه
وهو ربية او حرام لا يعرف له مالك معين لان الزكاة انما
تكون من الحلال واما الشبهة فليتصدق بها وليدع ما يوسه
الى ما لا يريبه والحرام الفرض عليه فيه التوبة من اخذه

والرد على صاحبه او التصدق به ان لم يعرفه والله اعلم الرابعة ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه فلا يأخذ الا المقدار المباح ولا يأخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذ بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وان كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل فان اعطى زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه فيمكن ان يبدل بما يكتفى به او يفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق لاخذ الزكاة وطرف آخر مقابل له يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد فى هذا على قول الاخذ ظاهرا وللمحتاج فى تقدير الحاجات مقامات فى التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجة الى فنون من التوسيع الذى هو ممقوت فى الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا يأخذن الا ما يتم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله عليه السلام ادخر لعياله

قوت سنة فهذا ما يرخص فيه للفقير والمسكين ولو اقتصر
على حاجة شهره او يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلماء
فى القدر الماخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن بالغ
فى التقليل اوجب الاقتصار على قوة يومه وليلته وتمسك
فيما ذكر فى كتاب الغزالى بما رواه سهل بن الحنضلية عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم غداءه وعشاءه وقال
آخرون ياخذ الى حد الغنا وحد الغنا نصاب الزكاة اذ لم يوجب
الله عز وجل الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان ياخذ
لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال قايلون
حد الغنا خمسون درهما لما روى عن ابن مسعود رضى الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من سال وله مال مغنيه
جاء يوم القيامة فى وجهه خموش فسئل وما غناه قال
خمسون درهما او عدلها من الذهب وقال قوم اربعون
لما روى عن عطا بن يسار منقطعا عنه صلى الله عليه وسلم
قال من سال وله اوقية فقد الحف فى السوال وبالغ آخرون
فى التوسيع فقالوا له ان ياخذ مقدار ما يشترى به ضيعة
فيستغنى بها طول عمره او يهيى بضاعة ليتجر فيها ويستغنى
لان هذا هو الغنا وقد قال النبى عليه السلام خير الصدقة
ما ابقت غنا وعن عمر رحمه الله انه قال اذا اعطيتم فاغنوا
حتى ذهب من افتقر فله ان ياخذ مقدار ما يعود به الى مثل
ماله ولو عشرة الاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال
ويروا ان ابا طلحة الانصارى لما اشغله بستانه عن الصلاة
قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم اجعله فى قرابتك

وهو خير لك فاعطاه حسّانا وابا قتادة فحايط من نخل لرجلين كثير مغن قال واما التقليل الى قوت اليوم والليلة والاقوية فذلك ورد فى كراهية السوال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم اخر بل التجويز الى ان يشترى ضيعة فيستغنى بها اقرب الى الاحتمال وهو مايل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءها فيه نظر وفيما دونها تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للمتورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه وسلم اذ الاثم حزاز القلوب واذا وجد القابض فى نفسه شيئا مما ياخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان للغنا قيودا ومطلقات من الضروريات وبين ذلك ريبات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الاخرة والله نسئله العون والتوفيق الباب الخامس فى صدقة التطوع وفضلها واداب اخذها واعطائها وهذا الباب يحتوى على ثلاثة فصول الاول فى فضيلة الصدقة والثانى فى بيان اخفائها واظهارها والثالث فى بيان الافضل من اخذ الزكاة او الصدقة الفصل الاول فى فضيلة الصدقة من الاخبار والاثار قال الله سبحانه انفقوا من طيبات ما كسبتم وقال تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الاية وقال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ويروا

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تصدقوا ولو
بشق تمرة تكنونه بها وجوهكم عن النار وفى لفظ اخر تصدقوا
ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء
النار وفى حديث اخر اتقوا النار ولو بشق تمرة وان لم
تجدوا فبكلمة طيبة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من
عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله
عز وجل الا الطيبا الا كان الله عز وجل يأخذها فيربيها كما يربي
احدكم فسيله حتى تبلغ الثمرة مثل احد وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لابى الدرداء اذا طبخت برمة
فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه
بمعروف وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما احسن
عبد الصدقة الا احسن الله عز وجل الخلافة على تركته
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الرجل فى ظل صدقته
يوم القيامة حتى يقضى بين الناس وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل وعنه صلى
الله عليه وسلم انه قال الصدقة تسد سبعين بابا من الشر
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما المعطى من سعة بافضل
اجرا من الذى يقبل من حاجة وفى كتاب الغزالى قال ولعل
المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون
مساويا بالمعطى الذى يقصد باعطائه عمارة دينه قال وسئل
عليه السلام اى الصدقة افضل قال ان تتصدق وانت صحيح
شحيح تامل البقا وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وعنه صلى الله

عليه وسلم انه قال يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان
عندي دينارا قال عليه السلام امسكه لنفسك قال ان
عندي اخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندي اخر
قال انفقه على ولدك قال ان عندي اخر قال انفقه على
خادمك قال ان عندي اخر قال له صلى الله عليه وسلم انت
ابصر به وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ردوا مذمة
السايل ولو بمثل راس الطاير من الطعام وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا سال سايل فلا تقطعوا عليه مسئلته
حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين وبذل يسير
او برد جميل فانه قد يأتيكم من ليس بانس ولا جان ينظرون
كيف صنعكم فيما خولكم الله عز وجل وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لو صدق السائل ما افلح من رده وعن عيسى
عليه السلام انه قال من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة
ذلك البيت سبعة ايام وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره
وكان يناول المسكين بيده وبلغنا والله اعلم ان الملائكة
ينزلون بالليل يسئلون فيتمثلون كبني ادم فياتون ابواب
الصالحين في صور السوال بالليل فاذا صعدوا الى السماء قالت
لهم الملائكة كيف وجدتم بني ادم في المعروف فيقولون
وجدنا فلانا سخيا كثير العطية فيقولون اللهم اغفر له اللهم
ارزقه وبارك له فيه وقنعه واذا قالوا وجدنا فلانا
شحيحا مناعا خشن القول قالوا اللهم اجعله وبلغنا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذي

ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسئلون الناس الحافا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله تعالى ما دامت عليه رقعة منه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الصدقة تقى مصارع السوء وتدفع ميتة السوء وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال نفقة الرجل على اهله صدقة وعنه عليه السلام انه قال ردوا السائل ولو بظلف محرق وعنه عليه السلام انه قال من اطعم مسلما تمرة اطعمه الله من ثمار الجنة ومن سقاه جرعة سقاه الله من الرحيق المختوم وعنه عليه السلام انه قال انما المسكين الذى لا يجد غنا يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسئل الناس وعنه عليه السلام انه قال من انفق زوجين نودى فى الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعى من باب الريان قال ابو بكر رضى الله عنه ما على من يدعا من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعا احد من هذه الابواب كلها قال عليه السلام نعم وارجو ان تكون انت منهم قال الربيع بن حبيب رحمه الله قوله انفق زوجين يعنى خفين او نعلين وما كان زوجين مثلها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان

تحابا فی الله اجتمعا وافترقا علی ذلك ورجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه بالدموع من خشية الله عز وجل ورجل
دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انی اخاف الله ورجل
تصدق بصدقة فاخفاها حتی لا تعلم شماله ما انفقت
يمينه وعنه عليه السلام انه قال المال الحلال رايح بصاحبه
الی الجنة ويقال لما نزلت هذه الاية من ذا الذی يقرض
الله قرضا حسنا الاية قال ابو الدحداح فداك ابی وامی
يارسول الله ان الله يستقرضنا وهو غنی عن القرض قال
نعم يريد ان يدخلكم الجنة قال فانی قد اقرضت ربی قرضا
يضمن لی به الجنة قال نعم من تصدق بصدقة فله مثلها
فی الجنة قال وزوجتی ام الدحداح معی قال نعم قال وصبيتی
الدحداحة قال نعم قال ناولنی يديك فناوله رسول
الله صلی الله عليه وسلم يده فقال ان لی حديقتين احداهما
بالسافلة والاخری بالعالية والله لا املك غيرهما جعلتهما
قرضا لله عز وجل فقال عليه السلام اجعل احداهما لله عز
وجل والاخری معيشة لك ولعيالك قال فاشهدك يارسول
الله انی جعلت خيرهما لله تعالی وهو حايط فيه ست مائة
نخلة قال اذا يجزيك الله به الجنة ثم قال كم من عذق ردلح
ودار فياح فی الجنة لابی الدحداح والله اعلم واما الاثار
فروی عن الضحاك فی هذه الاية مثل الذين ينفقون اموالهم
فی سبيل الله كمثل حبة الی قوله والله يضاعف لمن يشاء
فقال الضحاك من اخرج درهما من ماله ابتغاء مرضات الله
فله فی الدنيا بكل درهم سبع مائة درهم خلفا عاجلا والف

الف

الف درهم يوم القيامة وعن ابى هريرة قال كنا نحسب
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا نفقة الرجل
على نفسه ورفقائه وظهره فى الجهاد الفى الف وفى الحديث
صدقة السر تطفئ غضب الرب تعالى وتطفئ الخطيئة
كما يطفئ الماء النار وتدفع سبعين بابا من البلاء ويروى عن
عروة بن الزبير ان عائشة رضى الله عنها تصدقت بخمسين
الفا وان درعها لمرقع وعن مجاهد فى قوله تعالى ويطعمون
الطعام على حبه قال وهم يشتهونه ويروى ان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه كان يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا
لعلهم يعودون على اولى الحاجة منا وقال بعض العلماء الصلاة
تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة
تدخلك عليه وعن بعض السلف قال الصدقة تفك لحيى
سبعين شيطانا وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا
وعن ابن مسعود رحمه الله ان رجلا عبد الله تعالى سبعين
سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق
عليه برغيف فغفر الله عز وجل ذنبه ورد عليه عمل السبعين
سنة وعن لقمان الحكيم انه قال لابنه اذا اخطأت خطيئة
فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ فيما روى عنه لا اعرف
حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال بعض
العلماء كانوا يقولون ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض
وكتمان الصدقة وكتمان المصائب ويقال كتمان الفاقة ايضا
وقد روى فى الحديث مسندا عن عمر رضى الله عنه انه قال
ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكم وقد روى عن

النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال ان في الجنة قصرا من ياقوتة حمرا يرى ظاهره من باطنه قيل لمن هو يارسول الله قال لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وافشا السلام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قيل يارسول الله ومن يطيق هذا قال انتم قيل فكيف يارسول الله قال الستم تقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قالوا بلى يارسول الله قال هذا طيب الكلام قال الستم تنفقون عن اهليكم قالوا بلى يارسول الله قال هذا الطعام الطعام قال اوليس الرجل منكم يلقا اخاه فيسلم عليه قالوا بلى يارسول الله قال هذا افشاء السلام قال الستم تصومون شهر رمضان قالوا بلى يارسول الله قال هذا ادامت الصيام قال الستم تصلون العتمة قالوا بلى يارسول الله قال فانها صلاة كانت تشتغل على غيركم فهي صلاة بالليل والناس نيام والذي بعثني بالحق لا يلقى احد ربه بهذه الخمس الا دخل الجنة ويروى ان عبد الله بن عمر كان يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني احب السكر وعن النخعي انه قال اذا كان الشيء لله عز وجل لا يسوني ان يكون فيه عيب وعن عبيدة ابن عمير انه قال يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط فمن اطعم لله عز وجل اشبعه الله تعالى ومن سقا لله عز وجل سقاه الله تعالى ومن كسا لله عز وجل كساه الله تعالى وعن الحسن انه قال لو شاء الله عز وجل لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه

ابتلى بعضكم ببعض وعن الشعبى انه قال من لم ير بنفسه
الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد
ابطل صدقته وضرب بها وجهه وروى ان الحسن
مر به رجل معه جارية فقال اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين
قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضى فى الحور العين
بالفلس واللقمة والله اعلم وبه الحول والتوفيق

الفصل الثانى فى بيان اخفاء اخذ الصدقة واظهارها

اعلم ان طلاب الاخلاص والخلاص قد اختلفت طرقهم
فى ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال اخرون
الى ان الاظهار افضل وفى كتاب الغزالى قال ونحن نشير ان
شاء الله الى ما فى كل واحد من المعانى والافات ثم نكشف
الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان الاول
ابقاء للستر على الاخذ فان اخذه ظاهر هتك لستر المروة
وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون
المحبوب الذى يحسبهم به الجاهل اغنياء من التعفف
الثانى اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانه ربما يحسدون
او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغناء
وينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة
من كباير الذنوب فصيانتهم عن هذه الجرايم اولى قال
وقد روى عن ايوب السختيانى قال انى لا ترك لبس
الثوب الجديد خشية ان يحدث فى جيرانى حسد وعن
بعض الزهاد قال ربما تركت استعمال الشى لاجل اخوانى
يقولون من اين له هذا وعن ابراهيم التيمى انه رى عليه

قميص جديد فقال بعض اخوانه من اين لك قال كسانيه
اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته الثالث اعانة
المعطي عن اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطا
كبير وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
جعل الله عز وجل صدقة التطوع تفضل علانيتها بسبعين
ضعفا بخمس وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرايض
والنوافل فاعانة المتصدق على كتمان صدقته من تمام
اجرها والاعانة على تمام المعروف معروف والاتمام
لايتم الا باثنين فهما ظهر هذا انكشف امر المعطي قال
ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه
آخر شيئا في السر فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب
في اخفاء معروفه فقبلته وذلك اساء ادبه في عمله فرددته
عليه قال واعطا رجل بعض الصوفية شيئا في الملا فرده
فقال له لم ترد على الله عز وجل ما اعطاك فقال انك اشركت
غير الله سبحانه فيما كان لله ولم تقنع بعين الله عز وجل
فرددت عليك شركك قال وقبل بعض العارفين في السر
شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال انك
عصيت الله تعالى في الجهر فلم اكن عونا لك على المعصية
واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك وعن الثوري انه
قال لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت
صلته الرابع ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس
للمومن ان يذل نفسه ويقال كان بعض العلماء ياخذ في السر
ولا ياخذ في العلانية ويقول في اظهاره اذلال العلم

وصدقة الفريضة تفضل علانيتها ع

واستهانة اهله فما كنت بالذى ارفع شيئا من الدنيا بوضع
العلم واذلال اهله الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة
قال النبى عليه السلام من اهدىّ اليه هدية وعنده قوم
فهم شركاءه فيها وكونها ذهبا او ورقا لا يخرجها عن
اسم الهدية اذ قال عليه السلام افضل ما اهدا الرجل الى
اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية فانفراده
بما يعطاه فى الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلو عن
شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة والله اعلم واما
الاظهار للمعروف والتحدث به ففيه اربعة معان الاول
الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبس الحال بالرياء
الثانى اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة
والتبرع عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس
من اعين الخلق ويروى ان بعض العارفين قال لتلميذه
اظهر الاخذ على كل حال ان كنت اخذا فانك لا تخلو من
احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك
هو المراد ولانه هو اسلم لدينك واقل لافات نفسك
او رجل يزداد فى قلبه باظهارك الصدق فذلك الذى يريد
اخوك لانك تزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك
فتوجر اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف
لا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه سوا
فاختلاف الحال شرك فى التوحيد وقال بعضهم
كنا لا نعبو بدعاء من ياخذ فى السر ويرد فى العلانية
والالتفات الى الخلق حضروا او غابوا نقصان فى الحال بل

ينبغي ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد حكى ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريد فاعطا كل واحد منهم دجاجة فقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد منهم بذبح دجاجته الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فعلنا ما امرنا به الشيخ وقال ذلك المريد لم اقدر عليه فان الله تعالى يراني في كل موضع فقال الشيخ لمثل هذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله عز وجل الرابع ان الاظهار اقامت لسنة الشكر وقد قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران للنعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما اتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اذا انعم على عبده نعمة احب ان ترا عليه قال واعطا رجل بعض العارفين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الاخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت في الملا فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والشكر يقوم مقام المكافات قال عليه السلام من اسدا اليكم معروفا فكافوه فان لم تستطيعوا فاثنوا به خيرا حتى تعلموا ان قد كافيتموه وكما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا

المريدين فتشوقت الاخرين ذلك وارادوا ان تظهر لهم فضيلة ذلك على

واد عوهم

بالاجر كله قال عليه السلام كل ما شكرتم لهم ما اثنيتم
عليهم به انه مكافات فالان اذا عرفت هذه المعانى فاعلم
ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة
بل هو اختلاف حال يكشف الغطاء فى هذا لانا لا نحكم
حكما بتا بأن الاخفاء افضل فى كل حال او الاظهار افضل
بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف
الاحوال والاشخاص فينبغى ان يكون المخلص مراقبا لنفسه
حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر
الشيطان والمكر والخداع اغلب فى معانى الاخفاء منه
فى الاظهار مع ان له دخلا فى كل واحد منهما فاما مدخل
الخداع فى الاسرار من ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ
الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر
الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطى بعين المنعم المحسن
اليه فهذا هو الداء الدفين المستكن فى النفس والشيطان
بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة
المتقدمة التى ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد
وهو ان يكون تالمه بانكشاف اخذه للصدقة كتالمه
بانكشاف صدقة اخذها بعض اقاربه وامثاله فانه ان
كان يتقى صيانة النفس عن الغيبة والحسد وسوء الظن
او يتقى انهتاك الستر واعانة المعطى على الاسرار وصيانة
العلم على الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة
اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر
غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى اغاليط واباطيل

من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور لا من حيث انه تعرض لعرض مصون لا من حيث انه تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن ملاحظة هذا ربما نجى الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي واستحثات له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى اكرامه وتفقده وهذا داء دفين فى الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج هذا الخبث فى معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعانى التى ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده فى الباطن ماذكرناه ومعيار ذلك ومحكمه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهى الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب فى اعطائه وبين يدى جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون فى اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة فى الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصر على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذى مدح بين

من حيث انه علم زيد او عمرو والغيبة محذورة مع من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او عمرو والغيبة محذورة مع

يديه

يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما افلح مع انه صلى الله عليه وسلم يثنى على قوم فى وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال فى خبر اخر اذا جاء كم كريم قوم فاكرموه وقال حين سمع كلام بعضهم فعجبه ان من البيان لسحر وقال اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة فى الخير وعنه عليه السلام انه قال اذا مدح المومن ربى الايمان فى قلبه وعن الثورى انه قال من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقيل عنه انه قال ليوسف ابن اسباط اذا وليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكروا الا فلا تشكر فدقايق هذه المعانى ينبغى ان يلحظها من يراعى قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ويقال ان هذا من العلم الذى قيل فيه ان تعلم مسئلة واحدة افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل بهموت عبادة العمر وتتعطل على الجملة فالاخذ فى الملاء والرد فى السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغى ان يدفع بتزويقات اللسان الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرا والله اعلم

الفصل الثالث فى بيان الافضل من اخذ الزكاة او الصدقة

وفى كتاب الغزالى قال كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان فى اخذ

الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييق عليهم ولانه ربما لا يكمل
في اخذه الزكاة صفة الاستحقاق كما وصفنا في الكتاب
واما الصدقة فامرها اوسع وقال قائلون ياخذ الزكاة
دون الصدقة لانه اعانة على اداء الواجب قالوا ولو
ترك المساكين كلهم اخذ الزكاة لاثموا ولانه لامنة فيه
وانما هو حق واجب لله سبحانه رزقا للعباد والمحتاجين
ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا
واخذه الصدقة اخذ بالدين وان الغالب ان المتصدق
انما يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان موافقة المساكين
ادخل في الذل والمسكنة وابعد من التكبر اذ قد ياخذ
الانسان الصدقة في معرض الهدية وهذا تنصيص
على ذل الاخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان
هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره
من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق
فلا ينبغي ان يأخذ الزكاة واذا علم انه مستحق قطعا كما
اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه
في قضائه وهو صالح في نفسه فهو مستحق قطعا فاذا
خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فان كان صاحب
الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذ هو فليأخذ
الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها الى
مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع للمساكين وان
كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكاة تضييق
على المساكين فهو مخير والامر فيهما يتقارب واخذ الزكاة

اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال والله اعلم
مسئلة ومن الكتاب اجمع العلماء وهو مما ينسب الى
على بن احمد بن حزم من فقهاء قومنا قال واتفقوا ان
المسئلة حرام على كل قوى على الكسب او غنى الا من تحمل
حمالة او ساله سلطان مالا وما لا بد له منه قال واتفقوا
ان كسب القوت من الوجوه المباحة له او لعياله فرض اذا
قدر على ذلك قال واتفقوا ان المسئلة لمن هو فقير ولا
يقدر على الكسب بمقدار ما يقيم قوته مباحة واختلفوا
في مقدار الغنا الا ان انهم اتفقوا ان ما كان اقل من مقدار
قوة اليوم فليس غنا قال والذى يذهب اليه من ذلك ان
قوة اليوم فما زاد كفافا وان قوة العام فما زاد غنا ويسار
وان المسئلة لمن عنده قوت يوم حرام عليه وانها لمن
ليس عنده ذلك مباحة اذ لم يكن مكتسبا وانها فرض عليه
اذا خشى في تركها الموت هزلا وان اخذ الصدقة الواجبة
من الزكاة والكفارات مباح لمن ليس عنده قوة عامه له
ولعياله من نفقة وكسوة وسكنا لانه مسكين وان لم يكن
فقيرا وكان عنده كفاف قال وان اخذها حرام على من عنده
قوت عامه له ولعياله مما ذكرنا لانه غنى والله اعلم واحكم
وبه العون والتوفيق كملت قنطرة الزكاة واسرارها
بحمد الله تعالى تتلوها قنطرة اسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تسليما كثيرا
القنطرة السادسة قنطرة اسرار الحج

اعلم ان الله سبحانه فرض الحج على كل من استطاع اليه
سبيلا بعد استقرار سائر الفروض على الابدان والاموال
فكان فى سفر الحج تذكير لسفر الاخرة وما هنالك من
الاخطار والاهوال على ما سياتى شرح ذلك ان شاء
الله بالكمال فكان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه
عبادة العمر وختام الشرع بما يقتضيه وبه كمال الدين
وتمامه اذ فيه انزل الله سبحانه اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ويقال
فيه قال عليه السلام من وجب عليه الحج ولم يحج فليمت
يهوديا او نصرانيا فاعظم بعبادته يعدم الدين من اجلها
بالكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال
فجدير ان نصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها
وسننها وادابها وفضائلها واسرارها وانا ان شاء الله
انقل من كتاب الغزالى ومن كتاب روضة الحقائق جملتها
واجتنب ما خالفا فيه مذهب ائمتنا كما فعلت فيما مضى من
كتابنا وبالله عصمتنا وتوفيقنا اعلم ان ما ذكرناه من اسرار
الحج ينحصر ان شاء الله فى ثلاثة ابواب الباب الاول
فى فضائل الحج وفضائل مكة والبيت وفضيلة المقام بها
وفضل المدينة وشروط وجوب الحج الباب الثانى فى اعماله
الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر الى الرجوع الباب
الثالث فى ادابه الدقيقة واسراره الخفية واعماله
الباطنة الباب الاول ينحصر فى خمسة فصول الفصل الاول
فى فضائل الحج قال الله سبحانه واذن فى الناس بالحج يأتوك

وفق كتاب الغزالى مع

رجالا وعلى كل ضامر وعن قتادة قال لما امر الله عز وجل ابراهيم
صلى الله على نبينا وعليه ان يوذن فى الناس بالحج نادى
ايها الناس ان لله تعالى بيتنا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا
منافع لهم قيل التجارة فى الموسم والاجر فى الاخرة ويقال
انه لما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة
وقيل فى تفسير قول الله عز وجل لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ان بعضهم قال انه طريق مكة يقعد الشيطان
عليها ليمنع الناس منها وقال تعالى ولله على الناس حج البيت
فتوجه الخطاب بالحج على الناس كافة فعلم الله تعالى
العاجزين عنه فقال رحمة منه لهم من استطاع اليه
سبيلا فاوجبه على المستطيعين خاصة فاخبر النبى
عليه السلام بما اوجب الله تعالى من الثواب لمورد الحج على
حسب مايحبه ويرضاه فقال عليه السلام من حج هذا
البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه وقال عليه السلام من العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما
والحج المبرور ليس له ثواب الا الجنة ويقال ان من الذنوب
ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن
محمد الى رسول الله عليه السلام وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال من خرج من بيته حاجا ومعتمرا فما اجرى له اجر
الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات فى احد الحرمين
لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال عليه السلام
حجة مبرورة خير من الدنيا بما فيها وعنه عليه السلام انه
قال الحاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ان سالوه

اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم
وان شفعوا شفعوا وفى حديث مسند من طريق اهل
البيت اعظم الناس ذنوبا من وقف بعرفة فظن ان الله
تعالى لم يغفر له وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرين
رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون
للناظرين وفى الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه
من اول شئ تجدونه فى صحفكم يوم القيامة واغبط
عمل تجدونه ولهذا استحب الطواف ابتداء فى غير حج ولا
عمرة وفى الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له
كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا فى المطر غفر له ما تقدم
من ذنبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر لعبده ذنبا غفر
لكل من اصابه فى ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا
وفق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة وهو
افضل يوم فى الدنيا وفيه حج النبى عليه السلام حجة الوداع
وكان واقفا اذ نزل قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتى قال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية
علينا لجعلناها عيدا فقال عمر رضى الله عنه اشهد ان
هذه الاية لقد انزلت فى يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم
جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف
بعرفة وعنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للحاج ولمن
استغفر له الحاج وعن مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج
اذا قدموا مكة تتلقاهم الملائكة فيسلمون على ركبان الابل

ويصافحون ركبان الحمر ويعتنقون المشاة اعتناقا
وعن الحسن انه قال من مات عقيب رمضان اوعقيب
غزو او حج مات شهيدا وعن عمر رضى الله عنه انه قال
الحاج مغفور له ومن استغفر له فى شهر ذى الحجة
والمحرم وصفر وعشر من ربيع الاول ويقال ان من
عادة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج
ويقبلوا بين اعينهم ويسئلوهم الدعاء ويبادرون
بذلك قبل ان يتدنسوا بالاثام وفى كتاب الغزالى قال
ويروا عن على بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة
عرفة نمت بمنا فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كان
ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما
صاحبه يا عبد الله فقال الاخر لبيك يا عبد الله قال
اتدرى كم حج بيت ربنا فى هذه السنة قال لا ادرى قال
حج بيت ربنا ست مائة الف قال افتدرى كم قبل منهم
قال لا قال ستة انفس قال ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى
فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمنى امرى فقلت
اذا قبل ستة انفس فاين انا اكون فى ستة انفس فلما
افضت من عرفة نمت عند المشعر الحرام افكر فى كثرة
الخلق وفى قلة من قبل منهم فحملنى النوم فاذا الشخصان
قد نزلا كاول مرة على هيئتهما فنادى صاحبه واعاد الكلام
بعينه ثم قال اتدرى ماذا وهب ربنا هذه الليلة قال لا
قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال
فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف والله اعلم

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال للحاج الراكب بكل خطوة
يخطوها بعيره سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة
يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما
حسنات الحرم يا رسول الله قال الحسنة بمائة الف حسنة
ولو ان الملائكة صافحت احدا لصافحت الغازي في سبيل
الله والبار لوالديه والطائف ببيت الله الحرام وبالله
التوفيق ❊ الفصل الثاني في فضيلة البيت ومكة ❊
قال الله سبحانه جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس الاية وقال تعالى انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها الاية وقال تعالى فليعبدوا رب
هذا البيت وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا الاية وقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامنا وقال مخبرا عن ابراهيم اجعل هذا البلد
آمنا في امثال هذه الايات مما يطول الكتاب بذكرها مما
خص الله به البيت الحرام وجاء عن النبي عليه السلام
انه حين اخرجه كفار قريش من مكة فقال والله اني لأعلم
انك احب بلاد الله الى الله وانك احب ارض الله الى الله
ولولا ان اهلك او قال المشركون اخرجوني منك ما خرجت
وعنه عليه السلام ان الله تعالى قد وعد هذا البيت
ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله
عز وجل بالملائكة فان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة
وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى
تدخل الجنة فيدخلون معها وجاء عنه عليه السلام انه

قال اول من طاف بالبيت الملائكة ومامن نبيّ يهرب من
قومه الا هرب الى الله بمكة يعبده بها حتى يموت وعنه
عليه السلام انه قال ان قبر نوح وهود وصالح وشعيب
فيما بين زمزم والمقام وقال ان حول الكعبة لقبور
ثلاث مائة نبي وان ما بين الركن اليماني والركن الاسود
لقبور سبعة انبياء وكل نبي من الانبياء اذا كذبه
قومه خرج من بين اظهرهم فاتا الكعبة فعبد الله تعالى
حتى يموت وعنه عليه السلام قال ان اسمعيل بن ابراهيم
عليهما السلام شكا الى الله تعالى حر مكة فاوحى الله اليه
اني افتح لك بابا من ابواب الجنة في الحجر يجرى عليك
الروح الى يوم القيامة ويروا ان عثمان بن
عفان اقبل ذات يوم الى اصحابه فقال لهم الا تسئلوني
من اين جئت فقالوا من اين جئت يا امير المؤمنين فقال
ما زلت قائما على باب الجنة وكان قائما تحت الميزاب يدعو
الله عنده وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان
الركن اليماني باب من ابواب الجنة والركن الاسود باب
من ابواب الجنة ومامن احد يدعو الله تعالى عنده الا
استجاب له وكذلك عند الركن اليماني وعند الميزاب وعنه
عليه السلام قال ما بين الركن اليماني والركن الاسود روضة
من رياض الجنة وعنه عليه السلام انه قال من مات بمكة
فكانما مات في سماء الدنيا ومن مات في احد الحرمين حاجا
او معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب
وعنه عليه السلام انه قال من نظر الى البيت ايمانا واحتسابا

غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ويحشر يوم القيامة
في الامنين وجاء عنه عليه السلام انه قال من نظر الى
البيت من غير طواف ولا صلاة افضل من عبادة سنة
صائما قائما راكعا ساجدا وعنه عليه السلام انه قال
من جلس مستقبل الكعبة ساعة واحدة محتسبا لله
ولرسوله وتعظيما للقبلة كان له اجر الحاج والمعتمر والمرابط
الصائم القائم وعنه عليه السلام انه قال من ادرك
شهر رمضان بمكة فصامه كله وقام فيه ما تيسر له كتب
الله له مائة الف شهر رمضان بغير مكة وكان له بكل يوم
مغفرة وشفاعة وعنه عليه السلام انه قال من طاف
حول بيت الله الحرام سبعا في يوم صايف شديد الحر
حاسرا عن راسه واستلم الحجر من غير ان يؤذي احدا وقل
كلامه الا من ذكر الله تعالى كان له بكل قدم يرفعها
ويضعها سبعون الف درجة وتكتب له سبعون الف
حسنة ويمحى عنه سبعون الف سيئة ويعطيه الله تعالى
فضل الماشي على الراكب وفضل الماشي على الراكب كفضل
القمر على سائر الكواكب وجاء عنه عليه السلام انه قال
الكعبة محفوفة بسبعين الفا من الملائكة يستغفرون
لمن طاف بها ويصلون عليه وعنه عليه السلام انه قال
من مرض بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذي كان
يعمله عبادة ستين سنة وعنه عليه السلام انه قال من
صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت النار عنه مسيرة
مائة عام وجاء عنه عليه السلام انه قال اقرب البقاع

الى الله تعالى مابين الركن والمقام وان الطايف بالبيت
ليخوض فى رحمة الله تعالى وان الله سبحانه ليباهى بالطايفين
حول بيته الملائكة وعنه عليه السلام انه قال ماينزل
فى الدنيا من رائحة الجنة ماينزل بمكة وذلك للطائفين
وعنه عليه السلام انه قال استكثروا من الطواف
قبل ان يحال بينكم وبينه فكأنى انظر الى رجل من الحبشة
اصلع افيدع جالسا عليها فيهدمها حجرا حجرا وصدقة
درهم بمكة بمائة الف درهم وفيها شراب الابرار ومصلى
الاخيار وقيل لابن عباس رضى الله عنه ما مصلى الاخيار
قال تحت الميزاب وشراب الابرار ماء زمزم وان لمس
الحجر الاسود تكفير للخطايا واحطاط للذنوب يحطان
للخطايا احطا ومن دعا بمكة امنت له الملائكة تقول آمين
آمين حول بيت الله الحرام ومن نظر الى مكة من غير
طواف ولا صلاة كتب الله له عبادة الدهر وصيام
الدهر وعنه عليه السلام انه قال من حج حجة الاسلام
وطاف طواف الافاضة يطوف يومئذ ولا ذنب له
وجاء عنه عليه السلام انه قال اذا كان يوم عرفة
يدنوا الموقف فى ذلك اليوم حتى يكون ادنى الى السماء
فيباهى الله بهم الملائكة يقول انظروا عبادى شعثا
غبرا جاءوا من كل فج عميق يرجون مغفرتى قد غفرت لهم
جميعا فينادى مناديا يا اهل عرفة استانفوا العمل فقد
غفر لكم وفى الحديث عنه عليه السلام ان الحجر ياقوتة
من ياقوت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان

ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان
عليه السلام فيما بلغنا يقبله كثيرا وروى انه سجد عليه
وروى انه كان يطوف على الراحلة ويضع المحجن عليه
ثم يقبل طرف المحجن وروى ان عمر رضى الله عنه قبله ثم
قال انى لا علم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رايت
رسول الله عليه السلام يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى
علا نشيجه فالتفت الى ورايه فراء عليا فقال يا ابا حسن
ها هنا تسكب العبرات فقال على يا امير المؤمنين بل هو
يضر وينفع قال وكيف قال ان الله سبحانه لما اخذ الميثاق
على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو امين
الله يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود
قيل فذلك معنا قول الناس عند الاستلام اللهم انا نسئلك ايمانا
بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وجاء عنه عليه
السلام انه قال الركن والمقام يأتيان يوم القيامة مثل
ابى قبيس لهما عينان وشفتان ولسانان يشهدان لمن
وافا بالوفاء واظن انه قال عليه السلام لم يبق شئ
فى الارض من الجنة غير الحجر ولولا ما مسه من انجاس المشركين
لما استشفا به ذو عاهة الا برا وفى الخبر انه يستجاب
الدعاء بمكة فى خمسة عشر موضعا تحت الميزاب وخلف
المقام وفى الطواف وفى الملتزم وهو ما بين الباب والحجر
الاسود وفى عرفة وفى منى وفى المزدلفة وعن الجمرات
الثلاث ايضا مستجاب وعلى الصفا والمروة وفى السعى
وفى كل موضع من هذه المواضع مستجاب فمن اجتهد

فيهن في الدعاء ترجا له الاجابة والله اعلم وروى عن الحسن
ان صوم يوم في مكة بمائة الف ويقال طواف سبعة
اسابيع يعدل عمرة وثلاث عمرات يعدل حجة وفي حديث
اخر عمرة في رمضان لحجة وعنه صلى الله عليه وسلم انه
قال اول من تنشق عنه الارض ثم يأتي اهل البقيع فيحشرون
معي ثم يأتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ادم
عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة عليهم
السلام فقالوا بر الله حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام وجاء في الاثر ان الله سبحانه ينظر في كل
ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول
من ينظر اليه منهم اهل المسجد الحرام فمن رآه طايفا غفر
له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قايما مستقبل
الكعبة غفر له ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف
بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف
به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه
من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها
اثر قال وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع
القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض
تلوح ليس فيها حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا تذكر
منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار
الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام
ويقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع
ولادتها ويقال مكتوب في اسفل المقام انا الله ذو بكة

وصدقة درهم بمائة الف وكذا كل حسنة بمائة الف

حرمتها يوم خلقت السموات والارض ووضعتها بين
هذين الجبلين وحففتها بسبعة املاك فجعلتها حرمى
وامنى وفى الخبر اكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان
يرفع وقد هدم مرتين وسيرفع فى الثالثة ويروى عن
على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اذا
اردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا
على اثره وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه جاءه رجل
يسئله عن الحج ماله فيه فقال عليه السلام اتسئلنى
ام اخبرك بما تريد ان تسئلنى عنه قال فانك جيتنى
ان تسئل عن خروجك تؤم هذا البيت قال نعم يارسول الله
قال لك بكل خطوة تخطوها راحلتك حسنة ويمحى
عنك سيئة وترفع لك بها درجة واما طوافك فانك تخرج
من ذنوبك كيوم ولدتك امك واما ركعتاك بعد الطواف
فكعتق رقبة من ولد اسمعيل واما طوافك بين الصفا
والمروة فكعتق سبعين رقبة واما وقوفك بعرفات
فان الله سبحانه يباهى باهل عرفات اهل السماء فيقول
عبادى شعثا غبرا اتونى من كل فج عميق فلو كانت ذنوبك
مثل زبد البحر ورمل عالج وعدد ايام الدنيا لغفرت واما
رميك الجمار فلك بكل حصاة تكفير كبيرة واما نحرك
فمدخر لك عند ربك فذلك احوج ماتكون اليه واما
حلقك راسك فان لك بكل شعرة تقع من راسك نورا
يوم القيامة واما استلامك الحجر فانه يأتى يوم القيامة
وله عينان ولسان وشفتان يشهد لكل من استلمه ويشفع

له وانه امين الله في الارض يصافح به من يشاء من خلقه
وانه لمن الجنة وقد اختلف فيه ايضا فروى عن ابن
عباس انه من الجنة وانه كان اشد بياضا من الثلج
حتى سودته خطايا المشركين وعن وهب بن منبه انه
كاللؤلؤة ابيضا فسوده المشركون وعن محمد بن الحنفية
انه حجر من احجار الوادى والله اعلم واحكم وبه الحول
والتوفيق الفصل الثالث فى فضيلة المقام بمكة حرسها
الله وكراهيته اعلم ان المقام بمكة له فضل عظيم واجر
جسيم قال الله سبحانه سواء العاكف فيه والباد يعنى
المقيم فيه والطارى به واى موضع اعظم بركة واعظم
درجة من موضع تكتسب لك فيه الحسنات وتمحى عنك
السيئات وانت قاعد كما قدمنا فى الحديث لاكن كره
الخائفون من العلماء المحتاطين المقام بمكة لمعان ثلاثة احدها
خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يوثر فى تسكين
حرقة القلب فى الحرم ولهذا كان عمر رحمه الله يضرب الحجاج
اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم
ويا اهل العراق عراقكم ولقد روى عن عمر ايضا انه هم بمنع
الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس
بهذا البيت الثانى تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث
داعية الرجوع فان الله سبحانه جعل البيت مثابة للناس
وامنا اى يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا
يقضون منها وطرا وقال بعض السلف تكون فى بلد وقلبك
مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون

فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد أخر وقال بعض
السلف كم من رجل بخراسان وهوا قرب الى هذا البيت
ممن يطوف به والله اعلم الثالث الخوف من ركوب
الخطايا والذنوب بها فان ذلك شديد الخطر وبالحران
يورث المقت من الله تعالى وذلك لشرف الموضع وعلو
درجته قال وروى عن وهيب بن الورد المكى قال كنت
ذات ليلة فى الحجر اصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار
يقول الى الله اشكوا ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين
حولى من تفكههم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم
ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى
الى الجبل الذى قطع منه وعن ابن مسعود رحمه الله
ما من بلد يواخذ فيه العبد بالهمة قبل العمل الا مكة
وتلى قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم اى انه على مجرد الارادة ويقال السيئات تضاعف
بها كما تضاعف الحسنات وعن ابن عباس انه كان يقول
الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم وقيل الكذب ايضا وعن
ابن عباس رضى الله عنه ايضا لان اذنب سبعين ذنبا
بركية احب الى من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة قال وركية
منزل بين مكة والطايف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين
الى ان لا يقضى حاجته فى الحرم بل كان يخرج الى الحل عند
قضاء الحاجة وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على
الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجرة دور مكة
ولا تظنن ان كراهية المقام يناقض فضل البقعة لان

هذه كراهية علتها ضعف الخلق وقصورهم عن المقام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به افضل بالاضافة الى المقام مع التقصير والتبرم فاما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف ولما عاد صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال انك خير ارض الله عز وجل واحب بلاد الله تعالى الي ولولا انى اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه والله اعلم واحكم

الفصل الرابع في فضل المدينة

اعلم ان مدينة الرسول عليه السلام افضل البلاد بعد مكة والبيت الحرام وقد جعل لها عليه السلام حرما كحرم مكة فقال صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة وانا حرمت المدينة وهو ما بين لابتيها يعني حرتها وهو ما بين عير الى ثور وهما جبلان بالمدينة وقال عليه السلام المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ودعا لها عليه السلام وبارك عليها فقال اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا وعن الزبير بن العوام قال كنت جالسا عند عبد الله بن عمر فاتته مولاة له تسلم عليه فقالت انى اريد الخروج يا ابا عبد الرحمن اشتد علينا الزمان فقال لها ابن عمر اقعدي يالكاع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر احد على شدتها ولاوائها الا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ولا يخرج احد منها رغبة عنها الا ابدل الله فيها من هو خير منه وانها

لتنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد وكان عليه السلام
يقول في جبل احد هذا جبل يحبنا ونحبه اللهم انك اخرجتني
من احب البقاع الي فاسكني احب البقاع اليك فاسكنه
المدينة وجعل فيها قبره صلى الله عليه وسلم فثبت بما ذكرنا
انه لا بقعة افضل منها بعد مكة والاعمال فيها ايضا مضاعفة
اذ قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من
الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة
بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلاة فيها
بخمس مائة وكذلك سائر الاعمال وروي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة في مسجد المدينة
بعشرة الاف صلاة وصلاة في المسجد الاقصى بالف صلاة
وصلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت
فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة
واما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية الا
الثغور فان المقام بها للمرابطة له فضل عظيم ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا لثلاث مساجد المسجد
الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض
العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة
المشاهد وقبور العلماء الصلحاء وفي كتاب الغزالي قال وما
تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه
وسلم كنت نهيتكم عن زيارة المقابر الا فزوروها ولا تقولوا
هجرا والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد

لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متساوية ولا بلد الا
وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا
تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل
نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى
قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم
السلام والمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور
الاولياء والعلماء والصلحاء في معناها ولا يبعد ان يكون ذلك
من اغراض الرحلة ومقاصدها كما ان زيارة العلماء في الحياة
من المقاصد هذا في الرحلة واما المقام فالاولى بالمريد
ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة
العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من
المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب
وايسر للعبادة وذلك افضل المواضع له اذ قد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال البلاد بلاد الله عز
وجل والخلق عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد
الله تعالى وفي الخبر من رزق من شيء فليلزمه ومن جعلت
معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وعن بعضهم
قال رايت سفيان قد جعل جرابه على كتفيه واخذ قلته بيده
فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املأ فيه جرابي بدرهم
وفي حكاية اخرى قال بلغني قرية فيها رخص اقيم فيها قال
فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا سمعت برخص
في بلد فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول
هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين

هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى انه قال والله لا ادرى اىّ البلاد اسكن فقيل له خرسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة قيل فالعراق قال بلدة الجبابرة وقيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمة على المجاورة بمكة فاوصنى قال اوصيك بثلاث لا تصلين فى الصف الاول ولا تصحبن قريشا ولا تظهرن صدقة قال وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد فيختلط بعمله التزين والتصنع والله اعلم واحكم

الفصل الخامس فى شرائط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته وهذا الفصل يشتمل على خمسة اقسام الاول فى الشرائط وهى نوعان احدهما شروط لزوم الحج والثانى شروط صحته فاما شروط اللزوم فهى خمسة البلوغ والعقل والحرية والاسلام والاستطاعة فكل من لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او لتجارة لزمه الاحرام ثم يتحلل بعمل عمرة او حج الا من يكثر التردادالى مكة كالحطابين فقد جاءت الرخصة فى دخولهم مكة بغير احرام واما الاستطاعة فنوعان احدهما للمباشرة وذلك له اسباب اما فى نفسه فالصحة واما فى الطريق فبان تكون مخصبة مامونة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما فى المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل اولم يكن لان مفارقة الوطن شديد وبان يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة وان يملك

مايقضي به ديونه وان يقدر على راحلة اوكرائها بمحمل اوزاملة
ان استمسك على الزاملة وأما النوع الثاني من الاستطاعة
فهو استطاعة العاجز عن الحج بمرض اوغيره ولكنه يستطيع
الحج بماله وذلك ان يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير
من حجة الاسلام وقال بعض العلماء اذا عرض الابن طاعته
على الاب المزمن صار به مستطيعا قال لان الخدمة بالبدن
فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن
استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فان
تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي
الله عاصيا بترك الحج وان اوصى به كان في تركته يحج عنه من
ثلث ما مات عنه وان استطاع في سنة ولم يخرج مع الناس
فتلف ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله سبحانه
ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله
اذ قد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال لقد هممت ان
اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع
اليه سبيلا وفي لفظة اخرى قال لقد هممت ان ابعث الى
امصار المسلمين فلا اجد رجلا بلغ سنا وجب عليه الحج فلم
يحج الا وضربت عليه الجزية والله ما اولئك بالمؤمنين قالها
ثلاثا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس
لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت
عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه
وعن الربيع بن حبيب رحمه الله قال ان لم يوص به وهو
مضيع مات كافرا وعنه ايضا عن مجاهد عن بن عمر قال من

من مات صحيحا موسرا ولم يحج كان سيما بين عينيه كافر ثم تلا
ومن كفر فان الله غني عن العالمين وكان ابن عباس يقول
من مات ولم يحج ولم يزك سأل الرجعة الى الدنيا وقرا قوله
عز وجل رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال اح
والله اعلم الثاني شروط الصحة وهي نوعان الوقت
والاسلام اما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسعة ايام
من ذي الحجة واختلف في ليلة النحر هل يجزى فيها الوقوف
بعرفة ام لا فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة
وجميع السنة وقت العمرة واما شروط وقوعه بالاسلام
فان المشرك لا يجزى حجه عن حجة الاسلام الا اذا اسلم قبل
الوقوف بعرفة واما البلوغ فقد اختلف فيه هل هو شرط
في الحج ام لا والصحيح ان الصبي اذا حج وهو غير بالغ فعليه
اعادة الحج بعد البلوغ وكذلك العبد الا اذا بلغ الصبي او اعتق
العبد قبل الوقوف بعرفة فانه يجزى عن حجة الاسلام لان
الحج عرفة ويشترط هذه الشروط في وقوع العمرة عن فرض
الاسلام عند وقت الاحرام لان الاحرام ذلك شرط في العمرة
كالطواف والله اعلم واما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر
البالغ فهي براءة الذمة عن حجة الاسلام ثم القضاء لمن
افسده ثم النذر اذا اوجبه على نفسه ثم قضاء حق الغير
اذا تحمله ان يحج عنه بخلافه او نيابة ثم النفل بعد ذلك
لغيره والله اعلم القسم الثاني في الاركان التي لا يصح
الحج دونها وهي ثلاث متفق عليها عند اصحابنا احدها
الاحرام من الميقات او من غيره لكن اذا احرم من بعد

ان

ان جاوز الميقات لزمه دم والثاني الوقوف بعرفات نهارا
فان غابت الشمس ولم يقف فلا حج له وقيل ان وقف
ساعة قبل طلوع فجر يوم النحر فقد اجزاه والثالث طواف
الزيارة بعد التحلل من الاحرام يوم النحر فمتى اخل الحاج
بشيء من هذه الثلاث فقد بطل حجه وكذلك المعتمر تبطل
عمرته بترك الاحرام والطواف خاصة واختلف في السعي
بين الصفاء والمروة فقيل هو فرض واكثر القول انه سنة
وكذلك ذكر الله عند المشعر الحرام مختلف فيه واكثر القول
انه سنة واما اجتناب الصيد والجماع وما نهي المحرم عنه
في الحج فهو فرض على الحاج والمعتمر والله اعلم القسم
الثالث في الواجبات التي تجبر بالدم فهي مثل ترك الاحرام
من الميقات وترك ركوع الطواف حتى يخرج من الحرم وترك
المبيت بالمزدلفة وترك الوقوف بالمشعر الحرام وترك ذكر
الله عز وجل فيه وترك الحلق والذبح وجمرة العقبة وترك
رمي الجمرات الثلاث في ايام التشريق وترك طواف الوداع
فمن ترك شيئا من هذه المذكورات فعليه دم والجمار ان
ترك ثلاث حصايات فصاعدا لزمه دم والله اعلم القسم
الرابع في وجوب اداء الحج والعمرة وهي ثلاثة تمتع وقران
وافراد اما المتمتع فهو افراد العمرة مجردة عن الحج فيحل
منها ثم يردفها الحج في عامه ذلك ولها ستة شروط احدها
ان يحرم بها في اشهر الحج والثاني ان يحل منها في اشهر الحج
والثالث ان يحرم بالحج في عامه ذلك والرابع ان يكون
ذلك قبل الرجوع الى افقه او مثل افقه في البعد الخامس

ان تقع العمرة قبل الحج في عام واحد السادس ان لايكون من اهل مكة ولا ذي طوى والمتمتع ايضا نوعان احدهما متمتع يسوق الهدي اذا قدم مكة فطاف وركع وشرب من ماء زمزم وسعى بين الصفا والمروة فليقم بمكة محرما من غير حلق ولا تقصير حتى يبلغ الهدي محله يوم النحر فيحلق حينئذ ويقصر والثاني متمتع لاهدى معه فانه اذا فرغ من مناسك العمرة بالحلق او التقصير فقد حل له كل شيء من النساء والطيب وغير ذلك ما خلا صيد الحرم فانه حرام على المحلين والمحرمين واما القران فهو ان يجمع بين الحج والعمرة معا فيصير محرما بهما وتكفيه اعمال الحج من السعي والطواف وعن تجديدهما للعمرة في قول بعض الفقهاء وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه هو محسوب من النسكين في قول بعضهم واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف والاحسن عندي اذا قدم القارن مكة فليطف للعمرة ويركع ويشرب من زمزم ويسعى بين الصفا والمروة فاذا فرغ اقام محرما ولا يطوفن بالبيت ثم اذا رمى جمرة العقبة ذبح وحلق وحل من احرامه ما خلا النساء والطيب ثم اذا طاف للزيارة وسعى فقد حل له الحلال كله ويلزمه دم شاة لتركه الحلق من العمرة والله اعلم واما الافراد فهو ان يحرم بالحج مفردا ولا يطوف بالبيت ان قدم في عشر ذي الحجة واما قبلها فلا باس واذا طاف اقام محرما حتى

يرمي جمرة العقبة فيحل ويزور البيت فاذا فرغ من الحج
خرج الى الحل لإحرام العمرة فيحرم بها من الجعرانة اومن
التنعيم اومن الحديبية وليس على المفرد دم الاان تطوع
والله اعلم والتمتع عند اصحابنا افضل من الافراد والافراد
افضل من القران ثم المتمتع يلزمه ما استيسر من الهدي
اذا لم يكن المحرم من حاضري المسجد الحرام وحاضره
من كان منه على مسافة لاتقصر فيه الصلاة وقيل هم
اهل الحرم فاذا لم يكن المتمتع من حاضري المسجد الحرام
فعليه دم فان لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج قبل يوم النحر
اخرها يوم عرفة وسبعة اذا رجع في الطريق وقيل
في الوطن ويدل دم القران اذا لم يجد كدم المتمتع سواء
والله اعلم القسم الخامس في محظورات الحج والعمرة
وهي ستة احدها لبس القميص والسراويل والخف
والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم
يجد نعلين فمكعبا من الاخفاف وان لم يجد ازارا فسراويل
ولاباس بشد الهميان على وسطه لئلا تضيع النفقة
وكذلك الاستظلال بالمحمل والقباب والخيم وليحذر ان تمس
راسه او يغطيه فان احرام الرجل في راسه واما المراة فلها
ان تلبس كل مخيط ما خلا الخز والحرير والديباج والحلي
في عنقها بعد ان لاتستر وجهها ببرقع ولا بما يماسه بل
احرامها في وجهها والله اعلم الثاني الطيب فليجتنب كل
ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب اولبس مخيطا اوغطى
راسه متعمدا فعليه دم شاة الثالث نزع الشعر وقلم

الاظفار فان نزع او قلم ثلاثا فصاعدا فعليه دم وفيما
دون ذلك لكل واحد اطعام مسكين وكذلك ان ادمى
نفسه ولا باس بالاكتحال والادهان والتداوي بما لا طيب
فيه (الرابع) الجماع وهو مفسد للحج اذا وقع قبل الوقوف
بعرفة او وقع في العمرة فان جامع متعمدا فلا حج له لكن
يوم باتمامه وعليه ان يهدي بدنة والحج من قابل (الخامس)
مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة والنظر والمباشرة
وشبهها فان فعل شيئا من هذا فامنا فقد فسد حجه كما
تقدم وان لم يمن ماء دافقا فعليه دم اذا امذى والله اعلم
(السادس) قتل صيد البر الذي يوكل منه او ما هو
متولد بين الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه دم مثله
من النعم يراعي فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال
ولا جزاء فيه وهوام البدن فيه حبة او تمرة او لقمة والله
اعلم اختصرنا هذه الاشياء اختصارا لان هذا كله مشروح
في كتاب الحج الذي ألفناه وبالله التوفيق

الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر
الى الرجوع وهي عشر جمل (الاولى) في السنن من
اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية (احدها) في المال
فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون
واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقة الى وقت الرجوع
ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب زادا من المال
الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل
على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء

والفقراء ويتصدق بشئ قبل خروجه ويشترى لنفسه
دابة قوية على الحمل لاتضعف اويكتريها فان اكترى
فليظهر للكاري مايريد ان يحمله من قليل وكثير ويحصل
رضاه فيه (الثانية) فى الرفيق ينبغى ان يلتمس رفيقا
صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه
وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره
ويودع رفقاءه واخوانه المقيمين ويلتمس ادعيتهم
فان الله تعالى جاعل له فى ادعيتهم خيرا والسنة فى الوداع
ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتم عملك
وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر فى حفظ
الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنوبك ووجهك
للخير اين ما توجهت فهذا انه ينبغى ان يدعى به للمتولى دون
غيره (الثالثة) فى الخروج من الدار ينبغى اذا هم بالخروج
ان يودع المنزل بركعتين يصليهما يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة
قل ياايها الكافرون وفى الثانية بعد الفاتحة بسورة
الاخلاص ثلاثا فاذا فرغ رفع يديه ودعى الله سبحانه
عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب
فى السفر وانت الخليفة فى الاهل والمال والولد والاصحاب
احفظنا واياهم من كل أفة وعاهة اللهم انا نسئلك فى سفرنا
هذا البر والتقوى والعمل بما ترضى اللهم هون علينا السفر
واطو لنا الارض وارزقنا فى سفرنا هذا سلامة البدن
والدين والمال وبلغنا بيتك الحرام وزيارة قبر نبيك محمد
عليه السلام اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب

وسوء المنظر في المال والاهل والولد والاصحاب اللهم اجعلنا
واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير
ما بنا وبهم من عافيتك (الرابعة) اذا حصل على باب
الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا
بالله رب اني اعوذ بك ان اضل او ان اضل او ازل
او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا
ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك
وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنتك وشوقا
الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت
وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي ورجاي
فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل
ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي
ووجهني الخير اين ما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل
منزل يرحل عنه (الخامسة) في الركوب واذا ركب راحلته
فليقل بسم الله وبالله الله اكبر توكلت على الله ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي اليك
وفوضت امري اليك وتوكلت في جميع اموري عليك
انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت
تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت

المستعان على الامور (السادسة) في النزول والسنة
في النزول ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره
بالليل قال عليه السلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل
ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون ذلك
عونا على المسير ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب
السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن
ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين
ورب البحار وما جرين اسئلك خير هذا المنزل وخير اهله
وخير من فيه وخير ما فيه واعوذ بك من شر هذا
المنزل وشر اهله وشر من فيه وشر ما فيه اصرف عني
شر شرارهم يا ارحم الراحمين فاذا نزل المنزل صلى فيه
ركعتين ثم قال اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا اجن عليه الليل قال
يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك كل اسد واسود
وحية وعقرب ومن ساكني البلد ووالد وما ولد وله
ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم (السابعة)
في الحراسة وينبغي ان يحتاط بالنهار ولا يمشي منفردا
خارج القافلة لانه ربما يقتال او ينقطع ويكون بالليل
متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه
وان نام في اخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه
في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اسفاره فيما بلغنا لانه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس
وهو لا يدري فيكون ما فاته من الصلاة افضل مما يناله

٢ وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر صح

من الجج والاحب في الليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة
فاذا نام احدهما حرس الاخر فهو السنة فان قصده
عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ اية الكرسي وشهد الله
وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء
الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء
الله لا ياتي بالخيرات الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء
الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء
الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا ورسلي
ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العلي العظيم واستعنت
بالحي الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام
واكنفنا بكنفك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك
علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا
قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك انت ارحم
الراحمين الثامنة مهما علا النشز من الارض في الطريق
يستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل
شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف
الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب
الملائكة والروح جلل السموات بالعزة والجبروت وبالله
التوفيق ❁ الجملة الثانية في آداب الاحرام من الميقات
الى دخول مكة ❁ وهي خمسة ❁ الاول ان يغتسل
وينوى به غسل الاحرام اذا انتهى الى الميقات المشهور
الذى يحرم الناس منه وينبغي له ان يتم غسله بالتنظف
والاتيان بخصال الفطرة من تقليم الاظفار ونتف الابطين

وحلق

وحلق العانة وقص الشارب وغير ذلك من استكمال النظافة التي قدمت في الطهارة (الثاني) ان يفارق الثياب المخيطة ويتجرد عنها ويلبس ثوبين للاحرام يستحب ان يكونا جديدين او غسيلين لم يلبسا منذ غسلا فيرتدي باحدهما ويتزر بالاخر والابيض من من الثياب احب الى الله تعالى (الثالث) ان يركع ركعتين ويحرم على اثرهما ان لم تحضر صلاة مكتوبة ثم اذا فرغ عقد النية للاحرام على ما اراد من تمتع او قران او افراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام مع لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك لا شريك لك لبيك بعمرة تمامها وبلاغها عليك يا الله وان قرن فليقل بحجة وعمرة تمامهما وبلاغهما عليك يا الله وان افرد فليقل بحجة تمامها وبلاغها عليك يا الله وان شاء زاد في التلبية فقال لبيك وسعديك والخير كله بيدك والرغبا اليك لبيك حقا حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وآل محمد وبالله التوفيق (الرابع) ينبغي له ان يلبي اذا انبعثت به راحلته ان كان راكبا واذا اخذ في السير اذا كان راجلا ويستحب له ان يقول اللهم اني اريد العمرة او الحج فيسره لي واعني على اداء فرضك وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت وكتبت

وسميت اللهم قد احرم لك لحمي وشعري ودمي وبشري
وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء
والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الاخرة
فليجتنب من حين احرم المحظورات الستة الذى
ذكرناها قبل ﴿الخامس﴾ يستحب تجديد التلبية
فى دوام الاحرام عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع
الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب
ونزول رافعا به صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر
فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد فى الخبر ولا باس
برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة فانها مظنة
المناسك اعنى المسجد الحرام ومسجد الخيف بمنى ومسجد
الميقات واما سائر المساجد فلا باس فيها بالتلبية
من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه
شئ قال لبيك ان العيش عيش الاخرة
﴿الجملة الثالثة فى اداب دخول مكة الى الطواف﴾
وهى سنة الاولى ان يغتسل بذى طوى لدخول مكة
ويقال الاغتسالات المستحبة ويقال المسنونات
فى الحج تسع احدها اغتسال الاحرام ثم لدخول مكة
ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم ثلاثة اغتسال لرمى
الجمار الثلاث لطواف الزيارة ولطواف الوداع ولم
ير ذلك بعضهم ﴿الثانية﴾ ان يقول عند الدخول
فى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك
وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وامني من

والغسل

عذابك

عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل
طاعتك * الثالثة * ان يدخل مكة من جانب الابطح
وهى من ثنية كدا بفتح الكاف يقال ان رسول الله عليه
السلام عدل اليها من جادة الطريق فالتأسى به اولى
فاذا خرج فليخرج من ثنية كدا بضم الكاف وهي الثنية
السفلى والاولى هي العليا * الرابعة * اذا دخل مكة
وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره على البيت
فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام
ومنك السلام واليك يرجع السلام فحينا ياربنا
بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال
والاكرام (اللهم) ان هذا بيتك عظمته وكرمته
وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما
ومهابة وزد من عظمه وشرفه وكرمه تكريما وايمانا
ومهابة ممن حجه واعتمره من عبادك الصالحين
اللهم افتح لى ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني
من الشيطان الرجيم (الخامسة) اذا دخل المسجد
الحرام فليدخل من باب بني شيبة اقتداء بالنبي
عليه السلام وليقدم رجله اليمنى عند الدخول وليقل
بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله
وعلى ملة رسول الله فاذا قرب من البيت قال الحمد
لله وسلام على عباده الذين اصطفى (اللهم) صل
على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى
جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم

انى اسئلك فى مقامى هذا فى اول مناسكى ان تقبل توبتى وتجاوز عن خطيئتى وتضع عني وزري الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين (اللهم) اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رضاءك ورحمتك واتمام طاعتك اسئلك مسئلة البايس الفقير المضطر اليك المستسلم لامرك الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب لمرضاتك اسئلك ان تستقبلني بعظيم عفوك وان تجود لي بمغفرتك وان تعيننى على اداء فرايضك (السادسة) ان تقصد الحجر الاسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول اللهم امانتي اديتها وميثاقى تعاهدته اشهد لي بالموافات فان لم تستطع التقبيل والمس فقف فى مقابلته وقل ذلك ثم لا تعرج على شئ دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان تجد الناس فى الصلاة المكتوبة فتصلي معهم ثم تطوف (الجملة الرابعة فى الطواف) فاذا اراد القادم مكة افتتاح الطواف اما للعمرة او للقدوم فينبغى ان يراعى امورا ستة (الاول) ان يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمطاف وستر العورة والطواف بالبيت صلاة لكن احل الله فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر

فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية
عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي
سنذكرها (الثاني) اذا فرغ من الاضطباع فليجعل
البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح
عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه
في ابتداء طوافه وليكن بينه وبين البيت قدر ثلاث
خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا
يكون طائفا على الشذروان فانه من البيت وعند الحجر
قد يتصل الشذروان بالارض ويلتبس به والطائف
عليه لا يصح طوافه لانه طاف في البيت والشذروان
هو الذى فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق
اعلا الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف على يمينه
(الثالث) ان يقول قبل مجاوزة الحجر في ابتداء الطواف
بسم الله الله اكبر اللهم اني اسالك ايمانا بك وتصديقا
بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنتك وسنة نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم ثم يأخذ في الطواف فاول
ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا
البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك
وهذا مقام العايذ بك اللهم قني شح نفسي واجعلني
من المفلحين واعذني من النار ومن الشيطان الرجيم
وحرم لحمي ودمي على النار وامني من اهوال يوم القيامة
واكفني مؤنة الدنيا والاخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده
ويهلله حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني

اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق
وسوء الاخلاق وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد
فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لاظل
الاظل عرشك اللهم اسقنا من كاس نبيك محمد عليه السلام
شربة لانظمأ بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامى قال
اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا
وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور اعفو وارحم وتجاوز
عما تعلم انك انت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليمانى
قال اللهم انى اعوذ بك من الكفر ومن عذاب القبر
وضيق الصدر واعوذ بك من فتنة المحيى والممات
وموقف الخزى فى الدنيا والاخرة ويقول بين الركن
اليمانى والحجر الاسود ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى
الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فاذا بلغ الحجر فقد تم
شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو
بهذه الادعية فى كل شوط (الرابع) ترك الرمل
فى مشى الطواف ومعنى الرمل الاسراع فى المشى مع
تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد
والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة
والجلادة والقوة وقد فعل ذلك النبى عليه السلام
واصحابه لما بلغ المشركين عنهم انهم فى جهد وشدة
جوع فامرهم عليه السلام ان يرملوا لكى يرى المشركون
ان بهم قوة وانهم غير مجهودين كما بلغهم عنهم ثم ترك
الرمل بعد ذلك وكان ابن عباس رحمه الله فيما بلغنا

لايرى الرمل شيئا ويقول انما فعل ذلك النبى عليه السلام
للعلة المتقدمة وكذلك عند اصحابنا لايرون الرمل
شيئا وهو عندهم من متروك السنن والله اعلم (الخامس)
اذا فرغ من اسبوعه فليركع ركعتين خلف المقام او حيث
امكنه فى المسجد وهما من مؤكدات السنن فمن تركهما
حتى خرج من الحرم فليركعهما وليهرق دما ويستحب
ان يقرأ فى الركعة الاولى منهما بفاتحة الكتاب وسورة
قل يا ايها الكافرون وفى الثانية بعد الفاتحة بسورة
الاخلاص ثلاثا (السادس) يكره الطواف قبل طلوع
الشمس وبعد العصر الا ان يطوف اسبوعا واحدا ثم
يدع الركعتين حتى ترتفع الشمس فيصليهما واذا صلى
المغرب صلاهما ايضا ان طاف بعد العصر وقيل ان
شاء صلاهما قبل المغرب والله تعالى اعلم واحكم

الجملة الخامسة فى زمزم والسعى

فاذا فرغ من الركعتين فليأت زمزم وليشرب من مائها
وليصب على رأسه وليقل اللهم انى اسئلك ايمانا تاما
ويقينا ثابتا ودينا قيما وعلما نافعا وعملا صالحا ورزقا
حلالا واسعا وشفاء من كل داء ويستحب ان يكون
فى تلك الحالة مستقبلا للقبلة ويمسح من ذلك الماء
وجهه وذراعيه ايضا وكان ابن عباس فيما بلغنا
يقول التضلع من ماء زمزم برائة من النفاق وفى
بعض كتب اصحابنا اذا فرغ من الطواف فليأت الملتزم
وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعاء

فليلصق بطنه بالبيت وليتعلق باستار الكعبة وليدع
بما فتح الله وليخرج الى الصفا وهو الباب الذي بحيال
الحجر في مقابلته ويسمى باب الجنابن وليكن خروجه
اولا من بين الاسطوانتين المطلثتين بالذهب
وهو يقول اللهم ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق واجعلني من لدنك سلطانا نصيرا
فاذا بلغ الصفا صعد عليه ولا يعلوه ولكن بقدر
مايري البيت وقيل الى خمس درجات ومن لم يستطع
قام في اصله وكذلك المراة تقوم في اصله وعند رقيه
على الصفا ينبغي ان يستقبل البيت ويكبر سبع تكبيرات
ويثني على الله تعالى ويصلي على رسوله صلى الله عليه
وسلم ويستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات ويسئل
الله حوايجه من امر دنياه واخرته ويستحب له ان
يقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا واولانا
واحسن الينا الحمد لله بجميع محامده على جميع نعمه
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب
وحده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له
الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين
الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من

الحي

من باب الصفا

الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون رب اللهم
انى اسألك ايمانا دائما وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا
ذاكرا واسئلك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين
والدنيا والاخرة ويصلى على محمد عليه السلام ويدعو
الله تعالى بما شاء من حوائج دنياه واخرته ثم ينزل
ويبتدي في السعي وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز
عما تعلم انك انت الاعز الاكرم اللهم ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي
على هيئته حتى ينتهى الى الميل الاخضر وهو على زاوية
المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة
اذرع اخذ في السير السريع وهو الهرولة حتى ينتهى
الى الميلين الاخضرين ثم يمسك عن الهرولة ويمشي
فاذا انتهى الى المروة صعد عليها كما صعد على الصفا واقبل
بوجهه على الصفا ممتثلا ما قدمناه من المشي والهرولة
بين العلمين يفعل هذا سبعة اشواط يبتدى بالصفا
حتى يصل الى المروة فيعود الى الصفا فيعد ذلك شوطا
واحدا ولا يعد الرجوع الى الصفا شوطا ولكن يعد
من الصفا الى المروة ثم الى الصفا شوطا حتى يتم سبعة
يبتدى بالصفا ويختم بالمروة فاذا فعل ذلك فليقصر
او يحلق ان كان متمتعا وان كان مفردا او قارنا فليقم على
احرامه حتى ينحر الهدى بمنى يوم النحر والطهارة في السعي
مستحبة وليست بواجبة بخلاف الطواف والله اعلم
وفي كتاب الغزالى قال واذا سعى فينبغي ان لا يعيد

ويدعو على المروة بمثل دعاء الصفا ثم ينزل ويسعى الى الصفا ع

السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا قال فانه ليس
من شرط السعي ان يتأخر عن الوقوف قال وانما ذلك
شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقعه بعد
طواف كان وهذا لغير المتمتع والله اعلم واحكم

الجملة السادسة في الاحرام بالحج والخروج الى منى

والوقوف بعرفة فاذا احل المتمتع من عمرته كما قدمنا
واقام بمكة حلالا يطوف بالبيت متى ماشاء ويركع
مع كل اسبوع ركعتين فاذا كان نصف النهار من
يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة فليغتسل ان
امكنه والا اجزاه الوضوء وليحرم بالحج كما قدمنا في العمرة
والتلبية وغير ذلك فاذا ركع واحرم ولبا قام متوجها
الى منى وهو يلبي ولا يقف عند البيت بعد التلبية
فاذا بلغ منى قال اللهم ان هذه منى وهي مما دللت
عليه من المناسك اسئلك ان تمن علي فيها وفي غيرها
بما مننت به على اوليائك واصفيائك فها انا عندك
وبين يديك وفي قبضتك فيصلي بها خمس صلوات
أخرهن صلاة الفجر ثم يمشي رويدا الى عرفات فاذا بلغ
وادي محسر فليقف حتى تطلع الشمس وحد منى فيما بلغنا
من جمرة العقبة الى وادي محسر وهو الذي عند حياض
الماء التي عند مجمع الجبلين وهما الجبل الذي عن يمين
الذاهب الى عرفات والجبل الذي فيه ماء منى كلما يجتمع
والله اعلم فاذا اطلعت عليه الشمس فليدفع الى عرفات
وهو يلبي وينبغي ان يقول اللهم اليك افضت ومن

عذابك اشفقت واليك صمدت واياك اعتمدت
ورحمتك اردت اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط
واقربها الى رضوانك وابعدها من سخطك اسئلك
ان تبارك لى فى رزقى ورحيلى وان تلقنى فى عرفات
حاجتى وان تباهى بى من هو افضل منى فاذا اتى عرفات
فليضرب خباه بنمرة قريبا من المسجد ويقال ثم ضرب
رسول الله عليه السلام قبته ونمرة هى ببطن عرنة دون
الموقف ودون عرفة فيما وجدت وليغتسل للوقوف ويجمع
بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة ثم
يروح الى الموقف ويقف بعرفة ولا يقفن فى وادى عرنة
ويستحب له المشى من مكة الى المناسك الى
انقضاء حجة ان قدر والا فالمشى من مسجد ابراهيم
عليه السلام الى الموقف افضل واكد وفى كتاب الغزالى
ويقال صدر مسجد ابراهيم عليه السلام من وادى عرنة
واخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل
له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات
كبار فرشت هناك والافضل ان يقف عند الصخرات
بقرب الامام مستقبلا للقبلة وليكثر من انواع التحميد
والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة
ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء
ولا يقطع التلبية يوم عرفة الا بعد الغروب ليجمع فى عرفة
بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن
ساعة عند امكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الامن

من فوات الوقوف ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر من يوم النحر فقد فاته الحج باتفاق وذهب بعض اصحابنا الى انه ان غابت الشمس ولم يقف فقد فاته الحج وعليه ان يتحلل باعمال العمرة ثم يهرق دما لاجل الفوات ثم يقضي الحج من عام قابل ولا يصيب النساء ولا الصيد حتى يحج والله اعلم وليكن اهم اشتغال الواقف بعرفة الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجا اجابت الدعوات والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف في يوم عرفة اولى واحق ان يدعى به وقد ذكرت ذلك او كثره في كتاب مناسك الحج الذي اللفناه فمن اراد ذلك فليطلبه هنالك وينبغي ان يلح في الدعاء والمسئلة فان الله سبحانه لا يتعاظمه ذنب يغفره ولا مطلوب يمن به وقد روى عن مطرف بن عبد الله انه قال وهو بعرفة اللهم لا ترد الجمع من اجلي وقال بعضهم لما نظر الى اهل عرفات ظننت انه قد غفر لهم لولا انى كنت فيهم وهكذا ينبغي ان يكون من عرف الله تعالى يرهبه اشد رهبة ويرغب اليه اعظم رغبة وبالله التوفيق

الجملة السابعة في الدفع من عرفات والوقوف بالمشعر الحرام

ورمى جمرة العقبة فاذا افاض الحاج من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وهو يلبي وليجتنب الاسراع فان النبي عليه السلام نهى عن اسراع وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله

وسيروا سيرا جميلا لا توطوا ضعيفا ولا مسلما وروي
انه عليه السلام لما دفع من عرفة دهم الناس بعيره
من ورائه فقال ايها الناس على رسلكم فاذا ابلغ الحاج
المزدلفة وفيء اخرها المشعر الحرام فينبغي ان يغتسل
لدخولها لانها من الحرم وان قدر فليدخلها ماشيا
لان ذلك افضل واقرب الى توقير الحرم ويقول اذا بلغ
المزدلفة (اللهم) هذه مزدلفة جمعت فيها السنة
مختلفة تسئلك حوائج موتنفة فاجعلني ممن دعاك
فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب
والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها باذان
واقامتين ليس بينهما نافلة ولاكن يجمع سبحة المغرب
والوتر بعد الفريضتين يبدأ بركعتي المغرب ثم ركعتي
الشفع ثم ركعة الوتر هكذا يفعل الجامع في السفر وغيره
فان ترك النوافل المأثورة في السفر وغيره خسران ظاهر
ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن
تركها اوخرج في النصف الاول من اليل فعليه دم واحيا
هذه الليلة الشريفة من افضل القربات لمن قدر على
ذلك ثم مهما انتصف اليل فليأخذ في التاهب للرحيل
ويتزود الحصا منها ففيها احجار رخوة فليأخذ سبعين
حصاة فانها قدر الحاجة ولا بأس بالزيادة عليها لانه
ربما يسقط بعضه ولتكن الحصى خفا فاصغارا ثم ليغلس
بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام
وهو اخر المزدلفة فيقف ويدعوا الى الاسفار ويقول

(اللهم) بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى وادى محسر فيستحب له ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع فى المشى ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التكبير بالتلبية فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهى الى منى ومواضع الجمرات الثلاث فيتجاوز الاولى والثانية فلا اشتغل له فيهما يوم النحر حتى ينتهى الى جمرة العقبة وهى عن يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمي مرتفع قليلا فى سفح الجبل ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح وكيفيته ان يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا بأس ويأتيها من بطن الوادى فيرميها بسبع حصيات رافعا يده يقول مع كل حصاة الله اكبر ولله الحمد هذا على طاعة الرحمن ورغم الشيطان (اللهم) تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك عليه السلام ثم اذا اراد ان يرمي بدل مكان التلبية التكبير فاذا رمى قطع التلبية والتكبير جميعا الا التكبير عقيب الصلوات المفروضات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح اوالعصر اخر ايام التشريق وصفة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق

وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر يستحب هذا
كله والله اعلم (الجملة الثامنة في بقية اعمال الحج)
من الذبح والحلق وطواف الزيارة ورمي الجمار فاذا
رمى جمرة العقبة فلينصرف الى اضحيته فليذبحها
ان كانت معه والاولى ان يذبحها بنفسه وليقل بسم الله
والله اكبر اللهم منك واليك ولك تقبل مني كما تقبلت
من خليلك ابراهيم عليه السلام والضحية بالبدن افضل
ثم البقر ثم الشاه وقيل غير ذلك والشاة افضل من
مشاركة سبعة في البدنة او البقرة والضأن افضل
من المعز وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل
من الغبراء والسوداء وعن ابى هريرة انه قال البيضاء
افضل في الاضاحي من دم سوداوين وليأكل منه ان
كان هدي التطوع ولا يضحي بالجدعاء والعضباء والجرباء
والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع
في الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن وفي
نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق
والخرقاء من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام
والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التى لا مخ فيها
من الهزال (ثم اذا ذبح او نحر) فليحلق راسه قال
الله سبحانه ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله
والسنة في الحلق ان يستقبل القبلة ويبتدي بمقدم
راسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على

القفى ثم يحلق الباقي ويقول اللهم بارك لى في تفثي
واشكر لي خلقي واكتب لي بكل شعرة حسنة وامح بها
عني سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمراة تقصر
من شعرها ولا تحلقه لان الحلق لها مثلة والاصلع
يستحب له امرار الموسا على رأسه ومهما حلق بعد الرمي
فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات
الا النساء والصيد فحتى يزور البيت ثم يفيض الى
مكة لطواف الزيارة ويسمى طواف الافاضة ثم يطوف
بالبيت ويركع ويشرب من زمزم ويسعى بين الصفا
والمروة كما قدمنا في العمرة وهذا الطواف ركن من
اركان الحج ولا حج لمن تركه قال تعالى وليطوفوا بالبيت
العتيق اراد طواف الزيارة ويقال اول وقته نصف
الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر ولا اخر
لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شاء ولكن
لا تحل له النساء الا ان يطوف فاذا طاف تم التحلل
وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي
الجمار ايام التشريق والمبيت بمنى والطواف لوداع
البيت ثم اذا فرغ من طواف الافاضة عاد الى منى للمبيت
والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان
الناس في غدها يقرون بها ولا ينفرون فاذا اصبح
في اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي
وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي عن يمين
الجادة ويرميها بسبع حصيات مع كل حصاة تكبيرة

فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبلا
للقبلة وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح
يقف قدر سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى
الجمرة الوسطى ويرميها كالاولى ويقف كما وقف
للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرميها بسبع
حصيات ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت
تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول
ويصبح ثم اذا صلى الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق
رمى فى هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى
قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين الرجوع الى مكة
فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه
وليدفن ما بقي من الحصى فى اصل جمرة العقبة وان
صبر الى الليل لم يجزله الخروج بل يلزمه المبيت حتى يرمي
فى يوم النفر الثانى احدى وعشرين حصاة كما سبق
وله ان يزور البيت فى ليالى منى بشرط الا يبيت الا بمنى
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا يفعل
ذلك ولا يترك حضور الفرائض مع الامام فى مسجد الخيف
فان فضله عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم
بالمحصب من منى ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد
رقدة فهى السنة رواه جماعة عن الصحابة هكذا
فى كتاب الغزالي قال فان لم يفعل فلا شيء عليه

* الجملة التاسعة فى طواف الوداع *

فمهما عزله الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج

والعمرة فليجهزوا ولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل اخر
اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق
فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من
ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع وليقل
(اللهم) البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن
امتك حملتني على ما سخرت لي حتى سيرتني في بلادك
وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان
كنت رضيت عني فازدد عني رضى وقربني اليك زلفى
والا فمن الان على قبل ان اتباعد عن بيتك فهذا اوان
انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا
راغب عنك ولا عن بيتك (اللهم) اصحبني العافية
في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني
طاعتك ما ابقيتني واجعل لي خير الدنيا والاخرة انك
على كل شيء قدير (اللهم) لا تجعل هذا اخر عهدي
من بيتك الحرام وان جعلته اخر عهدي فعوضني عنه
الجنة وينبغي الا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب
عنه ولا يبيع ولا يشتري بعد الوداع ويمضي
وهو محزون على فراق البيت والله اعلم واحكم

* الجملة العاشرة في زيارة مسجد *
* المدينة وقبر النبي عليه السلام *

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من زارني
ميتا كمن زارني حيا وعنه عليه السلام انه قال من
وجد سعة ولم يعد الي فقد جفاني وقال عليه السلام

من

من جاء لي زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على جدار المدينة واشجارها فليقل اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار واماناً من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بير الحرة وليتطيب وليلبس افضل ثيابه وانضفها فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم ليقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذا منكبه الايمن وليستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدايرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف الرسول عليه السلام قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في المسجد الاول قبل ان يزاد فيه ثم ياتي قبر النبي عليه السلام فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو اربع اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القناديل على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله بل الوقوف من بعيد اقرب الى الاحترام والتوقي فيقف ويقول السلام عليك يارسول الله السلام عليك يانبي الله حتى يستكمل التسليم عليه وحسن الثناء كما

وصفنا في الكتاب الذي صنفناه في المناسك فاذا فرغ من
ذلك فليتأخر قدر ذراع ويسلم على ابي بكر رضي الله
عنه ويثني عليه ثم يتأخر قليلا فيسلم على عمر بن الخطاب
رحمه الله كما ذكرنا في كتاب المناسك ولا يلصق
نفسه بالقبر ولا يرفع صوته عليه بالتسليم ولا يخفظه
ولا يقف بعد التسليم ولكن ينصرف ثم يرجع فيقف
عند راس رسول الله عليه السلام بين القبر والاسطوانة
اليوم وليستقبل القبلة ويحمد الله عزوجل ويمجده
وليكثر من الصلاة على رسوله عليه السلام وليمتثل
ما ذكرناه في كتاب المناسك من الاستغفار والتوبة
والاعتراف بالتقصير ثم ان كانت له حاجة فليجعل النبي
خلف كتفه وليستقبل القبلة وليسئل حاجته فانها
تقضى ان شاء الله ثم يأتي المنبر فليمسحه وليأخذ
برمانتيه السفلاوتين وليمسح بهما وجهه وعينيه
فانه يقال انهما شفاء للعين وليقم هناك وليحمد الله
تعالى وليصلي ركعتين وليكثر من الدعاء ما استطاع
لقوله عليه السلام ما بين قبري ومنبري روضة من
رياض الجنة ومنبري على حوضي ثم يأتي مقام جبريل
عليه السلام وهو تحت الميزاب فيما بلغنا فانه كان
مقامه اذا استأذن على رسول الله عليه السلام وليكثر
من الدعاء والتضرع ما استطاع ثم بعد ذلك اذا دخل
المسجد سلم على رسول الله واذا خرج فمثل ذلك وليكثر
من الصلاة في مسجده عليه السلام واذا زالت الشمس

فليصل ثمان ركعات وليصل مااستطاع وينبغي ان ياتي
سارية ابي لبابة التي كان ربط نفسه اليها حتى نزلت
توبته من السماء فيصلي ويدعو مااستطاع وان قام
بالمدينة فليصل ليلة الاربعاء عند سارية ابي لبابة
مااستطاع وليقعد يوم الاربعاء عندها ثم يأتي ليلة
الخميس التي تليها ممايلي مقام النبي عليه السلام فليجلس
عنده ليلته ويومه ويصوم يوم الخميس والجمعة
ثم يتقدم الى مقام النبي وهو خلف الاسطوانة
المخلقة التي اكثرهن خلوقا ويجعلها بين يديه ويقوم
قدام التي تليها من خلفها حتى يكون في مقام النبي
عليه السلام حين يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر
فلا تفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب له
ان يخرج الى البقيع كل يوم بعد السلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله
عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله عليه السلام
ويستحب له ان ياتي مسجد قباء في كل سبت ويصلي
فيه يقال في الحديث ان ذلك يعدل عمرة ويأتي بير
اريس يقال ان النبي عليه السلام تفل فيها وهي عند
المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد
الاحزاب وهو مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي
ساير المساجد والمشاهد فيقصد ما قدر عليه وكذلك
يقصد الابار التي كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها
ويشرب وهي سبعة ابار يأتيها طلبا للشفاء وتبركا به

٧ فيصلي عندها ليلة الجمعة ويومها ويدعو الله تعالى ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ويصلي الغداة في مسجد النبي عليه السلام مع

عليه السلام وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعات الحرمة فلها فضل عظيم وقد تقدم ذلك (ثم اذا) فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فيستحب له ان يأتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما تقدم ويودع النبي عليه السلام ويسئل الله تعالى ان يرزقه العودة اليه ويسئل السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تزاد المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى ءال محمد ولا تجعله ءاخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري ويسر رجوعي الى اهلي سالما يا ارحم الراحمين وينبغي ان يتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع المساجد التي بين مكة والمدينة فيصلي فيها يقال انه عشرون موضعا والله اعلم

(فصل في سنن الرجوع من السفر)

ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رجع من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ءايبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم

واليه ترجعون وينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه
واذا اشرف على موطنه وموضع قراره فليحرك الدابة
ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل
الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة
فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا ثم اذا
دخل فليقصد المسجد ويصلي فيه ركعتين كذلك يفعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا
لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا
ينبغي ان ينسى ما انعم الله عليه من زيارة بيته وحرمه
وقبر نبيه عليه السلام فيكفر تلك النعمة بان يعود الى
الغفلة واللهو فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته
ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متاهبا للقاء
رب البيت بعد لقاء البيت والله اعلم واحكم

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة

من كتاب الغزالي وهذا الباب يشتمل على جملتين
احداهما في بيان دقائق الآداب وهي عشرة (الاول)
ان تكون النفقة حلال وتكون اليد خالية من تجارة
تشغل القلب بل يكون الهم لله تعالى مجردا والقلب
مطمئنا منصرفا الى ذكر الله تعالى وتعظيم شعايره
وقد ورد في الحديث يأتي على الناس زمان يحج الناس فيه
وهم اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم
للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للريا والسمعة وفي
هذا الحديث اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي لا تتصور

ان تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن
حد الخصوص لاسيما اذا كان متجرا بنفس الحج بان
يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الاخرة وقد كره
الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده
المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس ان يأخذ ذلك
على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا
الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة
بيت الله عز وجل ومعاونة اخيه المسلم باسقاط
الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة
الموصي بها والمنفذ لها والخارج والحاج بها عن اخيه
قال ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان
سقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان
لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبة ومتجرة فان الله عز وجل
يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر
مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ اجرا مثل ام
موسى ترضع ولدها وتأخذ اجرها فمن كان مثاله
في اخذ الاجرة على الحج مثل ام موسى فلا بأس بأخذه
فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس الحج بأخذ
الاجرة كما كانت تتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها
عليهم (الثاني) ان لا يعاون اعداء الله سبحانه بتسليم
المكس اليهم وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء
مكة والاعراب المترصدين في الطرق قال فتسليم المال

اليهم

اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة
بالنفس ولكن فليتلطف فى حيلة الخلاص فان لم يقدد
فقد قال بعض العلماء فليترك التنفل بالحج قال والرجوع
عن الطريق افضل من اعانة الظلمة قال فان هذه
بدعة احدثت وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة قال
وفى ذلك ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية قال
ولا معنا لقول القائل ان ذلك يؤخذ منى وانا مضطر
فانه لو قعد فى البيت اورجع من الطريق لم يؤخذ بل
ربما يظهر اسباب الترفة فتكثر مطالبته فان كان
فى زي الفقراء لم يطالب فهو الذى ساق نفسه الى
حالة الاضطرار (الثالث) التوسع فى الزاد وطيب
النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف
بل على الاقتصاد واعنى بالاسراف التنعم باطيب الاطعمة
والترفه بشرف انواعها على عادة المترفين وأما كثرة
البذل فلا سرف فيه اذ لاخير فى السرف ولا سرف
فى الخير كما قيل ذلك قديما وبذل الزاد فى طريق الحج
نفقة فى سبيل الله عزوجل والدرهم بسبع مائة درهم
وعن ابن عمر قال من كرم الرجل طيب زاده فى سفره
وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة
واحسنهم يقينا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قيل يارسول
الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام
الرابع ترك الرفث والفسق والجدال

كما نطق به القران فالرفث اسم جامع لكل
لغو وخنا وفحش من الكلام وتدخل فيه معانزلة
النساء ومذاعبتهن والتحدث بشان الجماع ومقدماته
فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى
المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن
طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة فى الخصومة
والممارات مما يورث الضغاين ويفرق فى الحال الهمة
ويناقض حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى
بل احتمال الاذى وقال بعض العلماء من رفث فسد
حجه وقد جعل النبى عليه السلام طيب الكلام مع
اطعام الطعام من بر الحج والممارات تناقض طيب الكلام
فلا ينبغى ان يكون كثيرا الاعتراض على رفيقه وجماله
وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه
للزايرين الى بيت الله عز وجل وقيل سمى السفر سفرا
لانه يسفر من اخلاق الرجال ان يكشفها ولذلك قال
عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته
فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق
قال لا قال ما اراك تعرفه (الخامس) ينبغى ان يحج
ماشيا ان قدر عليه فذلك الافضل ويروى ان عبد
الله بن عباس رضى الله عنه اوصى بنيه عند موته
فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة
يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات الحرم قيل
وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب

المشي

المشي فى المناسك والتردد من مكة الى الموقف الى
منى اكد منه فى الطريق وان اضاف المشى الى الاحرام
من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج روى
ذلك عن علي وعمرو بن مسعود فى معنى قوله تعالى
واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب
افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد عن
ضجر النفس واقل اذاها واقرب الى السلامة وتمام
الحج وهذا التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان
يفصل فيقال من سهل عليه المشي فهو الافضل وان
كان يضعف ويؤدي به ذلك الى سوء الخلق عن عمل
فالركوب له افضل كما ان الصوم للمسافر والمريض
افضل مالم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض
العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا
بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء
افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنياء
فالمشي له افضل فكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة
النفس وله وجه ولكن الافضل له ان يمشي ويصرف
ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه فى كراء الدابة
فان كان لا تتسع نفسه فى الجمع بين مشقة النفس
ونقصان المال فما ذكره غير بعيد والله اعلم (السادس)
ينبغي ان لا يركب الا زاملة واما المحمل فليجتنبه الا
اذا كان يخاف ان لا يستمسك على الزاملة لعذر وفى
ترك المحمل معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان

المحمل يؤذيه (والثانى) اجتناب زي المترفين والمتكبرين
يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج على راحلته
وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة
دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله
وقال عليه السلام خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه
المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكرونها
قال وروى سفيان بن سعيد عن ابيه انه قال برزت
من الكوفة الى القادسية للحج وتوافت الرفاق من البلدان
الحجاج كلهم على زوامل وجواليقات ورواحل ومارايت
فى جميعهم الا محملين قال وكان ابن عمر اذا نظر الى
ما احدث الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل
والراكب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته
جواليق فقال نعم هذا من الحجاج (السابع) ان يكون
رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مايل
الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب فى المتكبرين والمترفهين
ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين
فقد امر عليه السلام بالشعث والاحتفاء ونهى عن
التنعم والرفاهية فى حديث فضالة بن عبيد وفى الحديث
ايضا انما الحج الشعث التفل يقول الله عز وجل انظروا
الى زوار بيتى فقد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق
وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبار
وقضاء ذلك بالحلق وقص الاظفار قال وكتب عمر
بن الخطاب رضى الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا

واخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة
في الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة
التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب
الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كانت
على العموم فقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان
في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى
اكسية حمر على الاقتاب فقال عليه السلام ارى هذه
الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن
ظهورها حتى شرد بعض الابل (الثامن) ان يرفق
بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد
طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقلها ويسرع في دبرها
كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن
قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل وقد
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن
دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيها
اثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط الا
ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا
الى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في
ميزان بهيمته وحملها ما لا تطيق طولب به في القيامة
وقد روي عن ابي الدرداء انه قال لبعير له عند الموت
يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك
فوق طاقتك وعلى الجملة في كل ذات كبد حراء اجر فليراع

حق الدابة وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح
الدابة وسرور قلب المكاري ويروى ان رجلا قال لابن
المبارك احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى
استامر الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع من
استصحاب كتاب ولا وزن له وهو طريق الحزم في الورع ذلك
وانه اذا فتح باب القليل انجر الى باب الكثير يسيرا يسيرا
(التاسع) ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا
عليه ويستحب ان يكون من سمين النعم ونفيسه هـ
وليأكل منه ان كان تطوعا ولا ياكل ان كان واجبا قيل
في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه
تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات افضل
ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرايه
فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي
والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه
عند اهله وروي عن ابن عمر ان عمر رضي الله عنه
اهدي نجيبة فطلبت منه بثلاث مائة دينار فسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري
بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهديها وذلك
لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاث
مائة قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس
المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها
عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل
ولن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى

منكم وذلك يحصل بمرعات النفاسة والجودة في القيمة كثر العدد دام قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اهراق الدماء وروت عائشة عنه عليه السلام انه قال ما عمل ادمي عملا احب الى الله عز وجل من اراقة دم يوم النحر وانها لتأتي يوم القيامة في قرونها واشعارها واصوافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا ويقال فحول الضأن في الضحايا افضل من اناثها واناثها افضل من ذكور المعز من اناثها واناث المعز افضل من الابل في الضحايا واما الهدايا فالابل افضل ثم البقر ثم الضأن ثم المعز والله اعلم (العاشر) ان يكون طيب النفس بما انفقه وهدي وما اصابه من خسران او مصيبة في مال وبدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلايل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبع مائة درهم وهو بمثابة الشدايد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب ولا يضيع منه شيء عند الله عز وجل ويقال ان من علامة قبول الحج ايضا ترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو

والغفلة مجالس الذكر واليقظة وبالله التوفيق

(الجملة الثانية في بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة)

وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى اخره (اعلم) ان اول الحج الفهم اعنى فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوبي الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل خارج الى الحج من اسراره ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة عمله (اما الفهم) اعلم انه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار عن الضرورات فيها والتجرد الى الله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال واثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله عز وجل فتركوا لله سبحانه الذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الاخرة فاثنا الله عز وجل

عليهم

عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق
على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله تعالى وفتروا
عنها بعث الله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه
فقال عليه السلام ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل
شرف اعني الحج وسئل عليه الصلاة والسلام عن
السايحين فقال هم الصايمون وانعم الله عزوجل
على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت
العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصد العباده
وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لشانه وتعظيما
وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة
الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة
الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب
سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين
له خضوعا لجلاله واستكانة لعزه مع الاعتراف بتنزهه
تعالى عن ان يحويه بيت او يكتنفه موضع ليكون ذلك
ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في ادعانهم وانقيادهم
ولذلك وظف الله عزوجل عليهم فيها اعمالا لا تأنس
بها النفوس ولا تهتدى الى معانيها العقول كرمي الجمار
بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار
فبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة

ارفاق بالفقراء وعلتها مفهومة وللعقل اليها ميل والصوم
كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله الشيطان وتفرغ
للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود تواضع
لله عز وجل فى الصلاة واما ترددات السعي ورمي
الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس ولا انس
للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون
فى الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال
للامر من حيث انه امر يجب اتباعه فقط وفيه عزل
العقل عن تصرفه ومنع النفس والطبع عن محل انسه
فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما
فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا له على الفعل فلا
يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم فى الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا
ولم يقل ذلك فى صلاة وغيرها فلما اقتضت حكمة الله
سبحانه ربط الخلق ونجاتهم بان تكون اعمالهم على
خلاف ما تهوى طبايعهم وان يكون زمامها بيد الشرع
فيترددون فى اعمالهم على سبيل الانقياد وعلى مقتضى
الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيها ابلغ انواع التعبدات
فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق
التى هى مقتضى الاسترقاق فاذا تفطنت لهذا فهمت
ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره
الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف فى تفهيم
اصل الحج (واما الشوق) فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق

بان البيت بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة
الملوك فقاد فقاصده الى الله عز وجل وزايرله وان
من قصد البيت فى الدنيا جدير بان لايحرم الرحمة فى الاخرة
بل يستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الصادق فالشوق
الى لقاء الله عز وجل يسوقه الى اسباب اللقاء لامحالة
هذا مع ان المحب يشتاق الى كل ماله الى محبوبه اضافة
والبيت مضاف الى الله تعالى فبالاحرى يشتاق اليه
بمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه
من الثواب الجزيل (واما العزم) فليعلم انه بعزمه
قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات
واللذات متوجها الى زيارة بيت الله عز وجل فليعظم
فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم
على امر رفيع شأنه خطير امره وان من طلب عظيما
خاطر بعظيمة وليجعل عزمه خالصا لوجه الله تعالى
بعيد عن شوايب الرياء والسمعة وليتحقق انه لايقبل
من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش
ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح
مع نفسه العزم وليخلصه من كل ما فيه رياء وسمعة
وليحذر ان يستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير
(واما قطع العلايق) فمعناه رد المظالم والتوبة
الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى فكل مظلمة علاقة
وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادى عليه
ويقول له اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت

مضيع امره فى منزلك هذا ومستهين به ومهمل له اولا
تستحي ان تقدم قدوم العبد العاصي فيردك ولايقبلك
فان كنت راغبا فى قبول زيارتك فامتثل اوامره ورد
المظالم وتب الى الله اولا من جميع المعاصى واقطع
علاقة قلبك عن الالتفات الى ما فى ورائك لتكون متوجها
اليه بوجه قلبك كما انت متوجه الى بيته بوجه ظاهرك
فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب
والشقاء وءاخرا الا الطرد والرد ويقطع العلائق
عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود
اليه وليكتب وصيته لاولاده واهله فان المسافر
لعلى قلة الا ما وقى الله تعالى وليتذكر عند قطعة
العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الاخرة فان
ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه فى هذا السفر
طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير
فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا
السفر واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا حس
من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على
طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد
فليتذكر ان سفر الاخرة اطول من هذا وان زاده التقوى
وان ما سواه مما يظن انه زاد يتخلف عنه عند الموت فكونه
لا يبقى معه كالطعام الرطب الذى يفسد فى اول
منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة
له فليحذر ان تكون اعماله التى هى زاده الى الاخرة لا تصحبه

بعد الموت بل يفسدها شوايب الرياء وكدورات التقصير
واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله عز وجل بقلبه
على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الاذى
ويخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذى
يركبه الى دار الاخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها
فان امر الحج من وجه يوازى امر السفر الى الاخرة
فلينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون
زادا لذلك السفر على ذلك المركب ام لا فما اقرب ذلك
منه ومايدري لعل الموت قريب فيكون ركوبه
للجنازة قبل ركوبه للراحلة وركوب الجنازة مقطوع
به وتيسير اسباب السفر مشكوك فيه فكيف
يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر
في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المتيقن * (واما
شراء ثوبي الاحرام) فليذكر عند القرب من بيت الله
تعالى وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله عز وجل
ملفوفا فى ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله
عز وجل الا مخالفا عادته فى الزى والهيئة فلا يلقى
الله عز وجل بعد الموت الا فى زي مخالف لزى اهل
الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيهما
مخيط كما فى الكفن (واما الخروج من البلد) فليعلم
عنده انه يفارق الاهل والوطن متوجها الى الله عز
وجل فى سفر لا يضاهى اسفار الدنيا فليحضر فى قلبه
انه ماذا يريد والى اين يتوجه وزيارة من يقصد

عنده الكفن ولفه فيها فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام

وانه متوجها الى ملك الملوك فى زمرة الزايرين له الذين
نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا
فنهضوا وقطعوا العلايق وفارقوا الخلايق واقبلوا
على بيت الله عزوجل الذى فخم امره وعظم شانه
ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت
الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بلقاء مولاهم
وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا
باعماله فى الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن
ثقة بفضل الله عزوجل ورجاء لتحقيق وعده
لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل وادركته المنية
فى الطريق لقى الله عزوجل وافدا اليه اذ قال
تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
الى قوله غفورا رحيما (واما دخول البادية) الى
الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين
الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيامة
وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول
قطاع الطريق هول سوال منكر ونكير ومن سباع
البوادى عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعى
والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة
القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف
فى اعماله واقواله متزود المخاوف القبر (واما
الاحرام والتلبية من الميقات فليعلم ان معناه
اجابة نداء الله عزوجل وليرج ان يكون مقبولا

وليخش ان يقال له لا لبيك ولا سعديك وليكن بين
الرجاء والخوف مترددا وعن حوله وقوته متبريا
وعلى فضل الله تعالى وكرمه متكلا فان وقت التلبية
هي بداية الامر وهو محل الخطر وعن سفيان بن
عيينة قال لما حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت
به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه
الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال
اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبّا غشي
عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى
حجه قال وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان
الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا
واخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله تعالى
اوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بني اسرائيل
ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة
ويحك يا احمد بلغني انه من حج من غير حله ثم لبا
قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في
يديك فما نأمن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند
رفع الصوت بالتلبية في الميقات اجابة لنداء الله عز
وجل اذ قال واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر وليتذكروا ايضا نداء الخلق عند نفخ
الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات
القيامة مجيبين لنداء الله عز وجل ومنقسمين الى
مقبولين ومردودين فهم يترددون في اول الامر

بين الخوف والرجاء مترددا كالحجيج في الميقات حيث لايدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا (واما دخول مكة) فليذكر عندها انه انتهى الى حرم الله تعالى وهو حرم امن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عذاب الله سبحانه وليخش ان لايكون اهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات مقرونا بالخوف بل غالبا عليه فان الكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام اللائذ المستجير غير مضيع (واما وقوع البصر على البيت) فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه اياه وليرج ان يرزقه الله تعالى دار السلام كما رزقه الوصول الى بيته الحرام وليشكر الله تعالى على تبليغه اياه هذه الرتبة بان الحقه بزمرة الوافدين اليه وليذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة الى جهة الجنة امنين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول ومصروفين عن بلوغ المامول انقسام الحجيج الى مقبولين ومردودين ولا يغفل عن تذكر امور الاخرة في شيء مما يراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الاخرة (واما الطواف بالبيت) فاعلم انه صلاة واحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما تقدم في فطرة الصلاة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة

المقربين الحافين حول العرش الطائفين به ولا تظنن ان
المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طوافك قلبك
بذكر الله حتى لا تبتدى فى الذكر الا منه ولا تختم الا به كما
تبتدى الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف
الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال
ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهي
فى عالم الملكوت كما ان البدن ظاهر فى عالم الشهادة للقلب
الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب وان عالم الملك
والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب
والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور فى
السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف
الانس بهذا البيت قال ولما قصر رتبة اكثر الخلق عن مثل
ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا
بان من تشبه بقوم فهو منهم والله اعلم (واما استلام *
الحجر فاعتقد عنده انك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم
عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر فى المبايعة استحق
المقت وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر يمين الله تعالى يصافح
به عباده * (واما التعلق باستار الكعبة) * والالتزاق
بالملتزم فلتكن نيتك فى الالتزام طلبا للقرب الى الله سبحانه
وتعالى وشوقا اليه وحبا له ولبيته تبارك وتعالى تبركا
بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء لا فى البيت
ولتكن نيتك فى التعلق بالاستار الالحاح فى طلب المغفرة

وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له انه لا ملجا منه الا اليه ولا مفزع له الا الى كرمه وعفوه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن فى المستقبل * (واما السعي بين الصفا والمروة فى فناء البيت فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جاءيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما يقضى به الملك فى حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة اخرى يرجو ان يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الاولى وليذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده عند وزن الاعمال يوم القيامة ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران * (واما الوقوف بعرفة) * فليتذكر عند ما يرا من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم فى الترددات على المشاعر اقتداء بهم وسيرا بسيرهم فليتذكر بذلك عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء واقتفاء كل امة بنبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول فاذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله تعالى كى تحشر فى زمرة الفائزين المرحومين وايقن وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلايق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموضع عن طبقة من الابدال

والاوتاد

والاوتاد وطبقات الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت
هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله
سبحانه ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء
ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن
انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم
ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر الانسان عرفات
فيظن ان الله تعالى لم يغفر له فكان اجتماع الهمم والاستظهار
بمجاورة الامم من الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار
البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق فى استدرار الرحمة
من الله سبحانه وتعالى مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب
فى وقت واحد على صعيد واحد *(واما رمى الجمار)*
فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق وانتهاضا لمجرد
الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فى ذلك ثم اقصد به
التشبه بابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث عرض له
ابليس فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة اوليفتنه بمعصية
فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله
فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك
رماه فليس يعرض لى الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر
من الشيطان وانه الذى القاه فى عزمك ليفتر عزمك
فى الرمى ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهى
اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير
فى الرمى فيه ترغم انف الشيطان وتقصم ظهره اذ لا يحصل
ارغام انفه الا بامتثالك امر الله سبحانه وتعالى

قوله اجتماع الهمم

تعظيما لمجرد الامر من غير حظ للعقل والنفس فيه * واما
ذبحه الهدى فاعلم انه تقرب الى الله سبحانه بحكم الامتثال
واكمل الهدى واجزاءه وارج ان يعتق بكل جزء منه جزءا
منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى اكثر
واجزاؤه اوفر كان فداؤك به من النار اعم واما زيارة
المدينة) فاذا وقع بصرك على حيطانها فلتذكر انها البلدة
التي اختارها الله تعالى لنبيه عليه السلام وجعل اليها
هجرته وانها داره التي فيها شرع فرائض ربه عز وجل وسننه
وجاهد عدوه فاظهر بها دينه الى ان توفاه الله عز وجل
ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده
ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند ترداداته فيها وانه ما من موضع قدم تطاؤه الا
وهو موضع قدمه العزيزة فلا تضع قدمك عليه الا على
سكينة وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه
وسكينته في المشي وما استودع الله سبحانه قلبه من
عظيم معرفته ورفعه ذكره مع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه
واحباط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته
عليه السلام ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا
صحبته وسعدوا بمشاهدته وسماع كلامه وعظم تاسفك
على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم
ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من
رؤيته في الاخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة
وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال

عليه السلام يرفع الى اقوام فيقولون يا محمد فاقول رب اصحابى فيقال لى انك لاتدرى ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقايق فلا تأمن ان يحال بينك وبينه لعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاءك ان لايحول الله بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من بلدك لاجل زيارته من غير تجارة ولاحظ فى دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى النظر الى اثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما احذرك بان ينظر الله سبحانه اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرائض الله سبحانه وتعالى اول ما اقيمت فى تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك فى الله سبحانه ان يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن ابى سليمان انه قال حج اويس القرنى رحمه الله ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشى عليه فلما افاق قال اخرجونى فليس بلدى بلدا محمد فيه مدفون

* (واما زيارة المصطفى عليه السلام) * فينبغى ان يقف بين يديه كما وصفناه ويزوره ميتا كما يزوره حيا ولا يقرب من قبره الا كما كان يقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وما كان يرى الحرمة فى ان لايمس شخصه ولايقبله

بل يقف من بعد ماثلا بين يديه وكذلك فافعل وان المس
والتقبيل للمشاهدة عادة النصارى واليهود واعلم انه
عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك
وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد
بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه صلى
الله عليه وسلم ان الله وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من
يسلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف
بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفاء بمشاهدة
مشهده الكريم اذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال
صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا
جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته
ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم
صعوده المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد
احدق به المهاجرون والانصار وهو صلى الله عليه وسلم
يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وتسئل الله عز وجل ان لا يفرق
بينك وبينه يوم القيامة فهذا وظيفة القلب في اعمال الحجة فاذا فرغ
منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف وانه ليس
يدريه اقبل منه حجه واثيب في زمرة المقبولين ام رد حجه
والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه واعماله فان صادف
قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله
عز وجل ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليسق بالقبول فان الله
تعالى لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته وكف
عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان

كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العنا والتعب نعوذ بالله من ضلة المساعى واهمال المراعى وقد روى عن بعض الصوفية انه جاء الى بكر الشبلى فقال له انى اريد ان احج فقال الشبلى للرجل الذى يخدمه اعط للرجل غرارتين ليحمل لنا بهما من المسجد الحرام رحمة نقسمها على اصحابنا فيكون ذلك حظنا من حجه فاخذ الرجل غرارتين وودعه ومضى لحجه فلما رجع سلم عليه فقال له الشبلى احججت يا فلان قال الرجل نعم فقال له حين احللت من الميقات اتجردت من ثيابك واغتسلت واحرمت قال نعم قال نويت انك تجردت من الرياء والنفاق والدخول فى الشبهات قال لا قال له حين اغتسلت نويت انك اغتسلت من الخطايا والاوزار قال لا قال حين تطيبت لاحرامك نويت انك تطيبت بانوار التوبة قال لا قال له حين عقدت الحج حللت كل عقدة لغير الله عز وجل قال لا قال له صليت ركعتين قال نعم قال له ايقنت المعونة من الله عز وجل قال لا قال له لبيت قال نعم قال له وجدت جواب التلبية من الله تعالى قال لا قال ما تجردت ولا اغتسلت ولا تطيبت ولا عقدت الحج ولا لبيت ولا صليت ثم قال له الشبلى دخلت الحرم قال نعم قال له احرمت على نفسك ان لا تواقع كل محرم قال لا قال له فما دخلت الحرم قال له دخلت مكة قال نعم قال له نويت انك دخلت فى قرب الله عز وجل وشعاع رحمته قال لا قال له فما دخلت مكة قال له رأيت الكعبة قال نعم قال له رأيت ما قصدت اليه قال لا قال له فما رأيتها قال له طفت بالبيت قال نعم

قال له سعيت ثلاثة اشواط ومشيت اربعا قال نعم
قال له حين هرولت نويت انك هرولت من المعاصي والاوزار
قال لا قال له حين مشيت اوجدت الامن من الخطية والعفو
من الذنوب قال لا قال فما هرولت ولا سعيت ولا مشيت
قال له صافحت الحجر الاسود وقبلته قال نعم قال فصاح
الشبلي صيحة منكرة اواه من صافح الحجر الاسود فقد صافح
الله عز وجل فانظر يا مسكين لا تضغر ما عظم الله عز
وجل ولا تنقض المصافحة ثم قال له وقفت الوقفة عند
المقام وصليت ركعتين قال نعم قال له رايت مكانك
من بساط الطاعة قال لا قال له فما وقفت ولا صليت قال
له شربت من ماء زمزم قال نعم قال له نويت انك اخرجت
من قلبك وساوس الشيطان قال لا قال فما شربت اذا
قال له سعيت بين الصفا والمروة قال نعم قال له تردد
قلبك بين الرجاء والخوف او تردد بين الرجاء والشوق
قال لا قال له خرجت الى منى قال نعم قال له آمنت ونويت
مفارقة الهوى قال لا قال له فما حضرت فيه قال له وقفت
بعرفة قال نعم قال له وقفت وعرفت وعلمت اطلاع الله
عز وجل ملك الملوك على قلبك وقبضه لصفحتك قال لا قال
له بت بالمزدلفة قال نعم قال له سكنت الى شعار اهل الولاية
قال لا قال له فما بت بها قال له وقفت بالمشعر الحرام قال
نعم قال له رميت جمرة العقبة قال نعم قال له نويت انك
اسقطت التباعات والادناس قال لا قال له فما حلقت
قال له ذبحت نسكا قال نعم قال له نويت انك ذبحت

رميت عدوك قال لا قال له فما رميت قال له حلقت شعرك قال نعم قال له نويت انك صح

عدوك ابليس اللعين برجوعك الى طاعة الله عز وجل قال
لا قال له فما ذبحت قال له رجعت الى مكة وطفت طواف
الافاضة قال له نعم قال له رايت انك رجعت عن كل خلق
يكرهه الله تعالى منك قال لا قال له فما رجعت ولا طفت
ارجع فانك لم تحج قال فجلس الرجل يبكى ورجع الى الحج من
عامه والله اعلم تمت قنطرة اسرار الحج بحمد الله وحسن عونه
والصلاة على محمد نبيه « بسم الله الرحمن الرحيم » صلى الله
على سيدنا محمد وآله * * * *

ذكر فضل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلم انا قلنا فى اول الكتاب لا نتعرض لذكر الجهاد اذ هو من
فروض الكفايات لان الكتاب موضوع فى ذكر قناطر الاسلام
التى يلزم من كل انسان صح عقله عند بلوغ الاحتلام فرأينا
ان نثبت هاهنا فضل فريضة الجهاد والامر بالمعروف والنهى
عن المنكر لأنه القطب الاعظم فى الدين وهو اهم الذى بعث
الله من اجله النبيين اجمعين اذ لولا ذلك لطوى بساط الدنيا
وعمت الفتنة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وخربت
البلاد وهلكت العباد ولم يشعر بالهلاك الى يوم التناد وقد
كان السلف الصالح من المسلمين يبيعون انفسهم واموالهم
تقربا بها الى رب العالمين فيخرجون مجاهدين فى سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم فى ذات الله فخلف من بعدهم خلف
اهملوا من هذا الفرض علمه وعمله فانه درس بالكلية حده
ورسمه وامحت من القلوب آثاره وحقيقته فاستولى

على الكل مداهنة المخلوقين واضمحلت من قلوبهم مراقبة الخالق ومعرفة الدين فاسترسل الناس في اتباع الهوى استرسال البهائم في المرعى وعز على بسيط الارض مومن صادق لا تاخذه في الله لومة لائم فانا لله وانا اليه راجعون على ما أصبحنا فيه وأمسينا في الدين من الاندراس والانطماس والانتكاس فيه على أم الراس فمن سعى في احياء هذه الفريضة وسد ثلمتها القطيعة كان منفردا من بين الخلق باحياء فريضة افضى الزمان الى اماتتها ومستبدا بغربة تتضائل درجات القرب دون ذروتها ونحن نشرح ذلك في خمسة ابواب اجمع ذلك من كتب العلماء ذوي الالباب احدها في فضل الجهاد والثاني في فضل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والثالث في اركانه وشروطه والرابع في بيان المنكرات المالوفة في العادات والخامس في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر (الباب الاول) في فضيلة الجهاد والرباط قال الله سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به الآية فهنيئا للبايعين انفسهم من الله بالتجارة الرابحة يستوجبون بها من الله الغفران والحور الحسان في دار الجنان ويروى ان بعض اصحاب النبي عليه السلام قالوا يا رسول الله وددنا ان نعلم افضل الاعمال فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الآية وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم انه قال هل تريدون من ربكم الا ان يغفر لكم ذنوبكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار قالوا بلى يا رسول الله
قال فاغزوا في سبيل الله فلمقام احدكم في سبيل الله افضل
من صلاة في اهله ستين عاما فمن قاتل في سبيل الله ولو
فواق ناقة وجبت له الجنة وعنه عليه السلام قال لا يجتمع
غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف امرء مسلم ابدا
وما من مكلوم يكلم في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله
الا ويأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم
والريح ريح المسك وعن عبد الله بن عمر انه قال لان اقف
موقفا في سبيل الله مواجها للعدو ولا اضرب بسيف ولا
اطعن برمح ولا ارمي بسهم احب الي من ان اعبد الله سبعين
سنة لا اعصيه وعن ابي هريرة انه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول موقف ساعة في سبيل الله
افضل من شهود ليلة القدر عند الحجر الاسود وروي عنه
عليه السلام انه قال يقول الله عز وجل ما اذن لعبد في جهاد
ولو قدر فواق ناقة الا استحييت منه ان ارده الى منزله
ولم اعتقه من النار وعنه عليه السلام انه قال لموقف
احدكم في الصف في سبيل الله خير له من عبادة في اهله سبعين
سنة وعنه عليه السلام انه قال ما جميع اعمال البر عند
الجهاد الا كتفلة في بحر لجي وعنه عليه السلام انه قال ان
لكل طريق مختصرا وان اقرب طريق الى الجنة الجهاد في سبيل
الله وعنه عليه السلام انه كان يقول فضل الجهاد في سبيل
الله كمثل الصائم القائم لا يفتر عن صيام ولا صلاة حتى يرجع

والذى نفس محمد بيده لا يكلم احد فى سبيل الله الا جاء يوم
القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك
ويروى ان رجلا جاء اليه فقال يا رسول الله ان لى عملا
فهل يدركنى المجاهد فى سبيل الله قال وما عملك قال له
اصوم النهار واقوم الليل قال ما عملك عند المجاهد فى سبيل
الله الا كنومة ينامها المجاهد قال يا رسول الله ان لى مالا
فان انا انفقته ايكون لى مثل اجر المجاهد قال وكم مالك قال
ستة الاف قال فان انفقتها فى سبيل الله لم تبلغ شراك نعل
المجاهد فى سبيل الله وما من احد يغزو فى سبيل الله الا اعطاه
الله بعدد خلقه من مؤمن وكافر صغيرا وكبيرا ذكرا وانثى قيراطا
من الاجر وعنه عليه السلام انه بعث بعثا مع معاذ بن جبل
رحمه الله فتقدم القوم فتخلف معاذ ليصلى الظهر مع رسول
الله فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد
سبقك القوم بشهر فى الجنة فالحق اصحابك قال يا رسول
الله اردت ان اصلى معك وتدعو لى فيكون لى الفضل عليهم
قال بل لهم الفضل عليك الحق اصحابك فلو كان لك احد ذهبا
فانفقته فى طاعة الله حتى لا يبقى شئ ما ادركت سبقة القوم
الذين سبقوك وعنه عليه السلام انه قال ليغزون ناس
من هذه الامة بغير رزق ولا عطاء اجورهم كاجور اصحابى
ولوددت انى اقاتل فى سبيل الله فاقتل ثم احيا ثم اقتل
ثم احيا ثم اقتل وجاء عنه عليه السلام انه اتاه جبريل
عليه السلام فامره ان يجهز جيشا نحو العدو فامر بجهازهم
فجهزهم رجل ونسى منهم رجلا يدعى جريرا فلم يجهزه فخرج

جرير صابرا محتسبا وجعل جرير يمشي في آخر العسكر ولا يرفع
قدما ويضع اخرى الا وهو يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ونعم
الزاد هذا يا رب فنزل جبريل عليه السلام على النبي عليه السلام
فقال ان الله يقريك السلام ويقول لك انك جهزت العسكر
الا رجل يسمى جرير فانك لم تجهزه فانه يصعد منه كلام ابكى
به ملائكة السماوات فعجل بجهازه فبعث اليه بجهازه وقال
للرسول اسمع منه ما يقول فوصل اليه الرسول وسمع منه
ما يقول وقال له دونك جهازك فقال أورضي عني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كان سخط عليك حتى يرضى
عنك لكن نسيك حتى ذكره بك رب العالمين فخر جرير ساجدا
لرب العالمين وجعل يقول اللهم انك لم تنس جريرا فاجعل جريرا
لا ينساك ويروى انه عليه السلام ذكر الجهاد يوم بدر
ورغب فيه ووعد بالجنة فقال رجل يا رسول الله ارايت
ان قتلت في سبيل الله ما ذا لي قال الجنة وكان رجل ياكل
تمرات في يده فقال اني لحريص على الدنيا ان جلست حتى
افرغ هذه التمرات فرماهن من يده وقاتل حتى قتل وكان
عليه السلام يقول الجنة تحت ظلال السيوف وكان الحسن
فيما بلغنا يقول من كثرت سيئاته وقلت حسناته فليغزو
في سبيل الله الا وان الذنوب لتحبس صاحبها عن الغزو في
سبيل الله كما يحبس العزيم عزيمه ومصداق قول الحسن قول
الله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله
انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين الاية وقد

روى ابو هريرة فيما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ما يؤذن للعبد بالخروج فى سبيل الله حتى يفتح
الله له سبعين بابا من الرحمة والمغفرة والله سبحانه افضل
واكرم من ان يرده وقد بقى عليه شئ من ذنوبه لم يغفرها له
ويعطيه مع ذلك ثلاث خصال اولها يحمل خطاياه الى
باب بيته فاذا جاوزه خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
الثانيه لا تطلع شمس ولا تغرب الا غربت بخطاياه والثالثة
ان مات فى وجهته تلك مات شهيدا وجاء عنه عليه السلام
انه قال من مرض يوما فى سبيل الله او بعض يوم او ساعة
غفرت له ذنوبه وكتب الله له من الاجر عدل ماية الف رقبة
قيمة كل رقبة منها الف دينار وعنه عليه السلام انه قال
من صدع راسه يوما فى سبيل الله ثم احتسب ذلك غفر
له ما تقدم من ذنبه وما هلل مهلل وما كبر مكبر الا ابشر بالجنة
ومن صلى ركعتين فى سبيل الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه ومن قرا الف آية فى سبيل الله كتبه الله مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ومن كبر تكبيرة فى سبيل
الله رافعا بها صوته كانت له بها صخرة فى ميزانه اثقل من
السموات السبع والارضين السبع ومن فيهن وما بينهن
وما تحتهن ومن قال فى سبيل الله لا اله الا الله والله اكبر
رافعا بها صوته كتب الله له بها رضوانه ومن كتب له رضوانه
جمع بينه وبين ابراهيم ومحمد والمرسلين عليهم السلام
فى دار الجلال وعنه عليه السلام انه كان يقول طوبى لمن
اكثر ذكر الله فى سبيل الله فان له بكل كلمة سبعين الف

حسنة

حسنة كل حسنة بعشر امثالها مع ماله عند الله من المزيد
ومن بث علما في سبيل الله اعطاه الله بكل حرف مثل رمل
عالج حسنات وكان له مثل عمل من عمل به الى يوم القيامة
ومن صام يوما في رمضان في سبيل الله كان له خيرا من
عبادة ما ية الف سنة وستمائة الف حجة وستمائة الف عمرة
وستمائة الف رقبة ويبعد الله وجهه من النار سبعين
خريفا ويجعل الله بينه وبين النار خندقا عرضه ما بين
السماء والارض وكل نعيم مسؤل عنه صاحبه يوم القيامة
الا نعيما في سبيل الله وعنه عليه السلام انه قال
من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة
من النفاق وعن جابر بن عبد الله انه خرج غازيا مع اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يمشي فقيل له يا صاحب رسول
الله الا تركب اذا حملك الله قال جابر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله
حرمها الله على النار فنزل الناس معه يمشون وروي
عنه عليه السلام انه قال ما ترك قوم الجهاد في سبيل
الله الا اذلهم الله وما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر الا عمهم الله بالعذاب وما ترك قوم الجهاد في سبيل
الله الا اقتتلوا فيما بينهم وعنه عليه السلام انه كان يقول
من جهز غازيا فقد غزا ومن اظل راس غاز اظله الله يوم
القيامة يوم لا ظل الا ظل عرشه وكان له مثل اجره حتى
يرجع او يموت وعنه عليه السلام انه قال لان اشيع غازيا
في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وعنه عليه السلام

كان يقول ما من أهل بيت لا يغزو ومنهم غاز ولا يجهزون
غازيا ولا يخلفونه فى أهله بخير الا أصابهم الله بقارعة قيل
يا رسول الله وما القارعة قال بلاء فى انفسهم واموالهم
وعنه عليه السلام انه قال أيما امرأة جهزت زوجها فى سبيل
الله ثم لم تخلفه فى نفسها الا بما يحبه الا جعل الله لها مثل اجره
ولا ينقص من أجره شئ وعنه عليه السلام أنه قال ان ممن
يدخل الجنة سرا والناس فى الحساب من أمر بالجهاد وحض عليه
وكان سعيد بن المسيب فيما بلغنا يقول من حرض أخاه
على الجهاد فى سبيل الله قيل له ادع يستجب لك وتمن على الله
يوم القيامة بما شئت يعطيك ومن حرض اخاه على القتال
كان له مثل أجره ويعطى بكل خطوة خطا فى ذلك عبادة سنة
وعنه عليه السلام انه قال ان الملائكة لتصلى على الغازى
فى سبيل الله مادامت حمائل سيفه عليه ودرعه وسلاحه
وعنه عليه السلام ان رجلا جاءه فقال يا رسول الله ارايت
ان قتلت فى سبيل الله ايكفر ذلك عنى ذنوبى قال نعم الا الدين
كذلك قال لى جبريل الا ان يكون دين على احد ثلاثة اوجه
فان الله يقضيه عن صاحبه رجل ضعفت قوته عن الجهاد فى
سبيل الله فتداين ليتقوى به على قتال عدوه ثم مات ولم
يقضه فان الله تعالى يقضيه عنه ورجل مات عنده رجل من
المسلمين فلم يجد ما يكفنه ولا ما يواريه الا بدين فتداين
ثم مات ولم يقضه فان الله تعالى يقضيه عنه ورجل اخذ
دينا ليعتصم به بتزويج او لينفقه على اهله ثم مات ولم يقضه
فان الله تعالى يقضيه عنه وعنه عليه السلام انه قال

ما تقدم رجل خطوة فى سبيل الله الا طلعت عليه الحور العين فاذا
تأخر استترن عنه فاذا استشهد كان اول نضحة تنضحت من دمه
كفارة لخطاياه وتنزل عليه اثنان من الحور العين يمسحان التراب
عن وجهه ويقلن مرحبا مرحبا قد نحن لك ويقول قد انا لكما وعنه
عليه السلام كان يقول ان للشهيد عند الله تعالى ست خصال
يغفر له من اول دفعة من دمه ويبتوا مقعده من الجنة ويحلا
بحلية الايمان ويجار من عذاب القبر ويؤمن من الفزع الاكبر ويلقى
على راسه تاج من الياقوت خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين
وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من اقاربه واهل
بيته ممن كان على الاسلام وفى حديث ءاخر عنه عليه السلام انه
قال الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احدكم الم القرصة وفى لفظ
ءاخر لعظة نملة أشد على الشهيد من الم السلاح بل هو اشهى اليه من
الشراب البارد فى يوم صائف وعنه عليه السلام كان يقول ليس
بين حياة الشهيد فى الدنيا وحياته فى الاخرة الا كمضغ تمرة وعنه
عليه السلام قيل له ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهداء فقال
عليه السلام كفى ببارقة السيوف على رؤسهم فتنة وعنه عليه
السلام انه قال افضل الجهاد كلمة عدل تقال عند امام جائر يقتل
عليها صاحبها وفى كتاب الحضرمى قال وقيل لما فتحت خيبر
قال عليه السلام لجرير هل تعجبك هذه الحلة قال نعم يا رسول
الله قال عليه السلام لو رايت منا ديلا فى الجنة علمت انها
ليست مثل حلتك قال قلت اهى لشهداء بدر قال عليه السلام
بل لغيرهم من امتى قال من هم قال قوم فى ءاخر الزمان تاتيهم اشرارهم
مرج لشهيدهم مثل ما لسبعين رجلا من شهداء بدر الايمان

راسخ فى قلوبهم وانا اعلم باسمائهم من الوالد بولده وان الجنة لتشتاقهم كما تشتاق الناقة الى ولدها وذلك اذا وهن الدين وعطلت الحدود وظهر اهل الجور على اهل الحق انتبذت منهم فرقة من امتى من تخلف عنهم من غير عذر فانا منه بريء وهو منى بريء قال يا رسول الله هل ادرك ذلك الزمان قال عليه السلام لا قال كيف لى حتى ابلغ الى ذلك الثواب قال عليه السلام لو تقربت الى الله بمثل ثواب العابدين من الاولين والاخرين لكنت عسى ان تدرك فضل نائمهم فى رباط ساعة واحدة وعن ابى هريرة عنه عليه السلام انه سمعه يقول فى قوله عز وجل ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الارض الا من شاء الله قال الشهداء هم الذين استثناهم الله عز وجل من الصعق قال اذا سمعوا النفخة الاولى قالوا كان هذا اذان المسلمين فى الدنيا فلا يموتون ولا يفزعون وهم تحت العرش متقلدين سيوفهم والذى نفسى بيده ان الشهداء ليأتون يوم القيامة سالين سيوفهم واضعيها على عواتقهم لو يمرون بابراهيم خليل الله او نبى من الانبياء لخلالهم طريقهم يقول اهل الجنة هؤلاء الذين اهرقوا فى سبيل الله دماءهم حتى يجلسوا على منابرهم من نور ينظرون الى الخلائق كيف يحاسبون وهم قد امنوا الحساب وما لهم عند الله افضل وفى كتاب الحضرمى قال ويقال ان المقتولين فى سبيل الله يأتون يوم القيامة متقلدين السيوف وجراحهم تنضح دما على لون الزعفران ورائحة المسك و يقولون للخلائق افرجوا الناعن الطريق فنحن الذين ارقنا فى الله دماءنا وايتمنا فيه ابناءنا وارملنا فيه نساءنا ويقول الله تعالى اولياءى اراقوا فى دماءهم وعن النبى عليه الصلاة والسلام قال لو كنت

انا وابراهيم صلى الله عليهما الا وجبا لهم عن الطريق لما رأوا من
كرامتهم على الله وقيل انه يكون من كرامتهم على الله انه تكون
لهم موائد تحت ظل العرش والناس فى اهوال يوم القيامة وعن العلا
ابن كثير انه قال اذا اجمع الله الخلائق ليفصل بينهم يقول الشهداء
اذهبوا بنا الى ربنا ننظر كيف يحكم بين عباده وهم قد امنوا ذلك وعن
كعب الاحبار انه قال يوجد على باب الجنة رجل وهو يبك فيقال
له ما يبكيك ألست من اهل الجنة قال بلى ولكن لم اقتل فى سبيل
الله الا قتلة واحدة فلو انى قتلت فى سبيل الله الف الف قتلة كان
قليلا عند ما اعد الله لى من الكرامة وعن عبد الله بن عمر انه كان
يقول والذى نفسى بيده ان الملائكة لتتمنى منازل الشهداء الذين
ماتوا على فرشهم واما الذين قتلوا فى سبيل الله فلا يطمع احد من
الملائكة ان يكون فى منزلتهم وما من ميت يموت ويريد الرجوع الى
الدنيا الا الشهيد فانه يريد الرجوع الى الدنيا ليقتل فى سبيل الله
مرة اخرى وعنه عليه السلام انه قال موطنان تزخرف عندهما
الجنة وتتزين فيهما الحور العين عند الصلاة وعند القتال فاذا
انصرف المصلى من صلاته ولم يسأل الله الجنة ولا الحور العين
قلن ويح هذا الذى لم يسأل من الله الحور واذا كان عند القتال
قالت زوجته من الحور العين أقدم أقدم ولا تخزنى فى صواحباتى
وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لما اصيب اخوانكم يوم احد
جعل الله ارواحهم فى حواصل طير خضر ترد بهم انهار الجنة وتاكل
من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا
طيب مشربهم ومأواهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا يا ليت اخواننا
يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا يستاخروا عن الحرب

فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الآية
وبالجملة افضل منزلة الناس عند الله تعالى بعد الانبياء والرسل الشهداء
كما قدمنا من فضلهم وقد قال عليه السلام لو لم يكن الشهداء من
امتي الا من قتل بالسيف فهم اذا قليلون ثم قال عليه السلام القتيل
شهيد وصاحب الهدم شهيد والمبطون شهيد والغريق شهيد
ومن اكله السبع شهيد والسليم شهيد يعني اللديغ ومن ذكر الله اذا
دخل مضجعه ثم مات فهو شهيد والنفساء شهيد ومن مات على
فراشه وهو يريد ان تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
شهيد وعن محمد بن محبوب رحمه الله انه قال الشهيد المرزوق
من قتل بالسيف وقد روي عن ابي مرداس مهاصر رحمه الله
انه لما التقى المشايخ مع خلف بن السمح بفاغيس واشتد القتال
قال ابو مرداس ضمنت الجنة لمن مات ها هنا اليوم الا من كان فيه
ثلاث خصال قتل النفس التي حرم الله واكل اموال الناس ظلما
والقاعد على الفراش الحرام وسأجعل له منهن مخرجا ان شاء الله
اما من قتل النفس التي حرم الله فليقد نفسه لاولياء المقتول
فان لم يحضروا فليشهد انه انما يقاتل بنفس غيره واما من كانت عليه
اموال الناس فليعطها فان لم يجد فليوص بها والقاعد على الفراش
الحرام فليرفع نفسه وقد روي ان ابا عبيدة عبد الحميد الجناوني
رحمه الله انه فعل مثل ذلك حين التقى مع خلف ايضا والله اعلم
والجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن
الباقين ما لم يتركوه استخفافا بحقه او ديانة بتركه ولا يجب الا
بامام عادل وعدة وعدد يبلغ نصف العدو ولا ينبغي ان يخرج

الانسان الى الجهاد الا باذن أبويه الا ان كان ممن لا يقوم الجهاد
الا به وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل للمبايعة
على الجهاد فقال يا رسول الله لقد جئتك وابواي ليبكيان فقال
عليه السلام ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وان علمت ان
هواهما ان تقيم عندهما فاقم وجاء عنه عليه السلام انه قال
ان اصحاب الاعراف هم ناس خرجوا الى الجهاد في سبيل الله بغير
اذن ءابائهم فقتلوا فمنعوا من الجنة بمعصية ءابائهم ومنعوا
من النار بقتلهم في سبيل الله ويقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قاتل معه يوما احد عبد مملوك فقال له عليه السلام
اذن لك سيدك فقال لا فقال له لو قتلت لدخلت النار فقال له
سيده هو حر يا رسول الله فقال له الان فقاتل وعنه عليه السلام
انه قال من غزا غزوة في سبيل الله فقد أدى الى الله جميع طاعته
وادى الحق الذى لا تقصير دونه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
فقالوا يا رسول الله من يدع الجهاد على ما سمع منك فقال من لعنه
الله وغضب عليه واعد له عذابا عظيما وليكونن في ءاخر الزمان
قوم يقولون لا جهاد فمن لقي الله وهو يقول ذلك عذبه الله عذابا
لا يعذبه احدا من العالمين وجاء عنه عليه السلام انه قال
لا يزال الجهاد حلوا خضرا ما قطر القطر من السماء وسيأتي على
الناس زمان يقول فيه قراءهم ليس هذا زمان جهاد فمن ادرك
ذلك الزمان فنعم زمان الجهاد فقالوا يا رسول الله اويقول ذلك
احد قال نعم من عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين للمجاهد
في ذلك الزمان ما للمجاهد هذا اليوم من الاجر وعنه عليه السلام
انه قال الشهداء ثلاثة رجل خرج بماله ونفسه ونيته لا يقتل ولا

يقتل وهو يكثر الناس بسواده وفسطاطه اصابه سهم فقتله
فذلك يغفر له باول قطرة تقطر من دمه على الارض ويولى بجسد من الجنة
فيجعل فيه روحه ثم يؤتى بحلة من الجنة فيصب عليها ستون لونا
كشقائق النعمان ثم يعرج مع الملائكة حتى يؤتى به الى الجنة ورجل
خرج مجاهدا فى سبيل الله بنفسه وماله ونيته ان يقتل ويقتل
فذلك شهيد شاهد يتمنى على الله ما شاء يشفع فى سبعين من جيرانه
وما من امرئ مسلم يخرج فى سبيل الله الا ويأتى يوم القيامة وعليه
طابع الشهداء ويقال الخيل تقسم ثلاثة اقسام فرس للرحمن
وفرس للانسان وفرس للشيطان فاما فرس الرحمن فالذى يتخذ
للقتال فى سبيل الله وفرس الانسان فالذى يتخذه للراحة
وفرس الشيطان فالذى يتخذه للمفاخرة وقوة على الاسلام
وجاء عنه عليه السلام انه قال من ارتبط فرسا فى سبيل الله
كان سيفه ورمحه وبوله وروثه وشعره حسنات فى ميزانه يوم
القيامة وعنه عليه السلام انه قال من مات مرابطا فى سبيل الله
اجرى الله عليه عمله الصالح الذى كان يعمل واجرى عليه رزقه
وأمن من فتن القبر ويبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع وهو
فى قبره مرابط الى يوم القيامة ويبعث الله اقواما يمرون على الصراط
كهيئة الريح حتى يلحقوا الجنة قيل من هم قال اقوام ادركهم الموت
وهم فى الرباط وعنه عليه السلام انه قال رباط رجل فى سبيل
الله ليلة افضل من الف ليلة فى اهله يقوم لياليها لا يفتر ويصوم نهارها
لا يفطر وفضل الجهاد والرباط ما لا يحصيه كتاب وقد ذكرنا من
فضلهما ما فيه الكفاية فالجهاد موضوع لقتل اعداء الله واعلاء
كلمة الله والرباط لحقن دماء اولياء الله الذابين عن دين الله

فحقن دمائهم افضل من سفك دماء اعداء الله وانما يتم الجهاد
بامام عادل واختلف في الغزو مع الجبابرة فاجازه بعض ومنع
منه آخرون ويقال من حرض رجلا على الجهاد كان له مثل اجره
واجر نبي بلغ رسالة ربه ومن ثبطه عن الجهاد في سبيل الله فلو
يفتدي يوم القيامة بملء الارض ذهبا لم يقبل منه وفي الحديث
عنه عليه السلام قال مثل المجاهد في سبيل الله من امتي
كمثل جبريل وميكائيل في الملائكة وانما ينال فضل الجهاد المسلم
الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فقتل على ذلك ولم تزل
اولياء الله في سالف الدهر يقتلون ويقتلون في سبيله فما نسيهم
ربك وما كان ربك نسيا ولاجل ما ذكرنا من الفضل في الجهاد
قال ابو بلال رحمه الله تعالى لكل منية ظنون الا القتل في سبيل
الله وقال حين وقف على البلجاء وهي امراة من المسلمين قتلها
الفاسق عبيد الله بن زياد فقال ابو بلال لو اني صرعت مصرع
البلجاء لعلمت اني ابعث على الصراط السوي وقيل عنه انما قال يوم
قتل لو ان لي نفسين نفسا تقاتل في سبيل الله ونفسا تقوم في
حوائج المسلمين ومما يختار من استعاره قوله فيما ذكر المبرد في كتابه
الكامل

اَبَعْدَ ابْنِ وَهْبٍ ذِي النَّزَاهَةِ وَالتُّقَى * وَمَنْ خَاضَ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ الْمَهَالِكَا
اُرَجِّي حَيَاةً اَوْ اُحِبُّ سَلَامَةً * وَقَدْ قَتَلُوا زَيْدَ بْنَ حِصْنٍ وَمَالِكَا
فَيَا رَبِّ سَلِّمْ نِيَّتِي وَبَصِيرَتِي * وَزِدْنِي التُّقَى حَتَّى اُلَاقِيَ اُولَائِكَا

وقوله

اِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى بِعَاجِلَةٍ * نَفْسِي وَشِيكًا فَلَا وَاللهِ مَا اتَّزَنَا
تَقْوَى الْاِلَهِ وَخَوْفُ النَّارِ اَخْرَجَنِي * وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَ لَهُ ثَمَنَا

مَنْ كَانَ يَرْجُو بَقَاءً لَا نَفَادَ لَهُ * فَلَا تَكُنْ جَنَّةُ الدُّنْيَا لَهُ سَجَنَا

وقوله

مَاذَا نَبَالِي إِذَا أَرْوَاحُنَا خَرَجَتْ * مَا فَعَلْتُمْ بِأَجْسَادِي وَأَوْصَالِي
نَرْجُو الْجِنَانَ إِذَا صَارَتْ جَمَاجِمُنَا * تَحْتَ الْعَجَاجِ كَمِثْلِ الْحَنْظَلِ الْبَالِي
إِنِّي امْرُؤٌ بَاعَنِي رَبِّي لِمَوْعِدِهِ * إِذَا الْقُلُوبُ هَوَتْ مِنْ خَوْفِ أَهْوَالِ
وَأَدَّتِ الْأَرْضُ مِنَّا مِثْلَ مَا أَخَذَتْ * وَقُرِّبَتْ لِحِسَابِ الْقِسْطِ أَعْمَالِي
نَفْسِي ظُنُونٌ وَلَسْنَا الدَّهْرَ آمِنَهَا * مِنْ بَعْدِ كَعْبٍ وَطَوَّافٍ وَغَسَّالِ
مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ كَانَ لَهُ * وُدِّي وَشَارَكَهُ فِي تَالِدِ الْمَالِ
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أُحِبُّهُمُ * إِلَّا لِوَجْهِكَ دُونَ الْعَمِّ وَالْخَالِ

وقد قال عمران بن حطان فى آخر قصيدته التى رثى بها ابا بلال واصحابه رحمهم الله

أَتَعْجَزُونَ وَتَرْجُونَ اللَّحَاقَ بِهِمْ * أَنَّى يَكُونُ ذَوُو عَجْزٍ كَأَكْيَاسِ

وقال

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بُغْضًا * وَحُبًّا لِلْخُرُوجِ أَبُو بِلَالِ
أُحَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي * وَأَرْجُو الْمَوْتَ فِي دَارِ الْعَوَالِي
وَمَنْ يَكُ هَمُّهُ الدُّنْيَا فَإِنِّي * لَهَا وَاللهِ رَبِّ الْبَيْتِ قَالِي
فَلَوْ أَنِّي وَثِقْتُ بِأَنْ حَتْفِي * كَحَتْفِ أَبِي بِلَالٍ لَمْ أُبَالِ

وله قصائد كثيرة تركناها اذ ليس هذا الكتاب موضوعا للاخبار النثرات وبالله التوفيق وعلى هذا مضى اوائل المسلمين رحمهم الله ممن يطول الكتاب بتعدادهم افنوا المخ واللحم فى العبادة فلم يرضهم ذلك فى ذات الله حتى اهرقوا عليه دماءهم ومزقوا عليه ابدانهم فرحمة الله على تلك الابدان وادخل ارواحهم الجنان فانا لله وانا اليه راجعون على مصيبتنا فى انفسنا وضعف عزائمنا

فى دينا

فى ديننا وبالله التوفيق

* الباب الثانى فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن

المنكر وفضلها والمذمة فى اهمالها واضاعتهما ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارة العقول السالمة اليه على ما سيأتى ان شاء الله الايات والاخبار والاثار * (اما الايات) * فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون فقوله ولتكن امر وظاهره الايجاب والالزام وفيه بيان ان الفلاح متعلق به وانه فرض كفاية لا فرض عين اذا قامت به جماعة سقط الفرض عن الاخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة فمهما قام به جماعة او واحد سقط الاثم عن الباقين وخص بالفلاح القائمين به المباشرين له وان تركه الجميع هلكوا اذا كانوا قادرين لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب الى قوله واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الاخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف الاية فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والذى هاجرها خرج عن المؤمنين الموصوفين فى هذه الاية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علل استحقاقهم اللعنة بتركهم النهى عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف الاية وهذا

يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا به خير امة
وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء
الآية فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك
على الوجوب ايضا لانه لا يتعلق الثواب والعقاب جميعا الا على
الفرض وقال سبحانه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف الآية فقرن ذلك بالصلاة و
الزكاة في نعت المؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
الآية وهذا امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طريق
الخير وسد سبيل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال
تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت
لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك النهي وقال تعالى
فلولا كان من القرون من قبلكم الى قوله ممن انجينا منهم فبين أنه
اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله الآية فهذا امر عام للقادرين
عليه وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف الآية وقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا الآية والاصلاح نهي عن البغي واعادة على
الطاعة فان لم يفعل فقد امر بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي الآية
وذلك هو النهي عن المنكر وقال فيما حكي عن لقمان لابنه وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك الآية فالخير
كله داخل في الامر بالمعروف والشر كله داخل في المنكر وسمي
المعروف معروفا لان العقول تعرفه وتوجبه وسمي المنكر منكرا
لان العقول تنكره وتأباه وقد قالت العرب الفاحشة كاسمها

والله اعلم (واما الاخبار) عن الرسول عليه السلام فكثيرة منها
ما روى عن ابى بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة خطبها ايها
الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتتأولونها على خلاف تاويلها يا ايها
الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فاني سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من
يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من
من عنده وروى عن ابي ثعلبة الخشني انه سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
فقال يا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع العوام
ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم
عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم
تجدون على الخير اعوانا ولا يجدونهم ووجدت ان قوله تعالى لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم قيل ان نهله ووه اذا اهتديتم وقيل نزلت في ناس
اسلموا دون عشائرهم فاغتموا فنزلت الاية والله اعلم وعن ابن
مسعود رحمه الله انه سئل عنها فقال ان هذا ليس زمانها انها
اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان يأتي زمانها تامرون بالمعروف
فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون ولا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم
ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم قيل معنى ذلك تسقط مهابتهم
عن اعين الاشرار فلا يخافونهم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله تعالى يقول لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل ان

تدعو فلا يستجاب لكم وعنه عليه السلام انه قال ما اعمال
البر عند الجهاد فی سبيل الله الا كنفثة فی بحر لجی وما جميع اعمال
البر والجهاد فی سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
الا كنفثة فی بحر لجي وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليسأل
العبد ما منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته
قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وعنه عليه السلام انه
قال اياكم والجلوس على الطرقات الا لما لا بد منه قالوا انما هي مجالسنا
نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه قالوا
وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر
بالمعروف والنهی عن المنكر وذكر الله تعالى وعنه عليه السلام
انه قال ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر
بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه وعن
ابی امامة الباهلی عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كيف بكم اذا
طغا نساءكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن
يا رسول الله قال نعم والذی نفسی بيده واشد منه سيكون قالوا
وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا لم تامروا بالمعروف
ولم تنهوا عن المنكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذی
نفسی بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول
الله قال كيف انتم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا
وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذی نفسی بيده واشد
منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم
اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول
الله قال نعم والذی نفسی بيده واشد منه سيكون يقول

الله تعالى في حلفت لا اتيحن عليهم فتنة يصير الحليم فيها حيرانا
وعن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تقفن على رجل يقتل او يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على
من حضره حين لم يدفعوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لا ينبغي لامرء شهد مقاما فيه حق الا ان يتكلم به فانه لن يقدم اجله
ولن يؤخره ولن يحرمه رزقا هوله وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز
دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد
المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضر
ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا
اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق
والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغير وهذا يقتضي لزوم الهجرة
للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم
واولادهم الا لمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد
اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتن ولم يامنوا ان
تعيرهم وان ينزل العذاب في اولئك القوم فلا يسلمون منه ورأوا
ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم
ثم قرا ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل
الله جل ثناؤه في النبوة لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا
ان الملائكة تلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم
فيناديها فتجيبه ويسألها اين امرت فتخبره وليس بنبي قال وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية
فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها
ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه

فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وعن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا
الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم
بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون
بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم
قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما تعرفون ويعملون ما تنكرون
فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع
فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وعن
ابن مسعود رحمه الله انه قال كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان
فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون
كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون
عليه ولا يدعون اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل
وقال اللهم اني نهيتهم فعصوني فسببتهم فسبوني وقاتلتهم
فغلبوني ثم ذهب ثم قام الاخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه
فاعتزل ثم قال اللهم اني نهيتهم فلم يطيعوني فسببتهم فسبوني
ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه
فاعتزل عنهم ثم قال اللهم اني نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني
ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم
لعصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب قال
ابن مسعود كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وعن ابن
عباس رضي الله عنه انه قال قيل يا رسول الله اتهلك القرية
وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم
عن معاصي الله عز وجل وعن جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه

وسلم انه قال اوحى الله الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا
وكذا على اهلها فقال يا رب ان فيهم عبيدك فلان الم يعصك طرفة
عين قال اقلبها عليه وعليهم فانه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وعن
عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا
يا رسول الله كيف ذلك قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون
بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه ان موسى
عليه السلام قال يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع
الى هواي كما يتسرع النسر الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين
كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب اذا اتيت محارمي كما يغضب
النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس ام
كثروا فهذا يدل على فضل الحسبة مع شدة الخوف وفي اثر منها
من اهل المشرق وقيل والله اعلم ان الله تبارك وتعالى اوحى الى
الملائكة ان ينزلوا على اهل قرية فيهلكوهم فلما نزلت الملائكة
وجدوا قوما في المساجد والله بذلك اعلم فرجعت الملائكة فقالت
الهنا ارسلتنا ان نهلك اقواما في المساجد وهو تعالى اعلم فاوحى
الله اليهم باولئك فابدؤا اولئك لم يعصوني ولكن شاربوهم
وواكلوهم وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قال ابوبكر
يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال نعم يا ابابكر
ان لله مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقين
يمشون على الارض يباهي بهم الله ملائكة السماء وتزين لهم
الجنة كما تتزين ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابوبكر يا رسول الله من هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون

عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله قال والذي نفسي بيده
ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء
للغرفة منها ثلاث مائة باب منها الياقوت والزمرد الاخضر
على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج ثلاث مائة الف حوراء
قاصرات الطرف عين كلما التفت واحدة منهن فنظر اليها فتقول
اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت
الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى عن
منكر وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول
الله اي الشهداء اكرم على الله تعالى قال رجل قام الى وال جائر
فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فان لم يقتله فان
القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وعن الحسن البصري
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال افضل شهداء امتي رجل قام الى
امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك
الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وعن عمر رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوما
لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فان ذلك لا يقرب اجلا ولا
يقطع رزقا وقال اذا كانت الارزاق موافات فعلى م التهافت
في النار واما الاثار فقد روى ان حذيفة رضي الله عنه سئل
عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بقلبه ولا
بلسانه وقد روي هذا ايضا عن النبي عليه السلام وعن ابي الدرداء
انه قال لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليسلطن الله
عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه

خيارکم

خيارکم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون
فلا يغفر لهم وفي الاثران الامر بالمعروف والنهي عن المنكر جندان
من جنود الله فمن نصرهما نصر الله ومن خذلهما خذله الله ويقال
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينصبان يوم القيامة ويكونان
صورتين يشهدان ويشفعان وفي رواية مشائخ الجبل ان
عجوزا من اهل كرلين بعثت الى اخت لها في الله يا اختاها اياك ان تترکی
سهمك من الامر والنهي فانه بلغني من احيى سهمه منهما كمن يغدى
المسلمين من غد وان من ترك سهمه منهما كمن قتل المسلمين وباع
سهمه من الجنة وعن مالك بن دينار انه قال كان حبر في بني
اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء يعظهم ويذكرهم بايام الله
فرءا بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا
فسقط من سريره وانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه فاوحى
الله تعالى الى نبي زمانه ان اخبر فلانا الحبر انى لا اخرج من صلبك
صديقا ابدا اما كان من غضبك لى الا ان قلت مهلا يا بني وفي قول
الله تعالى ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا قيل يا رسول الله
ما كانت موالاتهم قال يواكلونهم ويشاربونهم ويجالسونهم وعن
حذيفة رضي الله عنه انه قال ياتى على الناس زمان لان تكون فيهم
جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يامرهم وينهاهم وفي الاثران
الله تعالى اوحى الى يوشع بن النون عليه السلام انى مهلك من
قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال
يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي
وواكلوهم وشاربوهم وعن بلال بن سعد انه قال ان المعصية
اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت فلم تغير اضرت

بالعامة وقد قال الله جل جلاله فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء الآية فاخبران الناهي ناج بنهيه فكان عامل المعصية والراضي بها شريكين في عقوبة الله تعالى فصار النهي عن معصية الله تعالى منجانا من عذاب الله وعن كعب الاحبار انه قال لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك في قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال ما تقول قال تقول ان الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب ابو مسلم وعن علي ابن ابي طالب انه قال أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال بعض العلماء ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر الله به اونهى عنه وتعلق به عند فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قام الله في زمانه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قيل معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تامر وتنهى فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا به وعن الثوري أنه قيل له الا تامر بالمعروف وتنه عن المنكر فقال اذا انفتق البحر فمن يشده فقد ظهر بما ذكرنا من الادلة ان الامر والنهي فرضان واجبان مع القدرة على كل مكلف شاهد ذلك حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى ولا يسقطان الا بقائم يقوم بهما لانهما فرض على الكفاية فمن قدر ان ينكر بيده فليفعل وان لم يقدر فبلسانه وان لم يقدر فبقلبه وهو اضعف الانكار وليس لذلك عذر يمنعه

ولاضعف يزيله وان قدر ايضا ان يظهر الانكار على اهل المعاصي بالهجران واكفهرار الوجه فليفعل وانما اجاز الله سبحانه للمسلمين ترك اظهار المنكر عند عجزهم رخصة منه تعالى لهم ومن اظهر النكير طلبا للوسيلة فله ثواب ذلك على ما قدمنا من فضيلته والله اعلم * (فصل) * اعلم ان الله تعالى فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تاكيدا لتحريم زواجره وامتثال اوامره لان النفوس الاشرة قد الهتها الصبوة عن اتباع الاوامر واذهلتها الشهوة عن تذكار الزواجر فكان انكار اهل جنسها ازجر لها وتوبيخ المخالطين لها ابلغ فيها فلا خلاف بين الناس ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع المكنة وظهور القدرة واجب على من شاهد ذلك من فاعله او سمعه من قائله وانما اختلفوا من طريق وجوبه هل وجب عليهم ذلك بالعقل او بالشرع فذهب بعض المتكلمين الى وجوب ذلك بالعقل لانه لما وجب بالعقل ان يمتنع عن القبيح وجب عليه ايضا بالعقل ان يمنع غيره منه وقد روي مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال ان قوما ركبوا سفينة في البحر فاقتسموها فعمد رجل منهم الى موضعه فاخذ فاسا ينقره بها فقالوا ما تصنع فقال هذا مكاني اصنع فيه ما شئت فان اخذوا على يده ومنعوه سلم وسلموا وان تركوه هلك وهلكوا وذهب آخرون الى وجوب ذلك بالشرع لا بالعقل قالوا لان العقل لو اوجب النهي عن المنكر ومنع التغيير عن القبيح لوجب مثله على الله سبحانه قالوا ولما ورد الشرع باقرار اهل الذمة على كفرهم وترك النكير عليهم دل على ان وجوب ذلك بالشرع لا بالعقل والله اعلم واحكم * . * . * ; * . * . *

(الباب الثالث في اركان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وشروطهما وهي اربعة اركان المحتسب والمحتسب عليه و المحتسب فيه ونفس الاحتساب ولكل واحد من هذه الاربعة شروط مشروطة * (الركن الاول) * المحتسب وهو المباشر للأمر والنهي وله شروط وهو ان يكون مكلفا بالغا عاقلا موحدا قادرا فيخرج منه الصبي والمجنون والعاجز ويدخل فيه العبد والمرأة والفاسق اما التكليف فلا يخفى اشتراطه ان اريد به الوجوب واما ان اريد به امكان الفعل وحصول التمييز فلا يشترط فيه التكليف لان الصبي المميز الذى راهق البلوغ له ان يريق الخمر وينكر المنكر وان لم يكن مكلفا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف لان هذه قربة وهو من اهلها ينال عليها الثواب كما ان له على الصلاة وسائر القربات قبل البلوغ وليست كالولايات حتى يشترط فيها التكليف ولذلك وجب على العبد واحاد الرعايا نعم في المنع عن الفعل وابطال المنكر نوع ولاية و سلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وكسر الاصنام فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر وكذلك الايمان لا يخفى اشتراطه لان هذه نصرة للدين فكيف يكون من اهلها من هو جاحد لاصل الدين هذا من جهة الشرط واما من جهة التكليف فلا لان المشرك مامور بجميع الفرائض منهى عن جميع المعاصي من الامر والنهى وغير ذلك واما العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب بالامر والنهى وربما استدلوا بالايات والاخبار الواردة بالانكار على من يامر بما لا يفعله مثل قوله تعالى

اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله كبر مقتا عند
الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من انتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن المنكر
ونأتيه وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى بن مريم عظ نفسك
فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من
طريق القياس ان تقويم الغير فرع الاستقامة والاصلاح زكاة عن
نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره
ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل ما ذكروه خيالات وانما
الحق ان للفاسق ان يحتسب بالامر والنهي لانه لا يشترط في
الاحتساب العصمة عن المعاصي كلها فمن زعم انه لا يجوز لاحد
ان يأمر وينهى حتى يكون معصوما فقد خرق الاجماع وحسم
باب الامر والنهي اذ لا عصمة للصحابة فضلا عن من دونهم و
الانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الصغائر والقرآن دال على
نسبة الانبياء الى المعصية والظلم لانفسهم ولهذا قيل عن سعيد
ابن جبير انه قال ان لم يامر بالمعروف ولا ينه عن المنكر الا من لا
يكون فيه شيء لم يامر احد ابشيء وقد روي عن النبي عليه
السلام انه قال مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن
المنكر وان لم تنتهوا عنه كله ولم تزل جنود اهل الاسلام مشتملة
على البار والفاجر في الغزو والجهاد ولم يمنعوا عن ذلك في عصر
الرسول عليه السلام وغيره من الاعصار والتحقيق في هذا ان
الاحتساب تارة يكون بالوعظ ولا ينفع وعظ من لا يتعظ عند
من علم ذلك منه ويكون الاحتساب تارة بالقهر والمنع فلا

جبر على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر على
ذلك وكذلك اغاثة المظلوم وقمع الظالم وغيره من المنكر والله
اعلم واما الايات والاخبار التي استدلوا بها فهي انكار عليهم
من حيث تركهم المعروف وارتكابهم المنكر لا من حيث الامر
والنهي لان امرهم ونهيهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم
التارك اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه فالجاهل غير معذور
فكيف العالم وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون فالمراد به
الوعد الكاذب وقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
توبيخ من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم
ان ذلك ادل على علمهم واقوى في تاكيد الحجة عليهم وقوله يا ابن
مريم عظ نفسك الحديث هو في الاحتساب بالوعظ وقد
سلمنا ان وعظ الفاسق قليل الجدوى ساقط القبول عند من
يعرف فسقه ثم قوله والا فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير
بل معناه لا تترك مهم نفسك وتشتغل بمهم غيرك كما يقال احفظ
اباك ثم جارك والا فاستحي والله اعلم وقد روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه قال لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له
والناهين عن المنكر الفاعلين له واما احاد الرعية فانما ذكرنا
ذلك لان قوما اشترطوا في المحتسب ان يكون ماذونا له من
جهة الامام او الوالي وهذا الاشتراط فاسد فان الايات
والاخبار التي قدمناها تدل على ان كل من رءى منكرا فسكت عنه
مع القدرة على انكاره فهو اثم عاص اينما رءاه وكيفما رءاه
على العموم واستمرار علماء السلف في انكارهم على السلاطين قاطع
بصحة ذلك ووجوبه من غير اذن الامام فكل من امر بالمعروف

سلطانا او واليا فان كان راضيا به فذلك وان كان ساخطا فسخطه لذلك ايضا منكر منه يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه وقد روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفي كتاب الغزالي قال وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحي الناس عن البيت قال فوثب عبد الله بن مرزوق فلبسه بردائه ثم هزه فقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبين البيت من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال عبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة تشنع عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيئ الخلق ليعقره الفرس فامن الله له الفرس ثم انهم صيروه في بيت واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل البقل فاذن له المهدي فقال له من اخرجك قال الذي حبسني قال فضحك المهدي ثم صاح وقال ما اخلق بنا ان اقتلك فرفع اليه عبد الله راسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك احياء او موتا قال فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من

يديهم ان يحز ماية بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحر ماية بدنه
قال وروى حيان بن عبد الله قال تنزه هارون المدعو بالرشيد
بالدوير ومعه سليمان بن ابي جعفر الهاشمي فقال له هارون
قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم
يحمد غناءها فقال لها ما شانك فقالت له ليس هذا عودي
فقال للخادم جئها بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط
النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراى العود
فاخذه فضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب
الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المؤمنين فقال صاحب
الربع ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين
فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل على هارون فقال اني مررت
على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع الى راسه فرى العود
فاخذه وضرب به الارض فاستشاط هارون وغضب واحمرت
عيناه فقال له سليمان بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير
المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في
دجلة قال لا ولكن نبعث اليه مناظره اولا فجاء الرسول فقال
اجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى
وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء
اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ
او نقوم الى مجلس آخر فقالوا نقوم الى مجلس آخر اصلح فقاموا
صاعزين الى مجلس آخر ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي
كمه الكيس الذي فيه النوا فقال له الخادم اخرج هذا وادخل
على امير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة فقال نحن نعشيك

قال لاحاجة لي في عشائك فقال له هارون أي شيء تريد منه فقال في كمه نوى قلت له فاطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال له دعه لا تطرحه قال فدخل له فسلم وجلس فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت وجعل هارون يستحي ان يقول كسرت عودا فلما اكثر عليه قال اني سمعت آباءك واجدادك يقرون هذه الآية على المنبر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر الآية ورايت منكرا فغيرته قال فغيره والله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة وقال له اتبع الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت يعالجها ولم يكلم احدا فقال له قال لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على النواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول

* ارى الدنيا لمن هي في يديه ❁ هموما كلما كثرت لديه *
* تهين المكرمين لها بصغر ❁ وتكرم كل من هانت عليه *
* وفي التقوى من الدنيا بلاغ ❁ ورزق المرء مبعوث اليه *
* اذا استغنيت عن شيء فدعه ❁ وخذ ما انت محتاج اليه *

قال وقد روي عن المأمون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك وكان المأمون جالسا على كرسي ينظر في كتاب أو قصة فأغفله فوقع

منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال المحتسب ارفع قدمك
عن اسماء الله ثم قل ما شئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا
تقول حتى أعاد ثالثا فلم يفهم عنه فقال أما رفعت او اذنت لى
حتى ارفع فقال قد اذنت فنظر المأمون تحت قدمه فرءى الكتاب
فاخذه وقبله وخجل ثم عاد فقال لم تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك
الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله فيهم الذين ان مكناهم فى الارض
الى قوله وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير
المؤمنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير
انا اعوانك واولياء لك فيه ولا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله
وسنة نبيه عليه السلام قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد
بعضه بعضا وقد مكنت فى الارض وهذا كتاب الله وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك
حرمتهما فان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذى
اليه امرك وبيده عزك وذلك انه قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن
عملا فقل الآن ما شئت فأعجب المأمون بكلامه وسربه وقال مثلك
يجوز له ان يامر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن
راينا فاستمر الرجل على ذلك ففى سياق هذه الحكايات بيان
الدليل على الاستغناء عن الاذن والله اعلم * (فصل) *
فان قيل يجب الاحتساب للولد على الوالد والعبد على السيد
والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالى
مطلقا كما يجب للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على

الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية اوبينهما فرق فاعلم ان الذى نراه انه يجب اصل الاحتساب ولكن بينهما فرق ولنفرض ذلك من الولد مع الوالد فنقول ان الاحتساب خمس مراتب وللولد ان يحتسب على الوالد باثنين منها وهما التعريف والوعظ والنصح باللطف وليس له الاحتساب بالسب والتعنيف والتهديد ومباشرة الضرب وهي الرتبة الاخيرة لانه وان ورد الامر والنهي في الكتاب على العموم فقد ورد في حق الاب على الخصوص ما يوجب استثناءه على العموم اذ لاخلاف في ان الجلاد لايباشر قيامة الحد على ابيه بل لايباشر قتل ابيه المشرك بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولا يقتل بابنه ولم يكن له ان يؤذيه في مقابلته وقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز ايذاءه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز ايذاءه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل ذلك اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجرا في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم الحق واما الرعية مع السلطان فالامر فيه عند قومنا اشد من الوالد في لزوم الحق فليس لهم معه عندهم الا التعريف والنصح وقد اختلف الناس في الخروج على السلاطين الجورة و الانكار عليهم ظلمهم وليس هذا موضع ذكر اختلافهم واما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما اخف لان حرمة الاستاذ انما تاكدت بالدين وافادته العلم للمسترشد ولا حرمة للعالم الذى لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذى تعلمه منه وروي انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على الوالد قال يعظه مالم يغضب عليه فان غضب سكت عنه واما شرط القدرة على انكار المنكر فلا يخفى

ذلك لان العاجز ليس عليه ان يحتسب الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوهكم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها ان ينا له فذلك في معنى العجز وله اربعة احوال الحالة الاولى ان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا يجب عليه الاحتساب نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهده ولا يخرج الا في حاجة مهمة او قضاء واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فلزمه الهجرة عنها ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه الحالة الثانية ان يعلم ان المنكر يترك بقوله او بفعله ولا يناله مكروه فيجب عليه الانكار لان هذه هي القدرة المطلقة الحالة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا يجب عليه الاحتساب لعدم فائدتها ولكن يستحب ذلك لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الحالة الرابعة عكس هذا وذلك ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله مثل ان يريق خمرا او يكسر عودا فيرجع اليه صاحبه فيضربه فهذا ليس بواجب ولا بحرام بل مستحب ويدل عليه الحديث الوارد في فضل كلمة حق عند امام جائر وقد روي عن ابي سليمان الداراني انه قال سمعت كلاما من بعض الخلفاء فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولا يمنعني القتل ولكن كان في ملاء من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل وعلى هذا

المعنى

المعنى قتل عروة بن حدير اخو ابى بلال رحمه الله وعمروس ابن فتح رحمه الله وغيرهم من المسلمين رحمهم الله فيما بلغنا فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف فى ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وذلك انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالات وحبهم الشهادة فى سبيل الله فيكسر بذلك شوكتهم واما معنى الاية فقد روى عن ابن عباس انه قال الهلكة ترك النفقة فى طاعة الله تعالى وعن البراء بن عازب انه قال التهلكة ان يذنب الانسان ذنبا فييأس من التوبة وقيل هو ان يقعد عن الجهاد وقيل هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز للانسان ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك فى الاحتساب ولكن لو يعلم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وكذلك المحتسب انما يجوز له بل ويستحب ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لاحتسابه تأثيرا فى دفع المنكرات وفى كسر جاه الفاسق او فى تقوية قلوب اهل الدين واما ان رآ فاسقا معه سيف وفى يده قدح خمر وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى للاحتساب فيه وجها وهو عين الاهلاك فان المقصود ان يؤثر فى الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له فى الدين بل ينبغى ان يكون هذا حراما فان قيل فما حد الاذى الذى يترك المنكر لاجله قلنا ينحصر ذلك فى اربعة اشياء فى البدن والمال والعرض والاقارب اما البدن فلا يلزمه الاحتساب اذا كان يعلم انه يقتل او تقطع اطرافه او يجرح

او يضرب ضربا مؤلما وان كان يستحب له ذلك كما تقدم واما المال
فاذا كان يعلم ان داره تنهب او ثيابه تسلب او يسعى به من اجل
ذلك الى سلطان يقتله فانه يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب
اذ لا باس ان يفدى دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد
في القلة والكثرة اذ لا يكترث بالحبة من المال واللطمة الخفيفة واما
العرض فيخاف ان يهتك منه من اجل الانكار شيئا ان احدهما زوال
جاهه بان يطرح حبل في عنقه ويدار به في البلد او يسود وجهه وكل ذلك
من غير ضرب وهذا قادح في الجاه مؤلم للقلب فهذا ربما يرخص له
في السكوت لان المروة مامور بحفظها في الشرع وهذا يؤلم القلب
ما يزيد على ضربات معدودة وفوت دريهمات قليلة والثاني خوف
زوال فضلات الجاه بان يتعرض للسب في حضرته بالتجهيل والتحميق
والنسبة الى الرياء والنفاق او في غيبته بانواع الشتم والافتراء
عليه والغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ لو كان يترك الاحتساب بلوم
لائم او باغتياب فاسق او بسقوط المنزلة من قلبه لم يكن لوجوب
انكار المنكر اصل ثابت اذ لا ينفك كل من ينكر المنكر عن مثل هذا الاذى
وقد قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك
اللهم الا ان كان المنكر اغتياب مسلم وعلم انه لو انكر عليه لم يسكت
بل يغتابه هو ايضا ويشتمه فربما لا يجب عليه الانكار لان ذلك سبب
لزيادة المعصية لان غيبته هو ايضا معصية في حق المغتاب ولكن
يستحب له ان يفدى عرض اخيه المسلم بعرض نفسه على سبيل الايثار
وقد دلت الايات والاخبار على تاكيد وجوب الاحتساب وعظم
الخطر في السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره والبدن
والمال والمروة فقد ظهر في الشرع خطرها واما فضلات الجاه ودرجات

التجمل وطلب ثناء الخلق وجر المنافع فكل ذلك لا خطر له واما
الاقارب فيخاف على اولاده وسائر ارحامه ان يضربوا وتنهب موالهم
ان انكر المنكر فهذا الله به اعلم ولعله لا يجب عليه الانكار لانه دفع
منكر يفضي الى منكر اعظم منه وان كان لا ينالهم الاذا في النفس والمال
ولكن بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف ذلك بدرجات المنكر
ودرجات الكلام والشتم المحذور في نكاية القلب والله اعلم واعلم
ان صاحب المنكر لا يخلو من ثلاثة احوال الاولى ان يكون قد فرغ
من المنكرة ومقارفة المعصية فيجب عليه الحد والتعزير والنكال
وذلك الى الائمة والسلاطين لا الى آحاد الرعية الثانية ان
يكون مباشرا للمنكر بفعله كلبسه الحرير وامساكه العود وشربه
الخمر فابطال هذا المناكر واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد الى منكر افحش
منه وذلك يثبت للاحاد والرعية ذكرانا كانوا وانا ثا احرارا او عبيدا
مع القدرة على ازالته الثالثة ان يكون مهيئا للمنكر كمن يزين المجلس
ويجمع الرياحين لشرب الخمر ولم تحضر الخمر فهذا مشكوك فيه وربما
يعوق عنه عائق فلا يثبت للاحاد ولا للسلاطين سلطنة على العازم
على شرب الخمر الا من طريق الوعظ والنصح دون الضرب والتعنيف
الا اذا كانت تلك المعصية معلومة منه بالعادة كوقوف الشبان
على ابواب حمامات النساء للنظر اليهن او خلوة بعضهم او كلهم بالنساء
الاجنبيات فهو لا يجب ان يمنعوا من الوقوف ويفرق بينهم وبين
النساء بالتعنيف والضرب لان ذلك منهم معصية وتجر الى اعظم
منها وكذلك اختلاط النساء بالرجال في الاسواق معصية يجب
المنع منها والله اعلم * الركن الثاني * فيما فيه الاحتساب
وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم

كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط الاول كونه منكرا ونعني
به محذور الوقوع فی الشرع منهيا عنه ويدخل فی لفظ المنكر كل ما
ينكره العقل من صغير او كبير ورد الشرع بالنهی عن فعله الثانی ان يكون
موجودا فی الحال اذ لا يجتسس على من فرغ من شرب الخمر الا بالنهی
عن العودة اليها هذا فی حق الآحاد واما السلطان فيجب عليه اقامة
الحد عليه اذا صح ذلك عنه وكذلك العازم على الشرب انما يجتسب
عليه بالوعظ اذا علم ذلك من حاله وان انكر عزمه عليه ولم تكن
له علامة لم يجز وعظه بذلك لان ذلك تهمة وسوء ظن بالمسلم وان
بعض الظن اثم الثالث ان يكون المنكر ظاهرا من غير تجسس لان
كل من ستر معصية فی داره واغلق بابه فلا يجوز ان يتجسس عليه قال
الله سبحانه وتعالى ولا تجسسوا الآية وعن عبد الرحمن بن عوف رحمه
الله قال حرست مع عمر بن الخطاب رضی الله عنه ليلة بالمدينة
فبينما نحن نمشی اذ ظهر لنا سراج فلما دنونا منه اذا باب مغلوق على
اقوام لهم اصوات ولغط فقال عمر هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف
وهم الان شرب فما تراه قلت ارى انا قد اتينا ما نهى الله عنه فرجع عمر
وتركهم وروى عن عمر ايضا انه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة
فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت عصيت الله من وجه فقد
عصيته من ثلاثة اوجه قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست
وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر
وشرط عليه التوبة وكذلك ما روى ان عمر قال لعبد الرحمن بن
عوف رحمه الله ذات ليلة اغد على بقوم وراءهم على حالة مكروهة
فلما رجع عبد الرحمن الى بيته سالته امرأته لما ابطأ عنها فاخبرها بقول

عمر فقالت اما يكفي امير المؤمنين ما يرفع اليه حتى يطلب الناس بحكم عليهم فاخبر عبد الرحمن عمر بذلك فقال ابصرت شيئا عميا عنه ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد منكرا بنفسه هل له اقامة الحد فقال علي ان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد والله اعلم واما اذا ظهر المنكر من البيت او الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والملاهي واصوات السكارى والكلمات المالوفات منهم فله دخول الدار وكسر الملاهي لانا قد امرنا ان نستر ما ستر الله وننكر على من ابدى الناصفحته والايداء له درجة فتارة بيد ولنا بحاسة السمع وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة الشم بل المراد العلم وهذه الحواس تفيد العلم ومعنى التجسس طلب العلامات المعرفة فاذا احصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها واما ان يبحث على العلامات المعرفة فلا رخصة فيه اصلا الا من دخل مداخل السوء وظهرت عليه علامة السوء فلا تباعة على من اتهمه الرابع ان يكون منكرا معلوما بغير اجتهاد اذ لا ينكر على المجتهدين فيما خالف فيه بعضهم بعضا في مسائل الفروع وكذلك لا ينكر على اتباع كل امام انفرد في بقوله واجتهاده في الفروع واما ما اختلفوا فيه من اصول الديانات مثل مسألة الروية وقدم الكلام واثبات الجسمية والصورة لله سبحانه وغير ذلك مما يطول ذكره فيجب على المسلمين انكار ذلك على المخالفين في جميع ما احدثوه من البدع التي لا يجوز اعتقادها ولا الدينوية بها وبالجملة فالاحتساب على اهل البدع اهم من الاحتساب على اهل المنكرات لكن انما يتم ذلك بالسلطان العادل لان انكار الاحاد والعوام في ذلك ينجر الى تحريك فتنة لان اهل الحق مبتدعون

عند مخالفيهم كما هم عند المسلمين مبتدعون وكل يزعم انه محق والله اعلم * (الركن الثالث) * المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع في حقه منكرا وعسى يكفي فيه ان يكون انسانا ولا يشترط ان يكون مكلفا لان الصبي والمجنون يمنعان عن الزنا وشرب الخمر وانواع الفساد فان قيل فاكتف اذا بكونه حيوانا فان البهيمة تمنع من افساد الزرع كما يمنع المجنون من الزنا قيل له ان تسمية منع البهيمة حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله تعالى صيانة للممنوع من مفارقة المنكر ومنع البهيمة من الافساد انما هو راجع الى حفظ مال المسلم ومنع المجنون او الصبي عن الزنى واتيان البهيمة وشرب الخمر صيانة وتنزيه له من حيث انه انسان وعلى هذا المعنى لا تمنع البهيمة عن اكل الميتات والانجاس وقد اختلف في ذلك والله اعلم فان قال فكل من رأى بهيمة في زرع انسان هل يجب عليه اخراجها او رأى مالا للمسلم قد اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه فان قلتم يجب عليه ذلك فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان طول عمره مسخر الغيره فان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب الا مراعاة مال غيره فيقال له مهما قدر على حفظه من الضياع من غير ان ينا له تعب في بدنه او خسران في ماله او نقصان في جاهه وجب عليه ذلك وهو اقل درجات حقوق المسلم لانه لا خلاف في ان مال المسلم اذا كان يضيع بظلم ظالم وقدر على حفظه عليه بشهادة له عنده يتكلم بها وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه واما ان كان يلحقه التعب والضرر في حفظه فلا يجب عليه ذلك كما انه لا يجب عليه السفر

في اداء الشهادة ويجب عليه الاقامة بها فيما دون ستة اميال اذ ليس فيه كبير ضرر وكثرة تعب وقد اختلف الفقهاء في التقاط اللقطة هل هو واجب ام لا والحق في ذلك انه ان كانت اللقطة في موضع لا تضيع فيه بل يلتقطها من يعرف بها او يتركها مثل مدرسة او مسجد اهله كلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان كانت في موضع تضيع فيه نظر فان كان عليه كثرة تعب في حفظها كبهيمة تحتاج الى علف وصيانة بيت فلا يلزمه ذلك وان كان ذهبا او ثوبا لا ضرر عليه فيه ولا تعب الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي له ان يحفظه لانه ليس فيه كثير تعب بل انما هو بمنزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم والله اعلم * الركن الرابع * في نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح والسب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجميع الجنود اما الدرجة الاولى وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الملاهي ولا ان يستنشق لدرك رائحة الخمر ولا يمس ما في ثوب الانسان ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر جيرانه عن ذلك نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار ان المنكر في دار فلان فله أَنْ يَدْخلَ الى انكاره بغير استئذان كما انه يضرب راسه ليقمعه عَن ظلم غيره من غير اذنه واما ان اخبره عدل واحد او من لا تقوم به الحجة فالاولى ان يمتنع عن الدخول الا بالاذن ولا يسقط حق الاستئذان الثابت الا بعدلين او اشتهار وقد قيل انه نقش خاتم

لقمان عليه السلام الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت (الدرجة الثانية) التعريف وذلك مثل من لا يحسن الركوع و السجود جهلا منه بشروط الصلاة فينبغي ان يعرف ذلك باللطف فيقال له ان الانسان لا يولد عالما وقد كنا جهالا فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلاة وانما شرط الصلاة الطمانينة في الركوع والسجود كذلك يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء له بالنسبة الى الجهل والحمق فان ايذاء المسلم حرام وليس من العقلاء من يغسل النجس بالنجس ومن ازال معرة الجهل فالاذى للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل النجس بالنجس على الحقيقة واما الخطا في غير الدين فلا ينبغي ان يرده عليه فانه يستفيد منك علما و يصير لك عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا * (الدرجة الثالثة) ** النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او اصر عليه بعد ان عرف انه منكر كالذي يواظب على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين واشباه ذلك فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله تعالى ويورد عليه الايات والاخبار الواردة في ذلك وكل ذلك بشفقة عليه من غير عنف بل ينظر اليه بعين الرحمة وها هنا آفة مهلكة فليتوقها وهي ان يرى نفسه عزيزا بشرف العلم ويرى غيره ذليلا بخسة الجهل فان كان الباعث هذا فهو منكر اقبح من المنكر الذي ينكر على من يتعاطاه لان النفس في الاحتكام على الغير لذة عظيمة من جهة العلم وسلطنة الانكار وذلك يرجع الى الرياء وهي الشهوة الخفية الداعية الى الشرك الخفي وله محك

ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة ثقيلة عليه فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان غير ذلك فليتق الله وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى بن مريم عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي ارايت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قيل له انه يقوى عليه قال اخاف عليه السيف قيل له انه يقوى عليه قال اخاف عليه الداء الدفين وهو العجب ومثل المحتسب على غيره رياء او عجبا مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه منزلة عظيمة الا من عرفه الله تعالى عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته والله اعلم * * *

*(الدرجة الرابعة) * السب والتعنيف بالقول الغليظ وذلك عند العجز عن المنع وظهور استهزائه بالوعظ وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله ولا يسبه بالفحش والكذب ولكن يقول له يا فاسق يا عدو الله يا احمق يا جاهل في امثال هذا اذا كان اهلا لذلك وليقتصر على قدر الحاجة فان خاف من هذا فليقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له لاجل المعصية والاكفهرار في وجهه والهجران فان خاف فلينكر بقلبه مع الاجتناب له والله اعلم

* (الدرجة الخامسة) * التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير عن راسه وبدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة ومن المسجد اذا جلس فيه وهو جنب وما يجرى مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون

البعض وأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها باليد واذا قدر ان يكلفه كسر الملاهي واراقة الخمر بنفسه فلا يباشر التغيير بيده وكذلك الخروج من الدار المغصوبة ومن المسجد فلا ينبغي ان يجره او يدفعه اذا كان يخرج بنفسه وان باشر ذلك بنفسه فليقتصر على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته ولا برجله في حال الاخراج اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى مستغنى عنه وان كان لا يصل الى اراقة الخمر الا بكسر الغلال التي هي فيها فليكسرها وكذلك ان حيل بينه وبينها فليرميها بحجر يكسرها به ولو سترها بيده فليضربها حتى يرفعها ليصل الى اراقة الخمر والله اعلم ولو اريقت الخمر اولا لكان لا يجوز كسر اوانيها لانها اتلاف مال الا ان تكون لا تصلح الا للخمر فلا باس بكسرها والله اعلم *(الدرجة السادسة)* التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او لافعلن بك كذا وكذا وما اشبه هذا وهذا ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه ولا يهدده بما لا يجوز كقوله لانهبن دارك أو لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه فانه ان قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله عن غير عزم فهو كذب ** *(الدرجة السابعة)* مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه اشهار السلاح وذلك جائز للاحاد في دفع المنكر وان كان لا بد من اشهار السلاح فله ان يتعاطاه كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او يشرب خمرا او يضرب مزمارا او بينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فيقول خل عنها او لارمينك بسهم او يسل سيفا فيقول انزل هذا المنكر او لاضربنك ولا يقصد القتل لكن الساق او الفخذ وكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن

ولا

ولا فرق فى ذلك بين ما يتعلق بحق الله وبين ما يتعلق بحق الادميين والله اعلم * (الدرجة الثامنة) * ان لا يقدر على دفع المنكر بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوان فيتقابل الصفان ويتقاتلان فيجوز للآحاد قتال اهل المنكر واعوانهم على ذلك دفعا للمنكر وذلك غير كبير فى رضاء الله تعالى ودفع معاصيه فان قتل المحتسب على ذلك مظلوما فهو شهيد اذا كان محقا والله اعلم * واما آداب المحتسب فجميع مصدرها من ثلاث صفات فى المحتسب وهي العلم والورع و حسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الاحتساب وحدودها ومجاريها لئلا يجعل المنكر معروفا والمعروف منكرا وليقتصر على حد الشرع فيها ولا يغضب لله عزوجل اكثر مما يغضب لنفسه فى كتابه وغضب له رسوله فى سنته وحده المسلمون من بعده واما الورع فليكفه من مخالفة علمه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الاحتساب وزاد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأبه اذا احتسب فيورث بذلك جرءة واصرارا ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب لظهور فسقه للناس وقد روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له لانأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله ولكن الغرض عليه الائتمار بالمعروف قبل الامر به لئلا يدخل فى قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وعن الحسن انه قال اذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من اخذ

الناس به والاهلكت ولذلك قيل * * * * * * *

* لا تلم المرء على فعله * وانت منسوب الى مثله *
* من ذم شيئاً واتى مثله * فانما يزري على عقله *

واما حسن الخلق فليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي فيه واذا هاج الغضب لا ينفعه مجردهما مالم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الغضب والشهوة وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في ذات الله والا فاذا اصيب عرضه اونفسه بشتم اوضرب نسي الاحتساب وغفل عن دين الله وغضب لنفسه وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به وينهى عنه وكذا الحلم قالت واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من عند الله تعالى فمن وثق بالثواب من عند الله لم يجد مس الاذى فاذا من آداب الاحتساب توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال مخبرا عن لقمان عليه السلام يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ومن الاداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى يزيل عنه المداهنة فقد روي عن بعض اشياخ السلف كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فرآى على القصاب

منكرا

منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب
فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما
احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو
كما قال وان لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الاحتساب ومن
طمع فى ان تكون قلوب الناس له طيبة والسنتهم بالثناء عليه
منطلقة لم يتيسر له الاحتساب وقد قال كعب لابى مسلم الخولانى
كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان
الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال
ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم وقال بعض العلماء اذا
رايتم القارى محببا الى جيرانه فاعلم انه مداهن لان الحق صعب قبوله
مر مذاقه قال تعالى واكثرهم للحق كارهون وقال ولكن لا تحبون الناصحين
وعن ابى ذر رحمه الله انه قال تركنى الحق ومالى من صاحب و
يدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون اذ وعظه واعظ
وعنف له فى القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير
منك الى من هو شر منى وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب بالانبياء عليهم السلام قال
الله لنبيه عليه السلام ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وقد روى عن ابى امامة ان غلاما شابا اتى النبى صلى
الله عليه وسلم فقال يا نبى الله اتاذن لى فى الزنا فصاح الناس به
فقال صلى الله عليه وسلم اقروه ادن فدنا حتى جلس بين يديه
صلى الله عليه وسلم فقال له اتحبه لامك فقال لا جعلنى الله فداءك
فقال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لابنتك فقال لا جعلنى
الله فداءك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد

الراوى أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل ذلك لاجعلنى الله فداك
وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لايحبونه قالت الرواة
فوضع عليه السلام يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه وحصن فرجه
فلم يكن شئ ابغض اليه من الزنا وعن حماد بن سلمة قال ان صلت
ابن اشيم مر عليه رجل وقد اسبل ازاره فهم أصحابه ان يأخذوه بشدة
فقال دعونى انا أكفيكم فقال يا ابن اخى ان لى اليك حاجة فقال وما
حاجتك ياعم قال أحب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع
ازاره فقال لاصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لاولاكرامة وشتمكم
وحكايات السلف فى مثل هذا كثيرة كالذى جرى لابى الحر على بن الحصين
الحضرمى رحمه الله مع الغلام الذى يلازم مجلسه ثم بعد ذلك ابطأ
عنه فاخذ فى البطالة والسفه حتى رده ابو الحر الى مجلسه بلطف وتلطف
فى حديث فيه طول وكما جرى له ايضا مع الفتى الذى خانه فى قطعة
من الذهب وغير ذلك مما لو نقلناه لطال الكتاب ولذلك قيل المؤمن
يامر وينهى بالسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى بالرياسة فيطلح
وفى الحديث ما دخل الرفق فى شئ الازانه ولادخل الخرق فى شئ الا
شانه ويكون القصد فى جميع ما ذكرناه فى هذا الباب الذب عن
دين الله ودفع المنكر غضبا لله وطلبا لثوابه والدعاء اليه خالصا
لوجهه لا لطلب جاه ولا رياء ولا سمعة فهذه الادبيات التى ذكرناها
بها يصير الاحتساب من القربات وبها دفع المنكرات فان فقدت
لم يندفع المنكر بل ربما صار الاحتساب منكرا لمجاوزته حد
الشرع فيها وبالله التوفيق * * * * * * *

* الباب الرابع فى المنكرات المألوفة فى العادات *

ونحن ننقل جملا منها ليستدل بها على امثالها اذ لامطمع فى حصرها

واستقصائها فمن ذلك منكرات المساجد اعلم ان المنكرات
تنقسم الى مكروهة والى محضورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم
ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا
لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب عليه عند بعضهم ذكره لان الكراهة
حكمها في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكرا محظورا
او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور فيكون السكوت عليه مع القدرة
محرما محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلاة بترك
الطمانينة في الركوع والسجود او نقرها نقر الديك والالتفات وكذلك
ما يقدح في الصلاة من نجاسة الثوب او انحراف عن القبلة في الظلام
او اللحان الذي يبطل الصلاة في القراءة او مسابقة الامام في
التكبير او الركوع او السجود فكل ذلك منكر يجب التنبيه عليه ومنها
ان يكون الخطيب لابسا الثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا
بسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب ومنها كلام القصاص
والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فلا يجوز حضور مجلسه
الا على قصد اظهار الرد عليه ان قدر على ذلك والا فلا يجوز سماع
البدعة قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فاعرض عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرية
الناس على المعاصي فهو منكر يجب منعه لان فساد ذلك عظيم بل
لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اليق واقرب بطباع الخلق فانهم
الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر
رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس
الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نادى مناد
ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك

الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته وقد حضرت مجلسه فهذا منكر يجب منعه لان الفساد فيه اكثر من الصلاح بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب ان يكون بين النساء والرجال حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد بهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله ما احدث النساء بعده لمنعهن واما اجتياز المراة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه الا ان الاولى ان يتخذ المسجد طريقا اصلا وقراءة القران بين يدي الواعظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القران ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الاطعمة والادوية والتعويذات وقيام السؤال وقراءتهم للاشعار وما يجري مجراه فهذه الاشياء منها ما هو حرام لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من الاطباء واصحاب التعويذات لانهم في الاغلب يتوصلون الى بيعها بالتلبيس على الصبيان فهذا حرام في المسجد وغيره ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب عن المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا ايضا في المسجد لا يحرم الا بعارض وذلك بان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم لكن الاولى تركه وان كان ولا بد

ففي اوقات نادرة لانه حرام ان يتخذ المسجد موضعا للبيع والشراء
لان من المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان
من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار ومنها دخول
المجانين والصبيان والسكارى في المسجد لكن الصبي اذا لم يلعب
فلا باس بدخوله المسجد واما المجانين فلا تأثير لدخولهم في المسجد
الا ان يصدر منهم منكر كالنطق بالفحش او كشف العورة او تنجيس
المسجد فان ذلك يجب منعه منه والسكران في معنى المجنون فان
خيف منه القئ او الاذى باللسان وجب اخراجه والرائحة اذا
فاحت منه فهي منكر شديد الكراهية وكيف لا وقد نهى رسول
صلى الله عليه وسلم من اكل الثوم والبصل عن حضور المسجد ولكن
يحمل ذلك على الكراهية والامر في الخمر اشد فان اظهار الفاحشة
فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها
فان كان مستترا مخفيا الاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرائحة
قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصول الخمر الى
الفم دون الابتلاع فلا ينبغي ان يعول على ذلك ٭ (منكرات الاسواق) ٭
ومن المنكرات المعتادة في الاسواق الكذب في المرابحة واخفاء
العيب فمن قال مثلا اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة واربح
فيها درهما وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري
بكذبه فان سكت مراعات القلب كان شريكا له في الخيانة وعصى
بسكوته وكذلك اذا علم به عيبا فيلزمه ان يبينه للمشتري
والا كان راضيا بضياع مال اخيه المسلم وذلك حرام وكذلك
التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره
بنفسه او رفعه الى الوالي حتى يغيره ومنها ترك الايجاب والقبول

والاكتفاء بالمعاطات ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذلك سائر التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهى وبيع اشكال الحيوانات المصورة فى ايام العيد لاجل الصبيان فذلك يجب كسره والمنع من بيعه كالملاهى وكذلك الاوانى المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وملابس الذهب التى لا تصلح الا للبس الرجال فكل ذلك منكر محضور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المتبدلة المقصورة التى يلبس على الناس ابتدالها واستعمالها من اجل قصارتها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفق ومايؤدى الى الالتباس من جميع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه وليستدل بما ذكرناه على مالم نذكره *

(منكرات الشوارع) * فمن المنكرات المعتادة فى الشوارع وضع الاساطين وبناء الدكاكين متصلا بالابنية المملوكة وغرس الاشجار ووضع الخشب واحمال الاطعمة وغيرها على الطرقات فكل ذلك منكر ان كان يضيق الطريق ويضر بالمارة والا فلا منع فيه لان ذلك يشترك فى الحاجة اليه كافة الناس وكذلك ربط الدواب على الطريق منكر بحيث يضيق الطريق الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة التى تراد الشوارع لاجلها فى العادة دون سائر الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق الثياب وامكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك

وكذلك تحميل الدواب من الاحمال مالا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب على باب دكانه وتلويث الطريق بالدم منكر يجب المنع منه وكذلك طرح الكناسة على الطريق وتبديد قشور البطيخ اورش الماء بحيث يخشى منه التزلق او السقوط فكل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميزاب المخرجة من الحائط الى الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب لضيق الطريق وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه بل يمنع صاحبه من ان ينام على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع منه * (منكرات الضيافة) * * فمن ذلك فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة او ذهب وكذلك الشرب منها وكذلك تعليق الستور عليها الصور ومنها سماع الاوتار وسماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شبان تخاف الفتنة منهم فكل ذلك منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجزله الجلوس فلا رخصة في الجلوس مع مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والحصر المفروشة او على الاطباق والقصاع فليس منكرا الا الاوانى المتخذة على شكل الصور فانه لايجوز وقد يكون ايضا بعض رؤس المجامر على شكل طائر فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفى المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فذلك من اشد المنكرات وان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لايحل مجالسة الفاسق في حالة مباشرته الفسق وانما النظر في مجالسته بعد ذلك والصحيح انه يجب بغضه

فى الله ومقاطعته وكذلك ان كان فيهم من لبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق به لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا فى محل النظر والصحيح ان ذلك منكر يجب نزعه عنه كما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكنه لانه يانس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه نعم يحل التزين للنساء بالذهب والحرير من غير اسراف ولا ارى رخصة فى تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان ذلك جرح مؤلم موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل من التقريط تعليقه على الاذن وفى المخانق والاسورة كفاية عنه وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاجرة الماخوذة عليه حرام الا ان تثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم تبلغنا فيه الى الان رخصة ومنها ان يكون فى الضيافة مبتدع فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه والا فلا يجوز وان كان لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهية له وان كان فيها مضحك بحكايات الفواحش او الكذب فهو منكر يجب انكاره وان كان يضحك بمزاح لا كذب فيه ولا فحش فما يقل منه فهو مباح واما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس هو من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة وما يجرى هذا المجرى مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد به الشهادة ومنها الاسراف فى الاطعام وذلك على وجهين احدهما صرف المال فى انواع الفساد والمعاصى فهو منكر محضور والثانى اضاعة المال فلا فائدة وكذلك المبالغة فى صرف المال الى المباحات فى حق

المقلين

المقلين من المال دون المكثرين له مثال ذلك ان من لم يملك الا مائة
دينار مثلا وله عيال واولاد ولا معيشة لهم ولا كسب فانفق الجميع
في وليمة فهو مسرف يجب منعه قال الله سبحانه وتعالى ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا وفي كتاب الغزالي قال انزل هذا
في رجل كان بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب
بالنفقة فلم يقدر على شئ واما ان كان وحده ولم يكن له عيال وكانت
له قوة في التوكل فلا باس بانفاق جميع ماله في سبيل الخير ولو صرف
جميع ماله الى تزويق الحيطان وتشييد البنيان لكان اسرافا محرما
وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لانه كالتجمل بالثياب والاطعمة
فذلك مباح في نفسه وهو يصير اسرافا باعتبار حال الرجل في قلة
ماله وكثرته وأمثال هذه المنكرات لا يمكن حصرها فلنقتصر على
هذا القدر منها * (المنكرات العامة) * ومن كتاب الغزالي
قال اعلم ان كل قاعد في بيته اين ما كان فليس خاليا في هذا الزمان
عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على
المعروف فاكثر الناس جاهلون في شروط الصلاة في البلاد فكيف
في القرا والبوادي قال وواجب على كل فقيه فرغ من فرض نفسه وتفرغ
لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل القرا والبوادي
وغيرهم فيعلمهم دينهم وفرايض شرعهم قال ويستصحب معه زادا
يأكله ولا يأكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون شبهة قال فان
قام بهذا الامر واحد سقط عن الآخرين والاعم الحرج الكافة اجمعين
اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم
قال وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه ان يعرف غيره والا فهو
شريك في المأثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما

ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية قال وواجب صح

يجب التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم مسألة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمرى الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفهم لبطلت المعائش فهم قد تقلدوا امرا لابد منه فى صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان منهم ان يقعد فى بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى وكذلك كل من تيقن ان فى السوق منكرا يجرى على الدوام او فى وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت بل يلزمه الخروج لتغيير ما يقدر عليه ولا يضره مشاهدة ما لا يقدر على تغييره وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدا باصلاح نفسه بالمواظبة على المفروضات وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى اهل القرى المحيطة ببلده ثم الى اهل البوادى وكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد ولا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل لفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى بنفسه ليتعلمه او يسعى اليه من يعلمه فرضه فهذا حرج شديد وامر عسير ولكن لعمري الامر فيه كما قال لان العلماء يجب عليهم التبليغ كما يجب على الرسول وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فى خطبته الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم فاشهد الا ليبلغ الشاهد الغائب وفى هذا شغل شاغل لمن يهمه

امر دينه لان الله سبحانه ما اخذ على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا وبالله التوفيق * * * * * * *

الباب الخامس في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر ومن كتاب الغزالي قال اعلم ان درجات الامر والنهي قد ذكرناها ومنها ان التخشين في القول لصاحب المنكر كقولك له يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه قال فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيرها لم يجز قال وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه والذي عندي والله اعلم ان ذلك جائز اذا لم يكن قصده الا انكار المنكر واشهار الحق لعموم الايات والاخبار في ذلك وقد لحق المسلمين من عقوبات الجبابرة لاجل خروج اهل ولايتهم عليهم ما لو ذكرناه لطال الكتاب فلم يمنعهم ذلك عن الخروج عن الجبابرة ولو كان ذلك غير جائز لكان لا يجوز لاحد ان يدفع عن نفسه ولا عن غيره ظلم ظالم اذا كان يخاف ان يعاقب على ذلك غيره بعده قال في كتاب الغزالي ولقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالات بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة لقوله عليه السلام خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك وعنه عليه السلام انه قال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر قال ووصف صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه قوله الحق ماله من صديق ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان

جائز وان صاحب ذلك ان قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله كالذي جرى للبلجاء وعروة اخي ابي بلال رحمهما الله مع عبيد الله بن زياد حين سأل البلجاء عن نفسه فقال ايه ما تشهدين به علي فقالت شهد الله عليك ثلاث شهادات وشهادتين تشهدهما لنفسك قال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وشهادتك انت انك في اولك لزينة وفي اخرك لدعوى فعظ على لحيته وذلك علامة منه لقتلها فقتلت بين يدي الفاسق بن زياد على ذلك وقتل عروة بعد ابي بلال رحمهما الله ايضا على ذلك وقصتهما مشهورة وقتل ابراهيم بن احمد من مشايخ الاباضية على ذلك ما شاء الله من العدد وفي كتاب الغزالي ويحكى ان حطيطا الزيات جئ به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدالك فاني عهدت الله عند المقام على خلال ان سالت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول فيّ قال اقول انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة من خطاياه فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق فقال اخرجوه وارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا حطيطا الك حاجة قال شربة

فأتوه بها ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة وقتلت الجبابرة على هذا
من المسلمين ممن حضر اجله من لا يحصى كثرة شهادة رزقها الله لهم
ومن لم يحضر اجله تكلم بحق الله فى وجوههم فجعل الله له مخرجا من
باسهم منهم جابر بن زيد حين ساله الحجاج فقال اخبرنى عن
اول آية فى سورة البقرة قال تلك فى المؤمنين قال والثانية
قال تلك فى الكفار قال والثالثة قال فيك وفى اصحابك يعنى المنافقين
وكذلك ابو عبيدة مسلم رحمه الله مع المامون حين بعث اليه يساله
واضمر فى نفسه قتله ان عجز عن سواله فسلمه الله من باسه فقصتها
مشهورة ومن كتاب الغزالى قال ويروى ان معاوية حبس العطا
فقام اليه ابو مسلم الخولانى فقال يا معاوية انه ليس من كدك ولا
من كد ابيك ولا من كد امك قال فغضب معاوية ونزل من اعلا
المنبر فقال لهم مكانكم فغاب عنهم ساعة ثم خرج عليهم فقال ان
ابا مسلم كلمنى بكلام اغضبنى فانى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما
تطفى النار بالماء واذا غضب احدكم فليغتسل وانى دخلت فاغتسلت
وصدق ابو مسلم ليس من كدى ولا من كد ابى فهلموا الى اعطياتكم
وعن الاصمعى انه قال دخل عطا بن ابى رباح على عبد الملك بن
مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وهو
بمكة فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال
له يا ابا محمد حاجتك وقال يا امير المؤمنين اتق الله فى حرم الله
وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله فى اولاد المهاجرين
والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله فى اهل الثغور
فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسئول

عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض فقام فقبض عليه عبد الملك بن مروان فقال يا ابا محمد انما سألتنا حاجة لغيرك فقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف هذا وابيك الشرف وروى ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يومًا قف على الباب فاذا مر بك رجل فادخله ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب مدة فمر به عطاء بن ابي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى امير المؤمنين فانه امرك بذلك فدخل عطاء على الوليد ومعه عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه فقال ويلك امرتك ان تدخل علي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له الحاجب ما مر بي غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم اقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء ان قال له ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده الله لكل امير جائر في حكمه قال فصعق الوليد من قوله وكان جالسًا بين عتبتي باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت امير المؤمنين فقبض عطاء على ذراع عمر فغمزه غمزة شديدة فقال له يا عمر ان الامر جد جد ثم قام وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي قال وكان ابن سلمة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تكلم قال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال الا ما كان لله تعالى قال فبكى عبد الملك فقال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون

فقال

فقال يا امير المؤمنين ان الناس فى القيامة لا ينجون من غصص مرارتها
ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك
ثم قال لاجرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا انصب عيني ما دمت حيا
ويروى عن ابن ابى عائشة انه قال دعا الحجاج بفقهاء البصرة وفقهاء
الكوفة قال فدخلنا عليه ودخل الحسن البصرى آخر من دخل فقال
الحجاج مرحبا يا ابا سعيد الى الي ثم دعا بكرسى فوضع الى جنب سريره
فقعد فجعل الحجاج يذاكرنا اذ ذكر نا عليا فنال منه ونلنا مقاربة له
وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد
مالى اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرنى برايك فى
ابي تراب قال سمعت الله يقول وما جعلنا القبلة التى كنت عليها
الا لنعلم من يتبع الرسول الى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فعلى
ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول ابن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب
سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد
من الناس ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها واقول انها كانت
لعلي هنات فالله حسيبه قال فسمر وجه الحجاج وتغير وقام
عن سريره مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبى
فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت
صدره قال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبى عامر اهل
الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس نكلمه بهواه وتقاربه
فى رائه ويحك يا عامر هلا اتقيته ان سئلت فصدقت او سكت
فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم بما فيها قال
الحسن فذلك اعظم فى الحجة عليك واشد فى التباعة قال

وبعث الحجاج الى الحسن فاتاه فقال انت الذى تقول قتلهم الله قتلوا
عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال وما حملك على هذا قال
ما اخذه الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال
ياحسن امسك لسانك واياك ان يبلغنى عنك ما اكره فافرق بين
رأسك وجسدك وروى ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل
البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام وقراءها فجعل
يسألهم فكلم عامر الشعبي فجعل لا يساله عن شئ الا وجد عنده
فيه علما ثم اقبل على الحسن البصرى فسأله ثم قال هما هذان رجل
اهل الكوفة يعنى الشعبى وهذا رجل اهل البصرة يعنى الحسن وأمر
الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبى والحسن فاقبل على الشعبى
فقال يا اباعمر انى امين امير المؤمنين على العراق وعامله عليها
وقد يبلغنى عن العصابة من اهل الديار والامور واخذ عليهم فيه
فاقبض طائفة من عطاياهم فاضعه فى بيت المال ومن نيتى ان
اردعليهم فيبلغ امير المؤمنين انى قبضته على ذلك النحو فيكتب
الى ان لا ارده فلا استطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل
مامور على الطاعة فهل على فى هذا تباعة وفى اشباهه من الامور
والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبى فقلت اصلح الله الامير انما
السلطان والد يخطئ ويصيب فقال فسر بقولى واعجب له
ورايت البشر فى وجهه قال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال
ما تقول يا ابا سعيد فقال قد سمعت قول الامير يقول انه امين
امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة
ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم والنصيحة لهم والتعهد بما يصلحهم
وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة وانى

سمعت

سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى
رعية ولم يحفظها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة وتقول انما
قبضت من عطاياهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا
الى طاعتهم فيبلغ امير المؤمنين انى قبضتها على ذلك النحو فيكتب
الى ان لا ارده فلا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه
وحق الله الزم من حق امير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة
للمخلوق فى معصية الله فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله
عزوجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا
لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان ياتيك
رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة
قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم
على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة ان الله يمنعك من يزيد
وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة
فى معصية الله وانى احذرك باس الله الذى لا يرده عن القوم
المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ واعرض
عن ذكر امير المؤمنين فانه صاحب العلم والحلم وصاحب الفضل
وانما ولاه الله امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته
فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط
وعصى بعصى والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصحك
فى دينك ويحملك على امر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك
فقام ابن هبيرة وقد سمر وجهه وتغير لونه قال الشعبي يا ابا
سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه

وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف و
الطرف وكانت له المنزلة واستحف بنا وبقينا فكان اهلاً لما
اودي اليه وكنا اهلاً ان يفعل ذلك بنا فما رايت مثل الحسن فيمن
رايت من العلماء الا مثل الفرس العزلى بين المغاريف يعني الهجة
وَما شهدنا مشهد الا ابرز علينا وقال لله تعالى وقلنا مقاربة
لهواهم قَالَ الشعبي وانا اعاهدُ الله الا اشهدُ سُلطانا بعد هذا
المجلس باجابته قال ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة امير
البصرة فقال له ما تقول في القدر فقال جيرانك اهل القبور
فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر وكان بن واسع من سادات
العباد في زمانه ومن كتاب سراج الملوك قال ودخل ايضا على
ابن ابي بردة وكان ثوبه الى نصف ساقه فقال له بلال ما هذه
الشهرة يا ابن واسع قال له ابن واسع انتم شهرتمونا هذا كان
لباس من مضي وانتم اطلتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعة
وشهرة وَرُوي ايضا ان بلال بن ابي بردة امير البصرة خرج
في جنازة فنظر الى جماعة وقوفا فقال ما هذا قالوا مالك بن
دينار يذكر الناس فقال لوصيف له اذهب الى مالك بن دينار
فقل له يرتفع الينا الى القبر فجاء الوصيف فادى الرسالة الى مالك
فصاح به مالك مالي اليه حاجة فاجيبه فيها فان كانت لـه
حاجة فليجئ في حاجة نفسه فلما دفنوا ميتهم مال بلال ومن معه
الى حلقة مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي الى الحلقة
حتى جلس فلما راه مالك سكت فاطال السكوت فقال له بلال
يا ابا يحيى ذكرنا قال له انسيت شيئا فاذكرك قال فحدثنا قال اما
هذا فنعم قدم علينا امام قبلك في البصرة فمات فدفناه في هذه

الجبانة

الجبانة ثم اتينا برنجى فدفناه الى جنبه فوالله ما يدرى ايهما اكرم على الله
فقال له بلال يا ابا يحيى اتدرى ما الذى اجرأك علينا وما الذى
يسكتني عنك لانك لم تاخذ من دراهمنا شيئا قال ودخل ابن شهاب
على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحدثنا به
اهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثونا ان الله تعالى
اذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات
فقال كذبوا يا امير المؤمنين اخليفة نبي اكرم على الله ام خليفة
ليس بنبي قال بل خليفة نبي قال فانا احدثك يا امير المؤمنين بامر
لا شك فيه قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى الآية يا امير المؤمنين فهذا
وعيد الله لنبي خليفة فما ظنك بخليفة ليس بنبي فقال الوليد
ان الناس ليغروننا عن ديننا وفي كتاب الغزالى قال ويروى ان
هشام بن عبد الملك قدم مكة حاجا فلما دخلها قال ائتونى برجل
من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد فنوا قال فمن التابعين
فاوتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية
بساطه ولم يسلم بامارة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم
يكنه ولكن جلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب غضبا
شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وفي حرم رسوله فلا
يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذى حملك على ما صنعت قال وما
الذى صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعلك بحاشية
بساطي ولم تقبل يدى ولم تسلم علي بامارة المؤمنين ولم تكنني
وجلست ازائى بغير اذن وقلت كيف انت يا هشام فقال اما خلع
نعلي بحاشية بساطك فانى اخلعها بين يدي رب العزة كل يوم

وليلة خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علىّ واما قولك لم تقبل
يدى فانى سمعت امير المؤمنين على بن ابى طالب يقول لا يحل لرجل
ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة او ولده لرحمة واما قولك لم
اسلم بامارة امير المؤمنين فليس كل الناس راضين بامارتك فلخفا
ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى اولياءه فقال
يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابى لهب واما
قولك جلست ازاءك فانى سمعت امير المؤمنين عليا يقول اذا
اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله
قوم قيام فقال هشام عظني فقال طاوس سمعت امير المؤمنين
عليا يقول ان فى جهنم حيات كالتلال وعقارب كالبغال تلدغ كل
امير لا يعدل فى رعيته ثم قام وخرج فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين
اذا اكرهوا وكانوا يغررون بارواحهم فى الانتقام لله ممن ظلم قال
ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرات
فى بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصانى
ومن اعز ممن اعتز بى ايها الراعى السوء دفعت اليك غنما سمانا
صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تقعقع فقال
له والى البصرة اتدرى ما الذى اجرأك علينا وتجملنا عنك قال
قلة الطمع الينا وترك الابتهال بما فى ايدينا قال وكان عمر بن عبد
العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع صوت الرعد فخرج
ووضع صدره على مقدمة الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمته
فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس
فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماءك يا امير المؤمنين فقال له
سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان اتى المدينة وهو يريد

مكة فارسل الى ابى حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان يا ابا
حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم
فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب قال يا ابا حازم كيف
القدوم على الله تعالى قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغايب
يقدم على اهله واما المسئ فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان
وقال ليت شعري ما انا عند الله قال ابو حازم اعرض نفسك على
كتاب الله حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فقال له
سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال سليمان يا ابا
حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروة والتقى قال فاي الاعمال
افضل قال اداء الفرايض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء
اسمع قال قول الحق عند من يخاف ويرجا قال فاي المؤمنين اكيس
قال رجل عمل بطاعة الله ودعى الناس اليها قال فاي الناس اخس
قال من سعى في هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره
قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعافيني قال لا ولكن نصيحة
تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف
واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى
منهم حتى قتلوا مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا
وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم
ان الله تبارك وتعالى اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا
يكتمونه قال وكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تأخذ الشئ
من حله فتضعه في حقه قال سليمان ومن يقدر على هذا قال من
يطلب الجنة ويخاف من النار وهي اعظ آخر قال من قلده الله
من الامر ما قلدك قال عظني يا ابا حازم قال يا امير المؤمنين ثبت

هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك
بمثل ما صار اليك ثم قال يا امير المؤمنين نزه نفسك وربك في
عظمته عن ان يراك حيث ينهاك ويفقدك من حيث امرك يا امير
المومنين انما انت سوق فما نفق عندك احمل اليك من خير او
شر فاختر لنفسك ايهما شئت قال فما لك لا تأتينا قال فما
اصنع باتيانك ان ادنيتني فتنتني وان اقصيتني احزنتني وليس لي
مال اخافك عليه ولا عندي مال ارجوك به قال فارفع الينا
حوائجك قال قد رفعتها الى من هو اقدر منك عليها فما اعطاني
منها قبلت وما منعني منها رضيت بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا فمن ذا الذي يستطيع ان ينقص
من كثير ما قسم الله له او يزيد في قليل ما قسم الله له فلما خرج
من عنده وجه اليه بمال فرده وقال للرسول قل له يا امير المؤمنين
والله لا ارضاه لك فكيف ارضاه لنفسي ويروى ان عمر
بن عبد العزيز قال لابي حازم عظني قال اضطجع ثم اجعل الموت
تحت راسك ثم انظر ما تحب ان تكون فيه تلك الساعة فخذ به
الان وما تكره ان تكون فيه تلك الساعة فدعه الان فلعل
تلك الساعة قريبة ويروى ان اعرابيا دخل على سليمان بن
عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي فقال يا امير المؤمنين اني مكلمك
بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال
يا اعرابي انا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصيحته ولا نأمن
غشه قال الاعرابي يا امير المؤمنين انه قد تكنفك رجال اساؤا
الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاهم بسخط
ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم

للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه لانهم لم يألوا في الامانة
تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا وانت مسؤل عما اجترحوا
وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك
فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان
اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك فقال
اجل يا امير المؤمنين ولكن لك لا عليك وفي كتاب سراج الملوك
قال ودخل الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة
صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته عينه فاقبل عليه وقال مه
قال الاحنف يا امير المؤمنين اهل البصرة عدد يسير وعظم كسير
مع تتابع من المحول واتصال من الدخول فالمكثر منها قد اطرق
والمقل قد املق وبلغ به الخنق فان رأى امير المؤمنين ان
ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح عن الدخول
ويداوي المحول ويامر بالعطا ليكشف البلا ويزيل اللأواء الا
وان السيد من يعم ولا يخص ويدعو الجفلا ولا يدعو النقرا
ان احسن اليه شكر وان اسيء اليه غفر ثم يكون من وراء الرعية
عمادا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية
ها هنا غرت يا ابا بحر ولتعرفنهم في لحن القول ويروى ان هارون
المدعو بالرشيد لما حج ودخل على الفضل بن عياض فقال له خذ
لما جئنا فيه فقال له وفيما جئت اخطات على نفسك وجميع من
معك اخطؤا عليك حتى لو سألتهم عن انكشاف الغطا فيك
عنك وعنهم ان يتخلوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكن
اشدهم حبا لك اشدهم يأمنك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز
لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء

بن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذ البلا فاشيروا على فعد الخلافة
بلاء وعد دعوها انت واصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله
وان اردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فصم عن الدنيا وليكن
افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان اردت النجاة غدا
من عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك ابا واوسطهم عندك
اخا واصغرهم ولدا فبر اباك وارحم اخاك وتحنن الى ولدك
وقال له رجا بن حيوة ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فاحب
للمسلمين ما تحب لنفسك ثم متى شئت مت وانى لا اقول لك
هذا وانى لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل الاقدام قال
الفضيل فهل معك مثل هذا القوم قال فبكى هارون بكاء
شديدا حتى غشي عليه فقال له الفضل بن الربيع ارفق يا امير
المؤمنين فقال يا ابن ام الربيع قتلته انت واصحابك وارفق انا
به ثم افاق فقال زدنى فقال يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا
لعمر بن عبد العزيز تشكى اليه فكتب اليه عمر يا اخي اذكر سهر
اهل النار وخلود الابد ليطرد ان بك الى ربك نائما ويقظانا
واياك ان تزل بك قدمك عن هذا السبيل فيكون اخر العهد
بك ومنقطع الدخول منك فلما قراكتابه طوى البلاد حتى قدم
عليه قال له عمر ما اقدمك قال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت
لك ولاية ابدا حتى القى الله سبحانه فبكى هارون بكاء شديدا
ثم قال له زدنى فقال له يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي
صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله امرني على امارة فقال
له يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها
ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون

اميرا فافعل فبكى هارون بكاء شديداً وقال زدني فقال يا حسن الوجه انت الذي يسأله الله تعالى غدا عن هذا الخلق فان استطعت ان تقي هذا الوجه عن النار فافعل واياك ان تمسي وتصبح وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يشم رائحة الجنة فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال اعليك دين قال نعم دين لربي ان لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سألني والويل ان لم يلهمني حجتي فقال انما اعني دين العباد فقال ان ربي لم يأمرني بهذا انما امرني ان اصدق وعده واطيع امره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية فقال له هارون هذه الف دينار فخذها وانفقها على عيالك وتقوبها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا اسلمك الله ثم صمت ولم يكلمه فخرجوا من عنده فقال هارون للفضيل بن الربيع اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد العالمين اليوم ويروى ان اعرابيا قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اتت على الناس سنون ثلاث اما الاولى فاذابت الشحم واما الثانية فاكلت اللحم واما الثالثة فهاضت العظم وعندك فضول أموال فان كانت لله تعالى فاقسمها بين عباده وان كانت لهم فلم تحظرها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزي المتصدقين فامر هشام بمال فقسم بين الناس وامر للاعرابي بمال فقال له اكل المسلمين له مثل هذا قال لا يقوم بذلك بيت المال قال فلا حاجة لي بما يبعث لائمة على أمير المؤمنين ويروى ان رجلا قال لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا مقاما لا يشغل الله عنك كثرة من تخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل

ولا براءة من ذنب فبكى عمر بكاء شديدا ثم استزده الكلام فجعل
يردده وعمر يبكي وينتحب ثم قال حاجتك قال عاملك بادرجان
اخذ مني اثنا عشر الفا فقال اكتبوا له حتى يردها عليه قال ولما
دخل زياد على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد الا ترى ما ابتليت به
من امر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد والله يا امير
المؤمنين لوان كل شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل
لنفسك بالخروج مما انت فيه يا امير المؤمنين كيف حال رجل له
خصم الد قال سيئ الحال قال فان كان له خصمان الدان قال اسوا
حالة قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنيه عيش قال فوالله ما احد
من امة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فبكى عمر
حتى تمنيت ان لا اكون قلت له شيئا قال وحضر رجل بين يدي
بعض الملوك فاغلظ له السلطان فقال له الرجل انما انت كالسماء
اذا ارعدت وابرقت فقد قرب خيرها فسكن ما به واحسن اليه
ويروى أن رجلا قال لعبيد الله العمري هذا هارون الرشيد
في الطواف وقد أخلي له المسعى فقال له لا جزاك الله عني خيرا
كلفتني امرا كنت عنه في غنى ثم جاء اليه فقال له يا هارون فلما
نظر اليه قال له لبيك يا عم فقال له كم ترى ها هنا من الخلق قال
لا يحصيهم الا الله تعالى فقال له اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم
يسال عن خاصة نفسه وانت وحدك تسال عنهم كلهم فانظر
كيف تكون قال فبكا هارون وجعلوا يعطونه منديلا يمسح به
الدموع ثم قال له والله ان الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق
الحجر عليه فكيف بمن اسرع في مال المسلمين فيقال ان هارون كان
يقول بعد ذلك اني لاحب الحج في كل عام فما يمنعني الا عبيد الله

العمرى ويقال ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة وفد اليه الوفود من كل بلد فوفد اليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حدث السن فقال له عمر ليتكلم من هو اسن منك فقال له الغلام اصلح الله امير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله تعالى للعبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعلم من فضله من سمع خطابه ولو ان الامر يا امير المؤمنين بالسن لكان فى الامة من هو احق بمجلسك هذا منك فقال له عمر صدقت قل ما بدالك فقال الغلام اصلح الله امير المؤمنين نحن وفد تهنية لا وفد مرزية وقد اتيناك لمن الله تعالى الذى من علينا بك لم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتتنا منك فى بلادنا واما الرّهبة فقد امنا جورك بعدلك فقال له عمر عظنى يا غلام فقال اصلح الله امير المؤمنين ان ناسًا من الناس غرهم حلم الله عليهم وَرضى الناس عليهم فزلت بهم اقدامهم فهووا فى النار فلا يغرنك حلم الله عنك بطول املك وكثرة ثناء الناس عليك فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم فلا جعلك الله تعالى منهم والحقك بصالحى هذه الامة ثم سكت الغلام فسأله عمر عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة ثم سال عنه فاذا هو من ولد الحسين بن على فتمثل عند ذلك عمر بهذين البيتين ۞

* تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا ۞ وَلَيْسَ اَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ *

* وَاِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ ۞ صَغِيرٌ اِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ *

وفى مثل هذا قيل لعتابى وكان لا يبالى بما البس مالك لا تجدد الملبوس فقال انما يرفع المرء ادبه وعقله لا حليته وحلته لحى الله امرأ يرضى ان ترفعه هيئته وجماله لا والله حتى يشرفه اصغراه لسانه

وقلبه ويعلو به اكبراه همته ولبه قال ولما دخل ضمرة بن ضمرة على
المنذر بن المنذر وكان ملكا وكان ضمرة ذاراء وعقل حقرته عينه فقال
لان تسمع بالمعيدى خيرا من ان تراه فقال له ضمرة ابيت اللعن وكانت
تحية الجاهلية ان القوم ليسوا بجزر تجزر انما المرء باصغريه لسانه وقلبه
فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بجنان والرجال لا تكال بالقفزان
ولا توزن بالقسطاس فاعجب المنذر كلامه وروي ان روح بن
زنباع كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا فضربت
عليهم الظلال والخيام وقدم اليهم الطعام الجود والشراب المبرد
فبينما هم كذلك اذ من بهم راع فدعاه الى الطعام فأبى وقال اني صائم
فقال روح في مثل هذا اليوم الحار فقال افأدع ايامي تمضي باطلا
فقال روح

لَقَدْ ضَنَنْتَ بِأَيَّامِكَ يَا رَاعِ * إِذْ جَادَ عَفْوًا بِهَا رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعِ

وروى عن بعضهم انه قال حج الحجاج فنزل ببعض المياه بين مكة
والمدينة فدعى بالغداء فلما حضر قال لحاجبه انظر من يتغذى معى
واساله عن بعض الامر فنظر فى الجبل فاذا براع بين شملتين نائم
فضربه برجله وقال ائت الامير فاتاه فقال له الحجاج اغسل يدك
وتغذ معنا قال قد دعانى من هو خير منك فأجبته قال ومن هو قال
الله سبحانه دعانى الى الصيام فصمت قال له فى هذا الحر الشديد
قال نعم صمت ليوم هو اشد حرا منه قال له افطر اليوم وتصوم غدا
فقال له ان ضمنت لى البقاء الى غد قال ليس ذلك الي قال فكيف تسالنى
عاجلا بآجل لا تقدر عليه قال لانه طعام طيب قال لم تطيبه انت
وانما طيبه الطباخ ولا الطباخ انما طيبته العافية ويحكى
عن مالك بن أنس انه قال بعث الي أبو جعفر المنصور فقال ابن

طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه
انطاع قد بسطت وبين يديه جلاوزة بين ايديهم السيوف يضربون
الاعناق فاوما الينا ان اجلسا فجلسنا فاطرق عنا طويلا ثم رفع راسه
الى ابن طاوس فقال حدثني عن ابيك قال نعم سمعت ابي يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة
رجل اشركه الله تعالى في ملكه فادخل الجور في حكمه فامسك ابو
جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابي
مخافة ان يملاني بدمه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدوات
فسكت عنه فقال ما يمنعك ان تناولنيها قال خشيت ان تكتب
بها معصية فاكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال
ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي منك اليوم قال مالك فما زلت اعرف
لابن طاوس فضله ويروى عن بشر بن السري انه قال بينما الحجاج
جالسا في الحجر اذ دخل رجل من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض
من معه وقال اذا فرغ من طوافه فاتني به فلما فرغ اتاه به فقال من
انت فقال من اهل اليمن قال الك علم بمحمد بن يوسف قال نعم قال
فاخبرني عنه قال قد تركته ابيض غضا سمينا طويلا عريضا فقال له
ويحك ليس عن هذا اسالك قال عن اي شيء تسالني قال عن سيرته
وطعمته قال باجور السيرة واخبث الطعمة واعدا الاعداء على الله
تعالى في احكامه قال فغضب الحجاج فقال ويلك اما علمت بانه اخي
قال بلى فانت اما علمت بان الله ربي وان الله لهو امنع لي منك
واكثر منك لاخيك وعن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث
الي ابو جعفر المنصور فاتيته فسلمت عليه بالخلافة فرد علي واستجلسني
ثم قال لي ما الذي ابطا بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد

يا امير المؤمنين قال اريد الاخذ منكم والاقتباس منكم قال قلت كانظر
يا امير المؤمنين لا تجهل شيئا مما اقول قال وكيف اجهل وانا اسالك عنه
وفيه وجهت اليك واقدمتك له قال قلت ان تسمعه ولا تعمل به قال
فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا
مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت
يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما عبد جاءته موعظة من الله تعالى في دينه
فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من
الله عليه يزداد بها اثما ويزداد بها من الله سخطا يا امير المؤمنين
حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير
المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذى
يلين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم صلى الله
عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه وبذات يده
محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق وان
تكون له بالقسط فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم
الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما
اصابهم من سوء قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن
عامة الناس الذين اصبحت تملك احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم
وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام
وراء فئام ليس منهم احد الا ويشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة
سقتها اليه يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال
كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع

بها المنا فقتين فاتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه
الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف
بمن شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم
عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير المؤمنين حدثني مكحول
عن زياد عن حارثة عن حبيب بن سلمة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعى الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابي
لم يتعمده فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك
جبارا ولا متكبرا فدعى النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال
اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي لا افعل ذلك
ابدا ولو انت على نفسي فدعا له بخير يا امير المؤمنين رض نفسك
بنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها
السموات والارض التي يقول فيها صلى الله عليه وسلم لقيد قوس
أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير المؤمنين ان
الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق
لغيرك يا امير المؤمنين اتدري ما جاء في تاويل هذه الآية عن
جدك مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك وكيف بما عملته الايدي
وحصدته الالسن يا امير المؤمنين بلغني عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه انه قال لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت
ان اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير
المؤمنين اتدري ما جاء في تاويل هذه الاية عن جدك يَا دَاوُدُ
إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ
الْهَوَى الاية قال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك

فكان لك فى احدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفتى ولا كرامة يا داود انما جعلت رسلى الى عبادى رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة فيجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلاء والماء يا امير المؤمنين انك بليت بامر لو عرض على السموات والارضين لابين ان يحملنه و اشفقن منه يا امير المومنين حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمر الانصارى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد فى سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلى شيئا من امور المسلمين الا اوتى به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار فينتقض به ذلك الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا قال عمر فممن سمعت هذا قال من ابى ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم وفى لفظ اخراي والله ومع السبعين خريفا فى واد يلتهب فى النار التهابا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه انا لله وانا اليه راجعون من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله انفه والصق بالارض خده قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكا وانتحب حتى ابكانى ثم قلت يا امير المؤمنين قد سال جدك العباس النبى صلى الله عليه وسلم الامارة على مكة والطائف واليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبى نفس

تغييرها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لهم وشفقة عليه
وَأخبر انه لا يغني من الله شيئا اذ اوحى اليه وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ
فقال يا عباس عم النبي ويا صفية عمة النبي ويا فاطمة بنت محمد اني
لست اغني عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم وقد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لا يقيم امير الناس الا حصيف العقل اريب العقد
لا يطلع منه على عورة ولا يحنق منه على جرة ولا تأخذه في الله لومة
لائم وقال الامراء اربعة امير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك
كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير فيه
ضعف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك ان
لم يرحمه الله وامير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي
قال فيه النبي عليه السلام شر الرعاء الحطمة فهو الهالك وحده وامير
ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المؤمنين ان
جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك
حين امر الله بمنافيخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال
له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها
الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اصفرت ثم اوقد
عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهيبها
ولا يخمد جمرها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار
اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه
أهل الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي
ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا الذابت واشتعلت ولو ان
رجلا دخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه
خلقته وعظمه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل

لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح
الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما بلي به هاروت
وماروت فهو الذى منعني من اتكالى على منزلتي عند ربى واكون قد
امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد
ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وقد بلغني يا امير المؤمنين
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالى
اذا قعد الخصمان بين يدي على من قال الحق من قريب او بعيد فلا
تمهلني طرفة عين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم
عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن
طلب بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلام عليك
ثم نهضت فقال لى الى اين قلت الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين
ان شاء الله فقال قد اذنت وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها
ويقال امر له بمال فلم يقبله وقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع
نصيحتي بعرض من الدنيا ويروى ان رجلا من السياحين دخل
على المامون فسلم عليه ثم قال له يا ظالم وانا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم
استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله عز وجل فيما ملكك
وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج فقال له المامون من انت قال
انا رجل من السائحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلى فلم اجد
نفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلى الحقهم قال فامر بضرب
عنقه والله اعلم وفي كتاب الغزالى * قال كان ابو الحسن الثوري
رجلا قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه
وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلف نفسه قال فنزل ذات يوم

الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين فتطهر للصلاة اذ رأى زورقا فيه
ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وانكره لانه لم يعرف
في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه لطف فقال للملاح اي
شيء في هذه الدنان فقال الملاح انت والله صوفي فضولي هذا
خمر للمعتضد اراد ان يتم به مجلسه فقال النوري هذا خمر قال نعم
قال احب ان تعطيني هذا المردي فاغتاظ الملاح عليه فقال لغلامه
اعطه المردي حتى انظر ما يصنع فلما صار المردي في يده صعد الى الزورق
فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث
الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ مؤنس بن افلح فقبض على النوري
واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه
ولم يشك الناس ان سيقتله قال ابو الحسن فادخلت عليه وهو
جالس على كرسي من حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من
انت قلت محتسب قال من ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة
ولاني الحسبة يا امير المؤمنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع
راسه الي وقال ما حملك على ما صنعت قلت شفقة مني عليك
اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك قال فاطرق مفكرا في كلامي
ثم رفع راسه فقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان
فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المؤمنين ان اذن فقال هات
خبرني فقلت يا امير المؤمنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق
لله سبحانه وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت
هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذا الحال الى ان صرت الى هذا الدن
فحدثت نفسي كبرا الى قد اقدمت على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليها
بالحالة الاولى وكانت ملء الدنيا دنانا لكسرتها ولم ابال فقال

وأي شيء عليك امض لشغلك فلما سمع منه هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال احب ان تخبرني اي شيء في هذه الدنان فقال خمر

المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما احببت ان تغيره من المنكر
قال ابو الحسن فقلت يا امير المؤمنين نقض التغيير لاني كنت اغير
عز الله فانا الان اغير شرطيا فقال المعتضد ما حاجتك قال تأمر
باخراجي سالما فامر له بذلك فخرج الى البصرة الى ان توفي المعتضد
ثم رجع الى بغداد والله اعلم قال وعن ابن المهاجر قال قدم المنصور
حاجا وكان يخرج من دار الندوة في آخر الليل ليطوف ويصلي ولا
يعلم به فاذا اطلع الفجر رجع الى الدار فاذا اقيمت الصلاة صلى بالناس
فبينما هو ذات ليلة حين السحر يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم
وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض
وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه
حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج وجلس في ناحية من المسجد فارسل
اليه فدعاه وقال اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن
فاقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك
تقول من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله
من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني واقلقني
فقال يا امير المؤمنين ان امنتني على نفسي انبأتك بالامور من اصولها
والا اقتصرت على نفسي فلي فيها شغل شاغل فقال له انت آمن
على نفسك فقال له انت الذي داخله الطمع والصفراء والبيضاء
على يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع
ما دخلك يا امير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك امور المسلمين
واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك
وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم
السلاح ثم سجنت نفسك فيها عنهم وبعثت عمالك في جمع الاموال

حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت وقال ويحك وكيف يدخلني الطمع

وجبايتها

وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك
وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع
والسلاح ولم تامر بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان
نفر اسميتهم وامرت بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا
العارى ولا الضعيف والفقير ولا احد الا وله فى هذا المال حق
فلما رآك هؤلاء النفر الذين اخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك
وامرتهم ان لا يحجبوا عنك تجبى الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد
خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فايتمروا على ان لا يصل اليك
من أخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف امرهم
الا انقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك
عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم فكان اول من صانعهم
عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك
ذو الثروة والقدرة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية
فامتلأت بلاد الله من الطمع بغيا وفسادا فصار هؤلاء شركاءك
فى سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول
وان اراد رفع قصة اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك
ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فان جاء ذلك الرجل وبلغ
بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته فان كانت
للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال
المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل
عليه فاذا اجهد واخرج واطرح بين يديك فيضرب ضربا عنيفا ليكون
نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله
على هذا وقد كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهى اليها المظلوم

الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل ياتى من اقصى
البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى يا اهل الاسلام فيبادرونه
ما لك ما لك فيرفعون مظلمته لسلطانهم فينصف له ولقد كنت
يا امير المؤمنين اسافر الى الصين وبها ملك فقد منها مرة وقد
ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى فقال له وزراءه ما لك تبكى لا بكت عيناك
فقال اما انى لست ابكى على المصيبة اذ نزلت بى ولكن المظلوم بالباب
يصرخ فلا اسمع صوته ثم قال اما ان كان سمعى ذهب فان بصرى لم
يذهب نادوا فى الناس لا يلبس احد ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب
الفيل طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين
مشرك بالله قد غلبته رافته بالمشركين على شح نفسه فى ملكه وانت
مؤمن بالله وابن عم نبى الله صلى الله عليه وسلم لا تغلبك رافتك
بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع المال الا لواحد من ثلاثة
ان قلت اجمعها لولدى فقد اراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط
من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد
شحيحة تحويه فلا يزال الله تعالى يلطف لذلك الطفل حتى تعظم
رغبة الناس اليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء وان
قلت اجمع المال لاشد سلطانى فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك
ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال
والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة
والضعف حين اراد الله بكم ما اراد فان قلت اجمع لطلب غاية
هى اجسم من الغاية التى انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه
الا بمنزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المؤمنين هل تعاقب
من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع

بالملك

بالملك الذي خولك الله به وما انت ممن ملك الدنيا وهو تعالى
لا يعاقب من عصاه بالقتل وانما يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب
الاليم فما تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك
ودعاك الى الحساب ايغني عنك شيئا مما كنت فيه من ملك الدنيا
فبكى المنصور بكاء شديدا وانتحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني
لم اخلق ولم اك شيئا قال كيف احتيالي فيما خولت ولم ار من الناس
الا خائنا فقال عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم
قال العلماء قال فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم ما ظهر من
طريقك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر
للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشيء مما حل وطاب و
اقسمه بالعدل فانا ضامن عمن هرب عنك ان ياتيك ويعاونك
على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما
قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج
فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك الرجل ان لم تأت به لاضربن عنقك
فاغتاظ عليه غيظا شديدا اذ لم يوجد فخرج الحرسي يطلب الرجل
فوجده يصلي في بعض الشعاب فطلبه ان ينطلق معه فقال ليس لي
الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال ولا يقتلك قال فكيف قال فاخرج
من مزود كانت معه رقا فيه شيء مكتوب قال خذه فان فيه دعاء
الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهيد وان من
دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره واستجيب
دعاءه وبسط له في رزقه واعطي ما موله واعين على عدوه وكتب
عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول اللهم كما
لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء

وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس
الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد
كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا
والاخرة بيدك اجعل لى من كل هم امسيت واصبحت فيه فرجا ومخرجا
* (اللهم) * ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك
على قبيح عملى اطمعنى ان اسالك ما لا استوجبه بما قصرت فيه
ادعوك آمنا واسالك مستأنسا وانك المحسن الى وانى المسئ الى
نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع استغنائك عنى واتبغض
اليك بالمعاصى مع افتقارى اليك ولكن الثقة بك حملتنى على الجراة
عليك فعد بفضلك واحسانك الى انك انت التواب الرحيم قال
فأخذته فصيرته فى جيبى فدخلت على امير المؤمنين فنظر الى وتبسم
قال ويلك اتحسن السحر فقلت لا والله يا امير المؤمنين وقصصت
عليه امرى مع الشيخ فقال هات الرق الذى اعطاك ثم جعل يبكى
وقال قد نجوت وامر بنسخه واعطانى عشرة آلاف درهم والله
اعلم فهكذا كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الامر بالمعروف والنهى
عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على الله
سبحانه ان يحرسهم ورضوا بحكمه ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا
فيه النية اثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما
الان فقد قيدت الاطماع السن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد
اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا الله وعملوا بمقتضى العلم لافلحوا
ففساد الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد
العلماء باستيلاء حب المال والجاه على قلوبهم ومن استولى عليه حب
الدنيا لم يقدر على الاحتساب على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر

والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم نجزت أبواب الامر والنهي بحمد الله وحسن عونه والصلاة على سيدنا محمد نبيه عليه افضل الصلاة واتم السلام * * *

القنطرة السابعة في ذكر التوبة وما تشتمل عليه من الابواب

* * * بسم الله الرحمن الرحيم * * *

الحمد لله الذى جعل التوبة سترة لعورات الاعمال * وطهارة لنجاسة الافعال * نعمة انعم بها على عباده المؤمنين * ومنة امتن بها على اوليائه التائبين * بعد ما زلت بهم القدم * فانه لا غرو فان اذنب الادمي واجترم * فهي شنشنة يعرف بها من اخترم * وشيمة اقتدى بها بابيه آدم * ومن اشبه اباه فما ظلم * ولكن قد قرع آدم على خطئه سن الندم * وتاب مما سلف منه وتندم * فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم * بل التجرد للخير دائما هو داب الملائكة المقربين * والتجرد للشر دون الاقلاع عنه من شيم الشياطين * والرجوع الى الخير بعد الشر من ضرورة الادميين * فالمتجرد للشر دون الاقلاع شيطان * والمقلع عن الشر الى الخير هو في الحقيقة انسان * لانه قد ازدوج في طينة الانسان شائبتان * واصطحبت فيه سجيتان * فلا بد أن ينسب الى الملك أو الى آدم أو الى الشيطان * فالتائب قد أقام البرهان * بصحة نسبه الى آدم * حين لم يخرج من طبع الانسان * بما قارف من العصيان * اذا اقلع عنه بالتوبة والاحسان * والمصر على المخالفة والطغيان * فقد صحح نسبه في ذلك الى الشيطان * واما تصحيح النسب الى الملائكة بالتجرد المحض

الى الخير دائما فامر خارج من حيز الامكان * فان الشر معجون مع الخير فى طينة ، ادم عجنا محكما * لا يخلصه الا احدى نارين * نار الندم او نار جهنم فالاحتراق بالنار ضرورة فى تخليص جوهر الانسان من خبائث الشيطان * فعليك ايها المذنب باختيار اهون الشرين * والمبادرة الى اخف النارين * قبل ان يطوى بساط الاختيار * وانسياق الى دار الاضطرار * اما الى الجنة او الى النار * والصلاة والتسليم على اكرم مبعوث من معد ونزار * محمد بن عبد الله النبي المختار * وعلى اله واصحابه الطاهرين الابرار * اما بعد فلما كان شؤم الذنوب يورث الحرمان * ويعقب الخذلان * وانه قيد يمنع الانسان * من المسارعة الى خدمة الرحمن * ويقسى قلبه حتى لا تؤثر فيه زواجر القرآن * وكانت التوبة حياة للقلوب بعد موتها بالاصرار على الذنوب * وطهارة لها بعد نجاستها باقذار العيوب * وجب علينا ان نبين فضيلة التوبة وحقيقتها ونوضح شروطها التى لا تتم الا بها * فتشتمل هذه القنطرة على خمسة ابواب الاول منها فى فضل التوبة وبيان وجوبها والثانى فيما عنه التوبة وهو الذنوب على اختلاف صفاتها والثالث فى شروط التوبة التى لا تقبل الا بها والرابع فى بيان اقسام التائبين وفى دوام التوبة والخامس فى السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل عقدة الاصرار وبالله التوفيق

* * ﴿ الباب الاول فى فضل التوبة ووجوبها ﴾ * *

قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا وهذا امر على العموم وقال الله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا اي خالصة عن الشوائب

ماخوذ من النصح وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
سئل عن التوبة النصوح فقال ان يتوب المرء ثم لا يعود الى الذنب
كما لا يعود اللبن الى الضرع وعن معاذ بن جبل وابي بن كعب رضي
الله عنهما مثل ذلك قال وسئل ابن عباس عنها فقال التوبة النصوح
ان يذنب الرجل الذنب ثم يندم فيتوب منه ولا يحدث نفسه
بالرجوع اليه حتى يموت قال فان عاد الى الذنب عاد الى التوبة
واجمع انه عزم على ان لا يعود فيه ويندم على ما اتى قال فمن كان
كذلك كانت توبته توبة نصوحا وقال الله تعالى انما التوبة على
الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك
يتوب الله عليهم ويقال ان كل مذنب جاهل عند مواقعة الذنب
وان كان عالما وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ومما
يدل على فضل التوبة قول الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا احب
الله عبدا لم يضره ذنبه ثم تلا ان الله يحب التوابين الاية وعنه
عليه السلام انه قال ما من شيئ احب الى الله من شاب تائب
وقال سبحانه غافر الذنب وقابل التوب الآية وقال وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات وعنه عليه
السلام انه قال ان الله يبسط يده بالتوبة لمسيئ الليل الى النهار
ولمسيئ النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد
كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس
بطالب ولا طالب الا وهو قابل وعنه عليه السلام انه قال لو عملتم
الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال عليه

السّلام ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول
الله قال يكون نصب عينيه تائبا بارا حتى يدخل الجنة وعنه ايضا
انه قال كفارة الذنب الندامة وروى ان حبشيا قال يا رسول
الله انى كنت اعمل بالفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم
رجع فقال يا رسول الله اكان يرانى وانا اعملها قال نعم فصاح
الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله تعالى لما لعن
ابليس ساله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لاخرجت
من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله وعزتى وجلالى لاحجبن
عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال ان الحسنات يذهبن السيئات
كما يذهب الماء الوسخ وعن سعيد بن المسيب انه قال انزلت
هذه الاية انه كان للأوابين غفورا فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم
يذنب ثم يتوب وعن الفضيل انه قال يقول الله عز وجل بشر
المذنبين انهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين انى ان وضعت
عدلى عذبتهم وعن طلق بن حبيب انه قال ان حقوق الله اعظم
من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وعن
عبد الله بن عمر قال من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت
عنه فى ام الكتاب ويروى ان نبيا من بنى اسرائيل اذنب فاوحى
الله اليه وعزتى وجلالى لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت
انت وانا انا وعزتك وجلالك لئن لم تعصمنى لاعودن فعصمه
الله وقال بعض السلف ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما
حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتنى لم اوقعه فى الذنب وعن
حبيب بن ثابت أنه قال تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر
بالذنب فيقول انى كنت مشفقا منك فيغفرله ويروى ان رجلا

سال بن مسعود رحمه الله عن ذنب الم به هل له من توبة فاعرض
عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأ اعينيه تذرفان فقال ان للجنة
ثمانية ابواب كلها تغلق وتفتح الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا
به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وعن عبد الرحمن بن القاسم انه قال
تذكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف فقال انى لارجوان يكون المسلم احسن
حالا عند الله تعالى ولقد بلغنى ان توبة المسلم كاسلام بعد
اسلام وعن عبد الله بن سالم انه قال لا احدثكم الاعن نبي
مرسل وكتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة
عين سقطت عنه اسرع من طرفة عين وعن عمر رضي الله عنه
انه قال اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعض السلف
انا اعلم متى يغفر الله لى قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال بعضهم
انا من ان احرم التوبة اخوف من ان احرم المغفرة لان المغفرة من
لوازم التوبة وتوابعها لا محالة وعن الفضيل بن عياض انه
قال لما عاين قوم يونس عليه السلام العذاب قام رجل منهم
فقال اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وعفوك اعظم منها
واجل فافعل بنا من الخير ما انت اهله ولا تفعل بنا من الشر
ما نحن اهله قال فكشف الله عنهم العذاب ويروى انه كان
فى بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين
سنة فنظر فى المراة فرأ الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال
الهى اطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت
اليك اتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك
وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك

ومن كتاب حياة القلوب قال وفيما يروى انه كان فى بعض من مضى رجل جرا على معاصى الله ثم ان الله تعالى اراد به خيرا وتوبة فقال لزوجته انى ملتمس شفيعا الى الله لاتوب اليه فلعله يقبل توبتى فقالت له وكانت غير فقيهة لا تذكر ربك فانك ان ذكرته عذبك عذابا لم يعذبه أحدا من خلقه قال فخرج الرجل الى الصحراء يصيح يا سماء اشفعى لى ياجبال اشفعى لى ياارض اشفعى لى ياملائكة ربى اشفعوا لى فما زال كذلك حتى ادركه الجهد فخر مغشيا عليه فبعث الله اليه ملكا فأجلسه ومسح وجهه فقال له ابشر فقد قبل الله توبتك قال ومن كان شفيعى الى الله قال خشيتك اشفعت لك وينشد فى المعنى * *

* بَادِرْ اِلَى التَّوْبَةِ الْخَلْصَاءِ مُجْتَهِدًا * مَا الْمَوْتُ وَيْحَكَ لَمْ يَمْدُدْ اِلَيْكَ يَدًا *
* فَاِنَّمَا الْمَرْءُ فِى الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ * اِنْ لَمْ يَكُنْ مَيِّتًا فِى الْيَوْمِ مَاتَ غَدًا *

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه وفى خبر اخر مالم يغرغره الملك عند الموت ومن كتاب الضياء قال ومن امارات القيامة ان لا تقبل توبة كافر من كفره ولا صاحب كبيرة من كبيرته ويقال التوبة مبسوطة مالم يوخذ بخطه وكذلك المجنون مالم يغير عقله من الجنون وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال التوبة مقبولة من كل تائب الى يوم القيامة الا من ثلاثة ابليس راس الكفار وقابيل بن آدم الذى قتل اخاه هابيل ظلما ومن قتل نبيا فلا توبة لهؤلاء الثلاثة وعن كعب الاحبار ان الله عزوجل يقول ايها العبد الخاطئ تب قبل موتك وقل لا اله الا الله اجعلها لك نورا اصلها فى قبرك وفرعها فى باب الجنة يهديك اصلها الى فرعها وقيل لاعرابى ما افضل ما يلقى الله عزوجل به قال نصيحة من قلب وتوبة من ذنب ويقال ان العبد

اذا تاب توبة نصوحا انسى الله حفظته وبقاع الارض ذنوبه وخطاياه وينشد فى هذا المعنى

المرء يذنب والمولى يقومه * وَالعبد يجهل وَالمولى يَعلمه
انى ندمت على ما كان من زلل * وَزلة المرء يمحوها تندمه

ويروى ان الله تعالى لما خلق القلم قال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب انا التواب اتوب على من تاب وقال بعض السلف انه كان شاب قد تنسك ثم خرج الى الارض فواقع فيها معصية ثم ذكر فنظر الله فخر ساجدا وجعل يقول فى سجوده لا اعود يا سيدى لا اعود يا سيدى فنودي فى سجوده ارفع راسك فانت انت وانا انا انت العبد وانا السيد الرب تعود الى الذنب بالجهل واعود الى المغفرة بالفضل وَروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من صوت احب الى الله من صوت عبد مذنب تائب اذا قال يا رب قال الله عز وجل عبدى ها انا بين يديك وعن شمالك وعن يمينك ومن خلفك سل تعط انت عندى كبعض ملائكتى اشهد وانى قد غفرت له ويروى انه كان بعض الصالحين يطوف بالبيت وهو يقول اللهم اعصمنى فنودي كل احد يطلب منا العصمة فلو اعصمتهم فعلى من يكون تفضلنا ومن كتاب حياة القلوب قال وفيما يروى وَالله اعلم ان نبيا من انبياء الله يسمى يورخ بن مارنا اذنب ذنبا فاتى بحارا فنادى ايتها البحار البعيدة غورا الكثيرة امواجا انى اذنبت لله ذنبا فهل انت مغيثى عن الله ساعة فاوحى الله الى البحار ان تجيبه فقالت له يا يورخ بن مارنا انت نبي بنى اسرائيل تقول هذا ما فينا موجة الا وعليها من الله حافظ ولا قطرة الا بعين الله فاين تغيبك فاتى جبالا فنادى ايتها الجبال الكثيرة الاودية

وَالشعاب انى اذنبت ذنبا فهل انت مغيبتي عن الله ساعة فاوحى الله الى الجبال ان تجيبه فقالت يا بورخ بن ماريًا انت نبي بني اسرائيل تقول هذا اما فينا شجرة الا وَعليها من الله حافظ وَما تسقط من الا يعلمها فصرع بورخ فقال اللهم اقبض روحي فى الارواح وَ جسدى فى الاجساد واجعلني هملا لا احضر الحساب فاوحى الله بل اتوفاك يا حبيبي وَأسكنك جنتي وفيما يُروى عن داود عليه السّلام أنه بكى عن خطيئته بكاء شديدا فلم ينفعه شئ فلما ضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب اما ترحم بكائى قال فاوحى الله اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهى وسيدى فكيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح واظلتنى الطير على راسى وانست الوحوش الى محرابي الهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بيني وبينك فاوحى الله اليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا دَاود ءآدم خلق من خلقي خلقته بيدى ونفخت فيه من روحي وأسجدت له مَلائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقارى فشكا الي الوحدة فزوجته حواء امتي واسكنته جنتي فعصاني فطردته عن جوارى عريانا ذليلا يا داود اسمع مني ما اقول والحق اقول اطعتنا فاجبناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ماكان منك قبلناك وقيل اوحى الله عزوجل الى ادم عليه السلام يا آدم اورثت ذريتك التعب والنصب واورثتهم التوبة من دعاني منهم بدعوتك لبيته كتلبيتك يا آدم احشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاءهم مستجاب فهذا القدر كاف فى بيان فضل التوبة وانها اذا صحت بشروطها مقبولة

لامحالة

لامحالة والله تعالى اعلم واحكم * * * * * * * * * * *

الباب الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب كلها

اعلم ان التوبة اقلاع عن الذنب وتركه ولا يمكن ترك الشئ الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى من ترك او فعل وتفسير ذلك يطول ولكن نشير الى منابعها من اخلاق الانسان على ما ذكره الغزالي في كتابه فنقول مثارات الذنوب تنحصر في اربع صفات مركوزة في فطرة الانسان احداها صفة ربوبية وتقتضي من الانسان النزوع والتشبه بصفات الرب جل جلاله وذلك كالكبر والفخر والجبروت وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذه الصفة تنبعث منها ذنوب كثيرة مهلكات وهي كالامهات لاكثر المعاصي والثانية صفة شيطانية وهي التي منها ينبعث الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر ويدخل فيها الغش والمكر والحقد والنفاق والدعوة الى البدع والضلال واضمار السوء للناس واشباه ذلك والثالثة صفة بهيمية وهي الشهوة ومنها ينبعث الشره والتكالب على الدنيا والحرص على قضاء شهوة الفرج والبطن ومنه يثور المنكر والفحشاء من الزنا واللواط والسرقة واكل اموال الايتام وارتكاب الاثام في جمع الحطام لاجل الشهوات والرابعة صفة سبعية ومنها ينبعث الغضب والحقد والجراءة والتهجم على الناس

بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال وتمزيق الاعراض واشباه ذلك وانما كانت هذه الصفات مركوزة في الانسان لان طينته معجونة من اربعة اشياء من اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة وذلك انه خلق من تراب وماء ثم جعل فيه نفس وروح فيبوسته من التراب ورطوبته من الماء وحرارته من النفس وبرودته من الروح فثارت من هذه الطبايع المختلفة اخلاق غير متفقة كما قدمنا وقد يقال في كتاب الطب وما من احد الا وفيه من كل طبيعة وسوء غريزة وانما التفاضل بين الناس في مقابلة الطبائع السوء باضدادها واما ان يسلم احد من ان لا يكون فيه شيء منها فلا ولكن الرجل القوي الحليم العاقل يغلبها بالقمع لها باذن الله تعالى فكلما تطلعت قمعها حتى تصير كانها ليست فيه خاملة ولن ينال ذلك الا بعون الله وهذه الصفات التي قدمنا لها تدريج في فطرة الانسان فالصفة البهيمة هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعتا استعملتا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم الصفة الربوبية آخرها وهي الكبر والفخر والعز وامثالها فهذه الصفات امهات الذنوب ومنابعها ومنها تنفجر على الجوارح فبعضها في القلب كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وغيرها وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وذلك واضح لا يحتاج الى تفصيل

* (فصل) * اعلم ان الذنوب على وجهين احدها ذنوب بين العبد وبين الله تعالى وذلك كترك الصلاة والصوم

وغيرهما مما يتعلق به من الواجبات والثاني ما يتعلق بحق العباد وذلك كترك الزكاة والكفارات والنفقات الواجبات وقتل النفس وغصب الاموال وتمزيق الاعراض واشباه ذلك مما يطول به الكتاب فكل ما يتعلق به مظلمة العباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله فالعفو فيه ارجى واقرب مع التوبة والاستغفار وقد جاء في الخبر ان الذنوب ثلاثة ذنب يغفر وذنب لا يغفر وذنب لا يترك فالذنوب التي تغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى والذي لا يغفر الشرك بالله تعالى والذي لا يترك ذنوب العباد ان لم يتخلص منها في الدنيا أخذ بها في اشد الحالات

*(فصل) * ثم تنقسم الذنوب الى صغائر وكبائر قال الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم يعني الصغائر وقال الله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفرن ما بينهن ان اجتنبت الكبائر وقد اختلف الناس في هذا فقال بعضهم كل مخالفة لله تعالى فهو كبيرة ولذلك قيل لا تنظر الى المعصية ولكن انظر الى من عصيت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ليس فيما يعصي الله به صغيرة وهذا ضعيف لما قدمناه من الايات والاخبار وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين باثبات الكبائر والصغائر واختلفوا في عددها من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة الى ما فوق ذلك وقال بعض السلف كل ما وجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقال اصحابنا ومن وافقهم الكبيرة كل

مايجب عليه النكال في الدنيا والعذاب في الاخرة والصغيرة ما
سوى ذلك والكبائر منها معلوم وغير معلوم والصغائر كلها
غير معلومة اذ ليس من الحكمة تبيينها بعلو رود الاستثناء فيها
وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الكبائر ما ذكر
الله من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه الآية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال الكبائر
ما ذكر الله من اول سورة النور الى قوله وتوبوا الى الله جميعا
الآية وروي عن ابن عمران الكبائر سبع فبلغ ذلك ابن عباس
فقال هي الى سبعين اقرب منها الى السبع وقيل انها مبهمة
لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وفي كتاب
الغزالي قال وقال ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها
من جملة الاخبار من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم
وهي اربعة في القلب وهو الشرك بالله والاصرار على المعصية
والقنوط من رحمة الله والامن من مكره واربعة في اللسان
وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغاموس وهي
التي يحق به باطلا ويبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال
امرء مسلم باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها
تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كلام يغير الانسان وسائر
الاجسام عن موضوعات الخلقة قال وثلاثة في البطن وهي
شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل
الربا وهو يعلم واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنتان
في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهي الفرار
من الزحف يفر الواحد من اثنين والعشرة من العشرين

وواحدة في جميع الجسد وهي عقوق الوالدين هذا ما قاله وهو
قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ تمكن الزيادة عليه والصحيح
ما قاله المسلمون ان الكبير كل ما اوجب الله عليه الحد في الدنيا
والعذاب في الاخرة لانه معلوم ان فقو العين وقطع اليدين وتعذيب
المسلمين بالضرب وانواع العذاب واكل اموالهم ظلما والحكم بغير
ما انزل الله واشباه هذا كله من الكبائر وقد قال ابو سعيد الخدري
وغيره من الصحابة لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعض
السلف كل عمد كبيرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة من هو مستكبر ومنان
بعطيته ومنفق سلعته بيمينه وثلاثة لا تجاوز اعمالهم اذانهم صاحب
رياء وسمعة ومسبل ازاره اذا مشا وبائع الحكم بالرشا وقال عليه
الصلاة والسلام ثلاثة مقتهم الله تعالى وثلاثة خصمهم الله
فاما الذين مقتهم الله فالضاحك من غير عجب والآكل من غير جوع
والمعلم لا يعلم والذين خصمهم الله يتيم اكل ماله ظلما وامراة
ظلمت في صداقها وعبد ضربه مالكه بلا ذنب وقال عليه السلام
سبعة من امتي لا تطفى نيرانهم يوم القيامة ولا ينظر الله اليهم اعمى كذوب
وشيخ زان ومؤذن مراء ووال غشوم وامام يؤم بقوم وهم له كارهون
وامراة خانت زوجها بالعيب وعبد ابق من مولاه لا يرجع اليه ابدا
وقال عليه السلام اكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين
واليمين الغموس ومن حلف يمينا فادخل منها مثل جناح بعوضة
لم تزل في قلبه نكتة الى يوم القيامة وقتل النفس وقول الزور ثم
اسنوفر صلى الله عليه وسلم فقال اليمين الغموس والفرار من الزحف

وترك الصلاة ومنع الزكاة وقطيعة الرحم والغيبة والنميمة وقسمة المواريث بغير ما انزل الله

وقذف المحصنات واكل الربا واكل مال اليتيم وقال عليه السلام اشتد غضب الله على عبد ستر الله عليه ذنبا فافشاه الى غيره وقال ما من انسان يستمع كلام قوم وهم له كارهون الا وضع الله فى اذنه الانك يوم القيامة وقال من استمع قينة صب فى اذنه الانك يوم القيامة والانك الرصاص المذاب فقال من كذب واصر فهو فى النار مخلد وقال اعتا الناس على الله من قتل غير قاتله او طلب بدمه من الجاهلية فى الاسلام وعنه عليه السلام انه قال خمسة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم الا ان يتوبوا النائمون عن العتمات والغافلون عن الغدوات والشاربون القهوات والمتفكهون بسب الامهات والقاذفون المحصنات المؤمنات فهذه الاحاديث وامثالها تدل على ان الكبائر غير محصورة بعدد جامع فلا مطمع فى حصرها الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول الكبائر تسع او عشر ويفصلها وما قدمنا من عدد الكبائر فى الاحاديث لم يقصد به الحصر فكيف يطمع فى عدد ما لم يعدده الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل نعم يمكن لنا ان نعرف بعض اجناس الكبائر بالتحقيق واما اعيانها فيعرف بالظن والتقريب ونحصر اكثرها فى ثلاث مراتب احداها ما يسد باب المعرفة لله تعالى فهو اكبر الكبائر وذلك هو الشرك بالله تعالى والانكار لرسله وما جاءت به من عند الله فلا كبيرة فوق الشرك والجحود وهو عين الجهل بالله تعالى ويتلوه الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا عين الجهل ايضا فمن عرف الله تعالى لم يتصور ان يكون امنا ولا ان يكون ايسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله على حسب تفاوتها وعلى تعلقها بذات الله تعالى وافعاله

وشرائعه واوامره ونواهيه ومراتب ذلك لاتنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة فى القرآن والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه * (المرتبة الثانية) * ما يفسد حياة النفوس وهو القتل لها وذلك لامحالة من الكبائر وان كانت دون الشرك ويتلو ذلك قطع اليدين والرجلين وغير ذلك من كل ما يفضى الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع فى هذه المرتبة تحريم الزنى لانه يشوش الانساب ويبطل التوارث وجملة من الامور التى لا ينتظم العيش الا بها وكذلك اللواط لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات لانقطع النسل ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا فى شريعة وينبغى ان يكون الزنى فى الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود للنفوس ولا يمنع اهله ولكنه يفوت تميز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضى الى التقاتل وينبغى ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته هكذا فى كتاب الغزالى * (المرتبة الثالثة) * الاموال فانها معائش الخلق فلا يجوز اباحتها بل تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن استردادها وان اكلت امكن غرمها واخذها بالباطل متفاوت بعضها اكبر من بعض لان اخذها بطريق يعسر استرجاعها اكبر من غيرها اعنى ان تتناول بالخفية وهي السرقة فكيف يتدارك اذا لم يطلع عليها وكذلك الولى او القيم اذا اكل مال اليتيم وهو صغير لا يعرف فيعظم الامر فيه بخلاف الغصب فانه ظاهر وكذلك تفويت الاموال بشهادة الزور واخذ الوديعة او غيرها باليمين الغموس لان

هذه الطريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرائع في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وأما الربا فهو اكل مال الغير بالتراضي مع اسقاط شرط وضعه الشرع فلا يبعد ان تختلف الشرائع في مثله لكن عظم الشرع الربا بالزجر عنه كما عظم الظلم والغصب والخيانة او اشد والله اعلم * (وأما الشرب) * للخمر وما يزيل العقل فهو حقيق ان يكون من الكبائر الموبقات وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كالنفس بل لا خير في النفس بعد ازالة العقل وكذلك تناول الاعراض بالقذف والشتم والغيبة واللعن لمن لا يستحق فهو من الكبائر ايضا دل عليه تشديدات الشرع ايضا وكذلك السحر والعقوق والفرار من الزحف والكبر والحسد وتبديل الحكم واكل الميتة والانجاس والافطار في صوم رمضان وغير ذلك مما يطول به الكتاب فذلك كله عندنا من الكبائر دلت عليه قواطع القرآن وصحيح الاخبار وما ادى اليه النظر والله اعلم وأما غير هؤلاء من الذنوب فهي في محل الشك اذ يجوز ان تكون من الكبائر ويجوز ان تكون من الصغائر وذلك كالنظر الى بيوت الناس او ابدانهم بشهوة ما خلا العورات والتجسيس عن بعض احوال الناس وسوء الظن بمن هو في الوقوف والكذب بالزيادة في الاخبار وما لا تأخذه القيمة من اموال الناس او وطي ابدانهم ولباسهم وضرب الدف بغير التغني عليه والاستماع الى الملغية وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد

ما يحتاجون اليه من امر الدين والاهتمام بالمعصية وتشهى القلب بها وما اشبه ذلك مما يطول به الكتاب فهذا كله عندى فى محل التوقف والله اعلم الا ان اصر الانسان على شئ منها فيكفر بالاصرار والصغيرة باقية على حالها لان الكبيرة لا تكفرها الصلاة والصغيرة تكفرها وقد جاء فى الحديث ان رجلا قال يا رسول الله عالجت امراة فاصبت منها كل شئ الا المسيس فاقض على بحكم الله فقال عليه السلام او ما صليت معنا الغداة فقال بلى فقال عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات فان صح الحديث فانه يدل على ان ما دون الزنى من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الاية ولكن اجتناب الكبائر انما يكفر الصغائر اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من مواقعة امرأة فيكف نفسه عن الجماع ويقتصر على نظر ولمس لغير العورة واما ان كان عنينا فامتنع بالعجز او كان قادرا فامتنع لخوف او لامور اخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكذلك من لا يشتهى الخمر فاجتنابه لا يكفر الصغائر التى هى من مقدماته وكل هذا احكام اخروية يجوز ان يكون بعضها من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص وقد ورد فى بعضها انها كبائر وبقى الباقى على عمومه والله اعلم * * * * * * * * *

(الباب الثالث فى شروط التوبة التى لا تقبل الا بها)

اعلم ان الكف عن الذنوب فرض واجب على الانسان قال الله تعالى وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ فان قارف منها ذنبا فالفرض عليه التوبة منه والاقلاع وذلك لامرين احدهما ليحصل له توفيق الطاعة

لانه كيف يوفق للندامة من هو مصر على المعصية وفي الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا اخطا خطيئة
نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر صقلت وان هو
عاد زيد فيها حتى يغلق قلبه وهو الران الذي ذكره الله تعالى كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وفي حديث عمر رضي الله عنه
الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم
ارسل الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب
مثل الكف المفتوحة فكلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض
الاصابع كلها فتشتد على القلب فذلك هو القفل وعن الحسن انه
قال ان بين العبد وبين الله حدا في المعاصي معلوما اذا بلغه العبد
طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها بخير وعن جابر بن زيد رحمه الله
انه قال كل كبيرة يختم بها على قلب صاحبها قال الله سبحانه ثم يتوبون
من قريب قيل معناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو
اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فيعسر محوه
ولذلك قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها وقال لقمان لابنه
يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة وقال الله تعالى سارعوا
الى مغفرة من ربكم وفي كتاب محجة السعادة قال سارعوا بالتوبة
عن عصياني واعرفوا امتي احساني تستوجبوا جنتي ورضواني قال
وفي بعض الاثر ان الله تبارك وتعالى لما امر الماء ان يخرج لهلاك
قوم نوح عليه السلام فالذي بادر من الماء وسارع جعله الله
عذبا ينتفع به الى يوم القيامة والذي لم يبادر ولم يسارع جعله
الله اجاجا وزعاقا ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان
بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم ظلمة المعاصي على قلبه حتى

يصير رينا وطبعا فيعسر محوه والثاني ان يعاجله المرض والموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو قال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان الاية وفي الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف * والثاني من الامرين تلزمه التوبة لتقبل طاعته عنه فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة من المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم فمتى ما اصر على المعصية فهو كافر مردود عليه عمله قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فمن ركب كبيرة كفر في وقت ركوبه ومن ركب ما دونها فانما يكفر بالاصرار وترك التوبة لا بركوبه وقد قال عليه السلام هلك المصرون ويحبط بذلك جميع طاعته ولكنه اذا تاب رجونا ان يرد الله عليه صالح عمله وايضا فان التوبة منجاة من عاجل العقوبة في الدنيا وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم من طريق على بن ابي طالب انه قال الذنوب التي تغير النعم البغي والتي توجب الندم القتل والتي تعجل النقم الظلم والتي تذهب الفهم شرب الخمر والتي تحبس الرزق الزنا والتي تعجل الفنا قطيعة الرحم والتي تحجب الدعاء عقوق الوالدين والتي تبتر العمر ترك الصلاة والتي تورث الذل ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله اعلم * (فصل) * واما توبة اللسان فبالاستغفار قال الله سبحانه وتعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا وقال وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وهو استغفار بالقلب واللسان ويقال لكل شئ نور ونور المذنبين الاستغفار وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لزوجته زينب هل اعلمك كلمات

تجوزين بهن يوم القيامة على الصراط قالت هذا الذى اريده منك يارسول الله قال قولى اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك مما اعطيتك من نفسي ثم لم اوف به لك واستغفرك من كل خير اردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك واستغفرك من النعمة التي انعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك فان كان احد من الناس اطلع على ذلك الذنب منه فعليه اظهار التوبة له حتى يحسن به الظن ويتولاه وقد قال عليه السلام لمعاذ بن جبل فى بعض عهوده اليه يعرفه التوبة ويبين له صفاتها السر بالسر والعلانية بالعلانية فهذا يدل على ان التائب من الذنب الذي لم يطلع الناس عليه لايجوز له اظهاره لغيره ويعترف بينه وبين خالقه بالاستغفار منه والندم عليه والاعتقاد لترك العودة الى مثله ومعنى الاستغفار طلب الغفران بصحة الارادة والله اعلم *(فصل)* والتوبة فى نفسها ومعناها الانقلاع عن الذنب وترك العودة اليه وتوطين النفس على تركه ويجمعها ستة شروط كما روي ان ابن المبارك سمع رجلا يقول استغفر الله فقال له اما علمت ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين قال له وكيف ذلك قال ان للاستغفار ست علامات اولها الندم على ما مضى والثانية ان تعتقد بقلبك ان لاتعود الى ذنب ابدا والثالثة أن تؤدي الى كل ذى حق حقه والرابعة ان تعيد الفرائض التي ضيعتها والخامسة ان تعمد الى البدن الذى ربى بالسحت فتذيبه بالهموم والاحزان والسادسة ان تذيقه الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك قل استغفر الله اما الندم فهو توجع القلب على ما فرط فى الطاعة وفرط منه من الغفلة والانهماك فى الخطيات فكلما طال تخوفه وكثر

تا لله كان ذلك اقرب لتنظيفه من اوساخ السيئات وعلامات صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الحديث جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة فاذا صح الندم اورث ترك الذنوب في الحال وعزما على ان لا يعود اليها في المآل واما عقد القلب على ترك الذنب في المستقبل ففرض لازم وهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالا يعود اللبن الى الضرع وهذا العزم يتأكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني الاحوال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتأكد عزمه في الحال فعلى العبد العزم والصدق وعلى الله الاتمام فان تم على عزمه في الاستقبال فهو الموفق حقا ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول مرة الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم وقال بعض علماء السلف من صدق في ترك شهوته وجاهد نفسه لله تعالى سبع مرات لم يبتل بها وقال بعضهم من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا وان نقض التوبة مرة او مرارا ثم حملته الارادة على تجديدها فقد يكون مثل هذا كثيرا فلا ينبغي ان يقطع رجاءه عن التوبة وقد قال النبي عليه السلام ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وعن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله اني اذنب ثم اتوب قال اذا يتوب الله عليك قال ثم اذنب ثم اتوب قال اذا يتوب الله عز وجل عليك قال ثم اذنب ذنبا داخر ثم اتوب قال اذا يتوب الله عليك ولن يمل الله حتى تملوا وعنه صلى الله عليه وسلم من طريق علي انه قال خياركم كل مفتن تواب اي كثير التوبة منه وقال سبحانه ولم يصروا على ما فعلوا الآية واما الخروج من الذنوب والتخلص منها فهي بالجملة ثلاثة اقسام

احدها ذنوب بين العبد وبين الله تعالى مما لا يتعلق به حق مخلوق ولا ترك فرض كالنظر الى المحرم والكذب الذى لا مظلمة فيه لاحد وضرب المزامير واستماع الملاهى وكالحسد والكبرياء والعصبية واكل الحرام من الميتة والدم ولحم الخنزير والانجاس ودخول المسجد وهو جنب ومس مصحف وقراءة القرآن مع جنابة واعتقاد بدعة واشباه ذلك من شرب الخمر وغيرها مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة منها بالندم والتحسر على ما مضى والنزوع عنه فى الحال والاضمار الا يعود ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها ليمحوها لقوله عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحوها وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ويكفر سماع الملاهى بسماع القرآن ومجالس الذكر ويكفر القعود فى المسجد جنبا بالاعتكاف فيه على العبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا وهكذا سائر الذنوب يكفر كل معصية بما يناسبها من الطاعات وفى بعض آثار مشايخنا من اهل الجبل رحمهم الله انه اذا عمل كبيرة فعليه مغلظة مع التوبة وان عمل صغيرة فعليه كفارة يمين وقيل فى الكبيرة كفارة يمين وفى الصغيرة التوبة والاستغفار والله اعلم * (القسم الثانى) * من الذنوب هو ترك واجبات الله تعالى من صلاة او صوم او زكاة او كفارة او غيرها فان ترك صلاة واحدة او اكثر او صلى بثوب نجس او على غير وضوء او قبل الوقت او بغير نية او باخلال شرط من شروطها او ركن من اركانها مما يطول شرح تلك النواقض والمفسدات فعليه قضاء ذلك كله مع الكفارة المغلظة اذا تركها عمدا واما الصوم فان كان تركه فى سفر ولم يقضه او افطر عمدا او ترك

الغسل من الجنابة عمدا حتى اصبح او في النهار مقدار ما يغتسل فيه او افسده بالجماع نهارا او بالاستمناء عمدا ولم يعقد له نية فعليه قضاء مع الكفارة إن افسده بالافطار او بالجماع او بالاستمناء عمدا والله اعلم * (واما الزكاة) * فان لم يؤدها جهلا او تسويفا او اداها الى غير مستحقها او اخرج من ماله بما لا يجزى عنه في الزكاة فعليه الاعادة الى مستحقها في جميع ذلك وان حضره الموت فليوص بها وكذلك الحج ان تركه بعد الاستطاعة او افسده ببعض مفسداته من جماع او ترك وقوف بعرفة او طواف بالبيت فعليه الحج ان فرط فيه بعد اللزوم او افسده بعد ما دخل فيه وان حضره الموت فليوص به وكذلك ما لزمه من كفارات الايمان او المغلظات او الحنث بما له او غير ذلك مما يطول شرحه

والقسم الثالث ذنوب بين العبد وبين غيره من الناس وهي المظالم وذلك اصعبها على الانسان وهي في خمسة اشياء في المال والنفس والعرض والحرمة والدين فلا تقبل توبته الا بالتنصل من هذه المظالم الى صاحبها باتفاق العلماء ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخطأ احدكم خطايا حتى تملأ ما بين السما والارض ثم تاب تاب الله عليه الا من كانت معه مظلمة لاحد من الناس فانه لا يستجيب له حتى يردها اما المال فما لزمه من غصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع غش او تلبيس لتجويز درهم زائف او ستر عيب من المبيع او منع اجرة اجير او غير ذلك من اكل مال الغير بالباطل وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم جنايته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيامة وليناقشها قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الاخرة حسابه فاذا عرف مجموع ما عليه بظن غالب فليؤد الى كل ذي حق حقه فان

لم يعرف ارباب المظالم فليتصدق بما عليه على الفقراء وان كان معدما فعليه الاعتراف لارباب المظالم ويسعى ويجتهد وينوى الرد متى يجد
واما النفس فان كان قتلها خطأ فتوبته تسليم الدية الى ولى المقتول اما منه او من عاقلته وتحرير رقبة وان كان عمدا موجبا للقصاص فعليه التوبة والتعريف الى ولى الدم وتحكيمه فى روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله وان عفا عنه على ان يعطى الدية فليؤدها اله مع تحرير رقبة مؤمنة وان عفا عن الدية فعليه تحرير رقبة مؤمنة ولا يجوز له ان يخفى ذلك عن ولي الدم وليس هذا كما لو زنا او سرق او قطع الطريق او شرب الخمر او باشر ما يجب به حد الله فانه لا يلزمه فيه ان يفضح نفسه ويهتك ستره بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو فى محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين المحسنين وان ابا ولي الدم ان يقتص منه ولا ان يعفو عنه فليعتق رقبة مؤمنة وليبتهل الى الله تعالى ان يرضيه عنه يوم القيامة وقد ابتلى بعض اصحابنا من المسلمين بمثل ذلك حين قتلوا اخوانهم من الموالى بامر الفاسق ابن زياد فطلبوا اولياء الموالى ان يستقيدوا منهم فابوا وقالوا تلقونهم عند الله وقد كان منهم قريب والزنا فى فلما اعياهما الامر خرجا فى سبيل الله فكانا فيما يزعمون يقول احدهما كلما ضرب منه عضوا اللهم عضو بعضو حتى قتلا رحمهما الله
واما العرض فان قذف احدا او شتمه او اغتابه او بهته وهو لا يستحق ذلك فالتنصل من ذلك ان يكذب نفسه بين يديه ويستحله ان لم يخف من ذلك زيادة شر او تهييج غيظ وان خاف من ذلك فليتودد اليه باحسن الثناء واظهار المحبة له والشفقة عليه حتى يستميل قلبه ويسخو نفسه بالاحلال فان ابى وامتنع كان تلطفه به وتعذره اليه من جملة حسناته وليكثر

من ذلك حتى يجبر مظلمته يوم القيامة كمن اتلف مالا فجاء بمثله فامتنع
صاحبه عن القبول له وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء
او ابى كذلك يحكم يوم القيامة احكم الحاكمين والله اعلم واما الحرمة
فان خانه في اهله او ولده او امته او دابته او نحو ذلك فلا وجه لاظهار
ذلك والاستحلال منه لانه يولد فتنة وشرا ويهتك عن نفسه سترا
بل يغرم الصداق للمرأة البالغة ان كانت مكرهة وعقر الامة لسيدها
وصداق الصبية او المجنونة لوليهما على الرضى والكراهية وقد قال
بعض تذبح البهيمة ويغرم الناكح قيمتها والله اعلم بذلك وقيل ناكح
الصبي في الدبر يغرم صداق الثيب والله اعلم فاذا تاب وادى ذلك
رجونا له التوبة ان شاء الله تعالى واما الدين فان اكفره او ضلله
باتباعه اياه على بدعته فهو اصعب الامر فلا بد له ان يكذب نفسه
بين يدي من شرع له بدعته ويستحل منه ان امكنه والا فالابتهال
الى الله سبحانه والتضرع اليه جدا والتندم اليه لعله يرضيه عنه
يوم القيامة وفي كتاب الغزالي قال وفي الاسرائيليات ان عالما
كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا
فاوحى الله الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان بيني وبينك لغفرته لك
ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار ولذلك قال ابن
عباس رضي الله عنه ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها فيحملها
الناس فيذهبون بها في الافاق بهذا يبين لك ان امر العلماء مخطر
فعليهم في الذنب خصلتان احدهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه
فكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب والبدع اذا اتبعوا عليها كذلك
تتضاعف حسناتهم اذا اتبعوا عليها والله اعلم * (فصل) *
ومن كتاب حياة القلوب ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم

من طريق الفضل بن عباس انه خطب الناس فقال اما بعد فانی احمد
اليكم الله الذی لا اله الا هو وانه قد دنا منی خفوق بين اظهركم فمن
كنت جلدت له ظهرا فليستقد منی ومن كنت اخذت له مالا فهذا مالی
فليأخذه ولا يقولن رجل انی اخشی الشحناء من قبل رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم الا وان الشحناء ليست من طبيعتی الا وان
احبكم الیّ من اخذ ان كان له او حالّلنی فلقيت ربی وانا طيب النفس
وقد اری ان هذا غير مغن عنی شيئا حتی اقوم فيكم مرارا قال الفضل ثم
نزل فصلی الظهر ثم عاد لمقالته فقام رجل فقال يا رسول الله ان لی عليك
ثلاثة دراهم فقال اما انا فلا اكذب قائلا ولا استحلفه فبم كانت لك
عندی فقال يا رسول الله اتذكر يوم مر عليك مسكين فامرتنی فاعطيته
ثلاثة دراهم فقال اعطه يا فضل وامره فجلس ثم قال ايها الناس من كان
عنده شئ فليؤده ولا يقول فضوح الدنيا الا وان فضوح الدنيا ايسر
من فضوح الاخرة فقام رجل فقال يا رسول الله عندی ثلاثة دراهم
غللتها فی سبيل الله وكنت اليها محتاجا فقال خذ منه يا فضل وبالجملة
فاكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد لانه الذنب الذی لا يترك
واما غيرها من الذنوب فمرجوة مغفورة ان شاء الله لمن استعمل التوبة
والاستغفار وسلم مذهبه من البدعة والاصرار قال الله سبحانه
وتعالی خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسی الله ان يتوب عليهم
واما مظالم العباد فلا بد من التخلص منها وقد جاء فی الحديث ان العبد
ليوقف بين يدی الله سبحانه وتعالی وله من الحسنات امثال الجبال
لو سلمت له لدخل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا
واخذ مال هذا حتی لا تبقی له حسنة وهذا الحديث موجود عن ضمام
بن السائب رحمه الله وفيه زيادة فی كتب قومنا وذلك ان الملائكة

تقول يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيآتهم على سيئاته وصكوا به صكا الى النار والله اعلم * (فصل) وفي الاثر ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اشياء كان العفو عنه مرجوا اربعة من القلب وهي التوبة والعزم عليها وحب الاقلاع عن الذنب وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له بعد التوبة واربعة من اعيان الجوارح وهو ان يصلي عقب الذنب ركعتين بعد الغسل للثياب والتطهر لبدنه في موضع خال وفي بعض الاثار اربع ركعات ثم يستغفر الله بعدها سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ويصوم شهرين او ما قدر عليه وفي الخبر فاذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وينبغي ان يكثر البكاء ويتمرغ في التراب ويذكر ذنوبه واحدا واحدا ويوبخ نفسه عليها ويقول اما تستحيين يا نفسي اما آن لك ان تتوبي الك طاقة بعذاب الله الك حاجة بسخط الله في مثل هذا كثير ويقول الهي عبدك الآبق رجع الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتى بالعذر فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من ذنوبي واعصمني فيما بقي من الاجل فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤف رحيم ثم يدعو بدعاء ذكر انه دعاء الشدة وهو يا مجلي عظائم الامور يا منتهى همة المهمومين ويا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت بي ذنوبي انت المدخور لها يا مدخورا لكل شدة كنت ادخرتك لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم * (فصل) * ويقال التوبة النصوح لا تبقى على صاحبها اثرا من المعصية لا سرا ولا جهرا ويقال علامتها

ثلاثة اشياء مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظما ولا
تقبل التوبة مالم تكن فيها ثلاثة شروط خوف ان لا تقبل ورجاء ان
تقبل وادمان الطاعات ولها ثلاث مقامات الندم والاستغفار والحقيقة
ومعنى الندم هو عزم التحول بوجود مرارة المعاصي والاستغفار طلب
الغفران بصحة الارادة والحقيقة في الرجوع الى الله عز وجل ويقال من
علامات التوبة النصوح ان يتمكن العبد من ذنب تاب منه عشر مرات
مع وجود الاسباب ثم يعتصم من ركوبه وعن ابي المؤثر انه قال اذا
قال العبد لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين رب اني عملت
سوء وظلمت نفسي فان لم تغفر لي وترحمني لاكونن من الخاسرين لا اله الا
انت تبت الى الله واستغفر الله من كل سيئة مكروهة عند الله تعالى
قال ابو المؤثر اذا قال هكذا فقد تاب مما علم الله منه مما لم يعلم به
هو والله اعلم * (مسئلة) * فان تاب كما وصفنا ثم نقض التوبة
فاعاد الى الذنب ثانيا فليعد التوبة مبادرا وليقل لنفسه توبي لعلك
ان تموتي قبل ان تعودي الى الذنب هذه المرة وكذا ثالثا ورابعا فكما
اتخذ الذنب والعودة اليه حرفة فليتخذ التوبة والعودة اليها حرفة
ولا ييأس ولا يمنعه الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه دلالة
الخير اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب
اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه وقد قال تعالى ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وعن يحيى بن معاذ
انه كان يقول الاهي لا اقول لا اعود لما اعرف من خلقي ولا اضمن ترك
الذنوب لما اعلم من ضعفي ثم انا اقول لا اعود لعلي اموت قبل ان اعود
والله اعلم ويقال ان من علامة التوبة الصادقة ان تتمكن مرارة تلك
الذنوب من قلب التائب كما تتمكن فيه قبل ذلك حلاوتها فيستبدل

بالميل كراهية وبالرغبة نفرة ويروى فى الاسرائيليات ان الله تعالى قال لبعض انبيائه عليهم السلام وقد ساله عن قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين فى العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتى وجلالى لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه وقال بعض علماء السلف اول ما يؤمر به التائب بعد الندم والاقلاع ان يتحول عن الحركات المذمومة الى الحركات المحمودة الموجودة فى العلم قال ولا تصح له التوبة مع ذلك حتى يلزم نفسه الصمت ولا يصح له الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ولا تصح له الخلوة الا باكل الحلال ولا يصح له اكل الحلال الا باداء حق الله ولا يصح له اداء حق الله الا بحفظ الجوارح ولا يصح له ما ذكرنا الا بعون الله وتوفيقه وعن يحيى بن معاذ انه قال من اراد ادامة التوبة اذا ظفر بها فليلزم ثلاثة اشياء وليداوم عليها ان لا ياخذ من الدنيا الا حلالا وليلزم صيام النهار وقيام الليل وليلزم رجلا عالما دليلا مشفقا والله اعلم وينبغى له ان يهجر اخوان السوء وان لم يفعل اوشك ان يشوشوا عليه صحة عزمه ويردوه على عقبيه ناقضا توبته وما عزم عليه والله المستعان

الباب الرابع فى بيان اقسام التائبين فى دوام التوبة

قال الله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا ويقال الناس فى التوبة على اربع طبقات • (الطبقة الاولى) * ان يتوب كما قدمنا ويستمر على التوبة الى آخر عمره ولا يحدث نفسه بالعودة الى ذنوبه الا الزلات التى لا ينفك العبد عنها فى العادة فهذه هى التوبة النصوح وصاحبها هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام سبق المفردون المستهترون بذكر الله

تعالى وضع الذكر او زارهم فوردوا القيامة خفافا وهذه اشارة الى
انهم حت او زارهم وضعها الذكر عنهم * (الطبقة الثانية) * ان
يتوب ويسلك سبيل الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر المعاصي الا
انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في
مجاري بعض احواله ولكنه كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتاسف
وجدد عزمه على التشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها فهذه
النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة والاولى هي النفس المطمئنة
فهؤلاء ايضا لهم حسن الوعد من الله سبحانه لقوله تعالى ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما
والى هؤلاء الاشارة بقوله عليه السلام كل ابن آدم خطاء وخير
الخاطئين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واه راقع فخيرهم
من مات على رقعه اي واه بالذنوب راقع بالتوبة وفي خبر آخر
المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفي خبر آخر لابد للمؤمن
من ذنب ياتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين قال الله سبحانه
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة
فما وصفهم بعدم السيئة اصلا والله اعلم الطبقة الثالثة
ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة تغلبه شهوته في بعض الذنوب
فيقارفها عمدا لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعة
وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة
الواحدة وهو عند الفراغ يتندم عليه ويقول ياليتني لم افعله وسأتوب
عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول له نفسه ويسوف لذلك
التوبة فهذا اذا كان الذنب كبيرة فقد حبط عمله وان كان صغيرة
اصر عليها فقد هلك بالاصرار وان لم يعتقد الاصرار ولم يبادر الى

التوبة والاستغفار لكنه تمادى على التسويف للتوبة ويخشى ان يلقى الله تعالى قبل النزوع عن الخطية فهذا هو التمادى الذى اتفق عليه المسلمون انه من اهل الخزي والعقوبة ان اختطف قبل التوبة وعلق امره اهل الخلاف وحكمه الى مشيئة الله ولا يقطعون فيه بالثواب ولا بالعقوبة ويشبه ان يكون هذا حال اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا اقْتُلُوا يُوسُفَ اَوِ اطْرَحُوهُ اَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ اَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ اى تائبين والله اعلم * * * *

*(الطبقة الرابعة) * ان يتوب ويمضى على الاستقامة مدة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة والتاسف على ارتكاب خطيئة بل ينهمك انهماك الغافل فى اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين لان الفرق بين المتمادى والمصر ان التمادى لم يعتقد ان يلقى الله تعالى على غير توبة ولكنه يرجوها يوما ما والمصر هو الذى عزم ان يلقى الله تعالى بغير توبة وكلاهما عند المسلمين هالكان والمصر اعظم فى القياس وان كان المتمادى مصرا ايضا بظاهر اللغة لان الاصرار على الشيء التمادى عليه وقد قال عليه السلام هلك المصرون نعم ولم يخص والله اعلم * * * * *

*(الباب الخامس فى السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل عقدة الاصرار) اعلم ان السبب الباعث على التوبة هو الايمان باصل الشريعة ومعناها وهو ان يعلم الانسان علما يقينا ان للسعادة فى الاخرة سببا وهو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية ويعلم انه لا بد من دليل يدله على فعل الطاعة وترك المعصية وهو الرسول عليه السلام ويعتقد ان كل ما يقوله الرسول عليه السلام هو حق وصدق لا خلف فيه

ولا كذب فاذا اعتقد ما قلنا فليلق سمعه الى الايات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من الذنوب واتباع الهوى وليصدق بجميع ذلك تصديقا لا يخالطه شك وليكثر التفكر فيه حتى ينبعث منه الخوف الذي يقوى به على الصبر وليكن اكثر استماعه الى الايات المشتملة على الذنوب التي ارتكبها ثم الى الايات التي تدله على الصبر على تركها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها وهذه علوم تختص بها اطباء الدين وهم العلماء ورثة الانبياء عليهم السلام والعاصي ان علم عصيانا فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم الذي شاهد ذلك منه ان يعرفه ذلك وينكره عليه بل لا ينبغي له ان يصبر الى ان يسأل عنه لكنه يتصدر لدعوة الناس وارشادهم اقتداء بالانبياء عليهم السلام الذين يطلبون الناس واحدا واحدا في الابتداء ويرشدونهم الى طريق الاهتداء لان مريض القلب بالجهل والذنوب لا يعرف مرضه كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار مرض اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلب اكثر من مرض الابدان لثلاث علل * (احداهن) * ان المريض فيه لا يدري انه مريض لاستيلاء الجهل عليه * (الثانية) * ان عاقبته غير مشاهدة في الدنيا بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت تنفر منه النفوس وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال * (والثالثة) * فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد

غلب عليهم اليوم الداء المهلك الذي هو حب الدنيا فلم يقدروا على تحذير الخلق منه خوفا من ان يقال لهم ما بالكم تأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغال الاطباء بفنون الاغواء فصار وافتنة على الخلق الا من عصمه الله منهم وقليل ما هم فليتهم اذ لم ينصحوا ولم يصلحوا لم يغشوا ولم يفسدوا والله نسأله السلامة والتوفيق وانى نجدهما بغير سلوك الطريق * * * * * * *

وأما كيفية العلاج في حل عقدة الإصرار وحمل الناس

على التوبة من الذنوب فذلك امر يتسع شرحه ولا يمكن استقصاؤه ولكنا نشير الى اربعة انواع هي النافعة في ترك المعاصي لمن سبق له التوفيق * (النوع الاول) * ان يعظه العالم الذي هو من اهل الدين ويخوفه بما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين وينذره بما ورد من الاحاديث والآثار الصالحين مثل قول النبي عليه السلام ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي حديث آخر تجالسوا فتذاكروا ما عملوا فيقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امين عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعضهم ما من عبد يعصي الله الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء ان

يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل لصالحا فابدل له حسنات قال فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الاية والاخبار والاثار في ذم العاصين ومدح التائبين كثيرة لا تحصى فينبغي ان يستكثر الوعاظ منها على العاصي الجاهل حتى يرق قلبه لعله يوفق للتوبة على يديه فيكون له اجر سبعين صديقا كما ورد في الخبر والله اعلم *(النوع الثاني) * حكايات الانبياء عليهم السلام وغيرهم من السلف الماضين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال ادم عليه السلام في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روى انه لما اكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاخرج هو وزوجته من جوار رب العالمين الى الدنيا دار التعب والهوان البين بعد ما قيل له في الجنة ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعري وانك لا تظما فيها ولا تضحي وكذلك ما روى ان نوحا عليه السلام لما قال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الاية قال يا نوح انه ليس من اهلك الى قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقد روى انه لم يرفع رأسه الى السماء بعد ذلك اربعين سنة حياء من الله تعالى وروي ان سليمان عليه السلام عوقب على خطيئته وقد اختلفوا فيها ما هي فقيل لاجل التمثال وقد روى انه عبد في داره اربعين يوما وقيل ان امراة سألته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل

بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسأل بكفه ولايطعم فاذا قال اطعمونى فانى سليمان بن داود شج وضرب وحكى انه استطعم من بيت امراة فطردته وبزقت فى وجهه وفى رواية اخرى فاخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين ايام العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الشياطين والانس والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر اليه بعض من جنى عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم فى عذركم لان هذا امر كان من السماء لابد منه وروى فى الاسرائيليات ان رجلا تزوج امراة من بلدة فارسل عبده اليها يحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنباه الله تعالى ببركة تقواه فكان نبيا فى بنى اسرائيل وفى قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليهما السلام ثم اطلعك الله على علم الغيب قال بترك المعاصى لاجل الله وروى ان الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكانه اعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك قالت انما نطيعك اذا اطعت الله وامثال هذه الحكايات لاتنحصر كالذى جرى ليونس عليه السلام وغيره من الانبياء والمراد بها الاعتبار والاستبصار ليعلم ان الانبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغار وكيف يتجاوز عن غيرهم فى الموبقات الكبار نعم كانت سعادتهم بان عوجلوا بالعقوبة فى الدنيا ولم يؤخروا الى الاخرة والاشقياء انما يمهلون ليزدادوا اثما فان عذاب الاخرة اشد وابقى فهذا ايضا مما ينبغى ان يكثر جلسه على سماع المصرين فانه نافع فى تحريك دواعى التوبة لمن اراد الله ارشاده

وهداه * (النوع الثالث) * ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا
متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو سبب خطاياه
فرب عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله تعالى في الدنيا
اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا
شومها في غالب الامر كما تقدم في قصة سليمان عليه السلام وكما حكى
الله تعالى في قصة يونس عليه السلام في قوله وان يونس لمن المرسلين
الى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم ثم ذكر القصة الى قوله وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون الاية فكل ذلك من شوم الذنب وقد يبلغ من شومه
حتى قد يضيق على العبد بشوم ذنوبه رزقه وقد تسقط منزلته عن القلوب و
يستولي عليه اعداءه قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة بما كسبت
ايديكم وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال اني
لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب يصيبه وفي الاثر وذكر بعض العلماء
ان ذلك هو معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا وفي الاثر ان بعض القراء نظر الى
غلام بشهوة فعوقب بنسيان القرآن وقال بعض السلف ايضا ليست
اللعنة سوادا في الوجه ونقصانا في المال وانما اللعنة ان لا تخرج من الذنب
الا وقعت في مثله او شر منه وهو كما قال لان اللعنة الطرد والابعاد فاذا
لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان من رزق التوفيق اعظم
حرمانا وكل ذنب فانه يدعو الى الذنب الآخر ويتضاعف الوزر عليه فيحرم العبد
به التوفيق ومجالسة الصالحين فتتراكم الذنوب على قلبه فيطبع عليه بطابع
الهالكين وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في وسط الوحل
جامعا ثيابه متحرزا حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط

الوجل ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى
يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض الذنب خوضا وهو اشارة الى ان
الذنب يتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر وقال بعض العلماء ما انكرت
من تغيير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك اورثتك ذلك وقال بعضهم
انى لاعرف العقوبة حتى في فاريتي وبعضهم يقول اعرف العقوبة من ذنبي
في سوء خلق حماري وقال بعض العلماء ان العبد ليذنب ذنبا الا ويسود
وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان
شقيا اخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في ءافات
الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنوب في الدنيا
على الجملة ان يكتسب به العبد ما يبعده عن ربه فان ابتلى بشيء كان
عقوبة عليه ويحرم جميل الصبر فيتضاعف شقاءه فان اصابته نعمة
كان استدراجا له ويحرم جميل الشكر فيعاقب على كفرانه والمطيع
فمن بركة طاعته ان تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها
وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة لدرجاته وبالله التوفيق *
* (النوع الرابع) * ان يذكر له العالم ما ورد من العقوبات على
ءاحاد الذنوب كالخمر والزنى والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد
وذلك مما لا يمكن حصره وذكر ذلك مع غير اهله وضع الدواء في غير
موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل بالحركات
الظاهرة على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها وكذلك العالم يستدل
بقرائن الاحوال على خفايا الصفات فيتعرض لما وقف عليه من ذلك
اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له رجل اوصني ولا
تكثر علي قال لا تغضب وقال الاخر اوصني فقال عليك بالياس مما في
ايدى الناس فان ذلك هو الغنا واياك والطمع فانه الفقر الحاضر

وصل صلاة مودع واياك وما تعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني
فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي بذلك
فقال الزم الزهد في الدنيا فكان النبي عليه السلام توسم في السائل الاول
مخائل الغضب فنهاه عنه وفي الاخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل
فامره بترك ذلك وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص في الدنيا
وقال رجل لمعاذ اوصني فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما فكانه
تفرس فيه اثر الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم ابن ادهم
اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان
الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس
وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء الناس وكانه تفرس فيه آفة
المخالطة او اخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته او كان اذاه بالناس
فالكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون بحسب حال القائل
وروى ان معاوية كتب الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا
توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام
عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس
ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام
عليك انظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة مشتغلة
بها وهو مراعات الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى
اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت
الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام عليك فاذا على كل ناصح
ان تكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوسم الاحوال
اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع

مع كل احد غير ممكن والاشتغال بالوعظ بما هو مستغنى عنه تضييع
زمان وان كان الواعظ يتكلم فى جميع اوساله من لايدرى باطن
حاله ان يعظه فليقصد الى المواعظ التى تشترك كافة الخلق فى الحاجة
اليها اما على العموم واما على الاكثر فان فى علوم الشرع اغذية وادوية
فالاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ماروى ان
رجلا قال لابى سعيد الخدرى اوصنى فقال عليك بتقوى الله فانه
راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن
فانه نور لك فى اهل الارض وذكر لك فى اهل السماء وعليك بالصمت
الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن
اوصنى فقال اعز امر الله يعزك الله وقال لقمان لابنه يا بنى زاحم
العلماء بركبتك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق
فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا
وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما
يضر صلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه
ولا تخالط ذا الوجهين وقال ايضا لابنه يا بنى لا تضحك من غير عجب
ولا تمش من غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح
مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بنى انه من
يرحم يُرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر
ياثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابى حازم اوصنى فقال
كل ما لو جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت
عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه وقال موسى للخضر عليهما السلام
اوصنى فقال له كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن
ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش من غير حاجة ولا تضحك من غير

عجب ولا تعير الخاطئين بخطايا هم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال
رجل لمحمد بن حازم فيما بلغنا اوصني فقال اجتهد في رضاء خالقك بقدر
ما تجتهد في رضاء نفسك وروي ان رجلا قال لحامد اللفاف اوصني
فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات
قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة
الكلام الا ما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب
الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر
ما حذرك الله وخذ مما في يدك لما بين يديك فعند الموت يا تيك
الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن ايضا يسأله
ان يعظه وكتب اليه اما بعد فان الهول العظيم والامور المفظعات
امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب
واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في
العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن
ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم
فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فاسأل واذا غضبت
فامسك قال وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما
بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم
عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء
لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن
ارطاة (اما بعد) * فان الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة اعداء
الله اما اولياء الله فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم وكتب ايضا الى
بعض عماله اما بعد فقد امكنتك القدرة من ظلم العباد
فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تأتي

الى الناس شيئاً الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله تعالى اخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدرى وخصوص واقعته فهذه المواعظة كالاغذية التي تشترك الكافة في الانتفاع بها واذا كان طلب الطبيب اول علاج المرض فطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا احد اصول العلاج واركانه * (الاصل الثاني) * الصبر فانه لابد للعاصي ان يعالج مرارة الصبر على المعاصي فان كان شابا لا يقدر على حفظ جوارحه من غلبة الشهوة عليه فانه ينبغي له ان يستشعر ضرر ذنبه بان يتفكر في الايات والاخبار المخوفة التي جاءت فيه من كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام فاذا اشتد خوفه فليتباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل هو تناول لذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم كما قال عليه السلام معاشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء وهو كناية عن كسر الشهوة والعزلة والصوم لا يتمان الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن الشواغل مصروفا الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمام الفهم الخوف فاذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر ويسهل عليه وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله عز وجل وتيسيره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسنيسره الله لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب

بالحسنى فسييسره للعسرى ثم لايغنى عنه ما اشتغل به من لذة الدنيا مهمى هلك وتردى وما على الانبياء عليهم السلام الاشرح طريق الهدى وانما الاخرة والاولى لله سبحانه العلى الاعلى فهذا علاج الشهوة واما علاج تسويف التوبة فانما ينبغى ان يعالج بالفكر فى ان اكثر صياح أهل النار من التسويف لان المسوف يبنى الامر على ماليس اليه وهو البقاء ولعله لايبقى فان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لايقدر عليه اليوم فليت شعرى هل عجز فى الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتاكد بالاعتياد فليست الشهوة التى اكدها الانسان بالعادة كالتى لم يؤكدها وعن هذا اهلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون فى ان الايام متشابهة فان ترك الشهوات فيها شاق شديد على النفس ابدا وما مثال المسوف الامثال من احتاج الى قلع شجرة فرءاها قوية لاتنقلع الا بمشقة شديدة فقال اوخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلاحماقة فى الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوي الضعيف والله تعالى اعلم وقد روى فى الحديث ان عمار بن ياسر رحمه الله سال على ابن ابى طالب على الكفر فقال على ما ذا بنى فقال على اربع دعائم على الجفا والغفلة والعما والشك فمن جفا احتقر الحق وجاهد بالباطل ومقت العلماء ومن عمى نسى الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الامانى فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله مالم يكن يحتسب والله تعالى نسال العون والتوفيق تمت قنطرة التوبة بحمد الله تعالى وحسن عونه والصلاة والسلام

على

على نبيه محمد عليه السلام تتلوها قنطرة العلايق وهي اربع
احداهن قنطرة الدنيا وسنشير الى شرحها ان شاء الله تعالى
وبالله التوفيق * * * * * * * * * * *

* (القنطرة الثامنة قنطرة الدنيا) * * *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وافاتها * وكشف لهم عن
عيوبها وعوراتها * فنظروا اليها فاذا هي في الظاهر كانها صورة
امراة مليحة تستميل الناس بجمالها * ولها اسرار سوء قبايح تهلك
الراغبين في وصالها تتزين لطلابها * حتى اذا صاروا من احبابها *
كشرت لهم عن انيابها * فاذاقتهم قواتل سمها * ورشقتهم بصوائب
سهمها * بينما اصحابها منها في سرور وانعام * اذ ولت عنهم كانها
اضغاث احلام * ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم
طحن الحصيد * واورثتهم في اكفانها تحت الصعيد * ان ملكت واحدا
منهم جميع ما طلعت عليه الشمس * جعلته حصيدا كان لم تغن
بالامس * تمني اصحابها سرورا * وتعدهم غرورا * ثم يأملون
كثيرا * فيبنون قصورا * فتصبح قصورهم قبورا * وجمعهم بورا *
وسعيهم هباء منثورا * وكان امر الله قدرا مقدورا * والصلاة على
سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا *
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وعلى من كان من اله واصحابه
له في الدين ظهيرا * وعلى الظالمين نصيرا * وسلم تسليما كثيرا
* (اما بعد) * فان الدنيا دار غرور * وموطن ثبور * تزينت

لاولياء الله بزينتها ونضارتها* حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها* واستدرجت اعداء الله مكرها ومكيدتها* واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فعولوا عليها* فخذلتهم احوج ما كانوا اليها* فاجتنبوا منها حسرة تنقطع دونها الاكباد* ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد* فهم على فراقها يتحسرون* ومن مكايدها يستغيثون فلا يغاثون* بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون* اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون* واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها* فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا ما هى وما الحكمة فى خلقها مع غرورها* وشرورها* فان من لا يعرف الشر لا يتقيه* ويوشك ان يقع فيه* ونشرح ذلك فى خمسة ابواب الاول فى ذم الدنيا والثانى فى مدحها والثالث فى ذكر امثالها والرابع فى حقيقتها وتفصيل معانيها والخامس فى تركها والزهد فيها وبالله التوفيق

* * * * ﴿الباب الاول فى ذم الدنيا﴾ * * * *

قال الله سبحانه وتعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور* وقال تعالى قل متاع الدنيا قليل فى امثالها من الايات واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال حب الدنيا راس كل خطيئة وعنه

صلى الله عليه وسلم انه مر بشاة مينة فقال اترون هذه الشاة هينة
على صاحبها قالوا نعم قال والذى نفسى بيده الدنيا اهون على الله من
هذه الشاة على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
ما سقى منها كافرا شربة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا
حبس المؤمن وجنة الكافر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرب
قلبه حب الدنيا وركن اليها التاط منها بشغل لا ينفك عناه وامل
لا يبلغ منتهاه وحرص لا يبلغ مداه وروى عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال من تكون الدنيا همه يجعل الله فقره بين عينيه ويشتت عليه
امره فى الدنيا ويفارقها ارغب ما كان فيها ومن تكن الاخرة همته
يجعل الله غناه فى قلبه ويكفيه حاجته من الدنيا ويفارقها ازهد
ما كان فيها وعن زيد بن ارقم انه قال كنا مع ابى بكر رضى الله عنه
فدعا بشراب فاوتى بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى حتى ابكى
اصحابه فسكتوا وسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا على
مسالته قال ثم مسح عينيه قالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته
يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذى
تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك اليك
عنى ثم رجعت فقالت انك ان افلت منى لم يفلت منى من بعدك
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدنيا حلوة خضرة وان
الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت
لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب وينشد

ارى الدنيا لمن هى فى يديه ❊ هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر ❊ وتكرم كل من هانت عليه

اذا استغنيت عن شيئ فدعه * وخذ ما انت محتاج اليه
ان التقوى من الدنيا بلاغ * ورزق المرء مبعوث اليه

وعن عيسى عليه السلام انه قال الدنيا لابليس مزرعة واهلها له حراث وعنه عليه السلام ايضا انه قال لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفات وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفات وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال يا معشر الحواريين انى قد اكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا ان الله يعصى فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تنازعنكم فيها النساء والملوك اما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيئ الموت فيأخذ بعنقه وقال بعض الشعراء

الا انما الدنيا كاحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم
تامل اذا ما نلت بالامس لذة * فافنيتها هل انت الا كحالم
فمن غافل عنها وليس بغافل * ومن نائم عنها وليس بنائم

وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من هوان الدنيا على الله الا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفي الخبر ان الخضر قال لموسى عليهما السلام يا موسى اعرض عن الدنيا وانبذها وراءك فانها ليست لك بدار ولا فيها محل قرار وانما جعلت الدنيا بلغة للعباد

ليتزودوا منها للمعاد وعن عيسى عليه السلام انه قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى ان سليمان عليه السلام مر في مركبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما فقال له سليمان عليه السلام تسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزل قوله تعالى الهاكم التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يسعى من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح والدنيا اكبر همته فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا ينفك منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وعن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام بلا اجلاد ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كاملكم ثم هي اليوم عظام بلا اجلاد ثم هي صائرة رفاتا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس

يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها بها ويقطعون اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما اهبط آدم عليه السلام الى الارض قال له يا آدم ابن للخراب ولد للفنا واجمع للذهاب ويقال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت لهم وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفنا تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك الا تدومي لاحد ولا يدوم لك احد وان بخل بك صاحبك وشح عليك بغضتك يوم خلقتك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال بعض العلماء يؤتى بالدنيا يوم القيامة فيؤخذ منها ما كان لله خالصا ويلقى ما بقي في النار وقال لقمان لابنه يا بني الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها ايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو ولا اراك ناجيا ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء فاني لم ارضك لهم في الدنيا فكيف ارضاك لهم اليوم وانشد * ۞ * ۞ * ۞

تسمع من الايام ان كنت حازما * فانك فيها بين ناه وامر
فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة * ولا وزن ذر من جناح لطائر
اذا ابقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر
فما رضي الدنيا ثوابا للمؤمن * ولا رضي الدنيا عقابا للكافر

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا يومان يوم فرح ويوم هم وكلاهما زائل عنك فدعوا ما يزول واتعبوا انفسكم في العمل لما لا يزول وعن عيسى عليه السلام انه قال لا تنازعوا اهل الدنيا في دنياهم فينازعوكم في دينكم فلا دنياهم اصبتم ولا على دينكم ابقيتم وقال بعض الحكماء الدنيا اما مصيبة موجعة واما منية مفجعة وانشدوا

كل دنيا فانها * يعقب الخير شرها
هي ام تعق من * نسلها من يبرها
كل نفس فانها * تتقي ما يضرها
والمنايا تسوقها * والامانى تغرها
واذا استحلت الجنا * اعقب الحلو مرها
يستوى في ضريحها * عبد ارض وحرها

ويروى في الاخبار ان ادم عليه السلام لما اكل من الشجرة تحركت معدته بخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهى عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله ملكا يخاطبه قال قل له اى شيء تريده فقال ادم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اى موضع تضعه اعلى العرش ام على السرير ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا ويروى عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال ليجيئن اقوام يوم القيامة لهم من الحسنات امثال جبال
تهامة فيجعلها الله هباء منثورا ويصيرهم الى النار قالوا يا رسول الله
يصلون قال نعم كانوا يصلون ويصومون وياخذون وهنا من الليل ولكنهم
اذا لاح لهم شيئ من الدنيا وثبوا عليه فاحبط الله اعمالهم اذ لم تكن لهم سريرة
وعن عيسى عليه السلام انه قال لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب
مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ويروى ان جبريل عليه
السلام قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت
الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل
لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا قال يكفينا خلقان من قبلنا
وعن النبي عليه السلام انه قال احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت
وماروت وعن الحسن انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه ذات يوم فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى
ويجعله بصيرا وفي حديث اخر انه قال لاصحابه الا هل فيكم احد يريد
ان يعطيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ويذهب العمى عن قلبه
ويجعله بصيرا قالوا كلنا يريد ذلك بآبائنا انت وامهاتنا يا رسول الله
قال من زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية واذهب العمى عن قلبه وجعله بصيرا ومن رغب في الدنيا
واطال امله فيها اعقبه الله جهلا واعمى قلبه على قدر ذلك الا انه سيكون
بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنا الا بالعجز والبخل
ولا المحبة الا باتباع الهوى الا من ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر
وهو يقدر على الغنا وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل
وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله ثواب سبعين
صديقا ويروى ان عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد

والبرق

والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجا اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها
فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد
فوضع يده على راسه فقال الهي جعلت لكل شيء ماوى ولم تجعل لي
ماوى فاوحى الله اليه ماواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيامة
ماية حوراء ولاطعمن في عرسك اربعة الاف سنة يوم منها
كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس
الزاهد عيسى بن مريم وقال عليه السلام ويل لصاحب الدنيا
كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف
ارتهم ما يكرهون وفارقتهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن اصبحت الدنيا
همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله الى موسى عليه
السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها
همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي دار الاعمال يعمل فيها فنعمت
الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاءه
بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة
الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى عليه السلام انصرف
فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رءاهم ثم قال
اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة يقدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال
فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى
عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوا فيها
كما تنافسوا فتهلككم كما اهلكتهم وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ
قال اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج لكم من بركات الارض قيل ما بركات
الارض قال زهرة الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشغلوا

قلوبكم بذكر الدنيا فهي عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وانشد الماوردي عن ابي العتاهية

* هي الدار دار الاذى والقذا * ودار الفناء ودار الغير *
* فلو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر *
* ايا من يؤمل طول الحياة * فطول الحياة عليه ضرر *
* اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر *

ويروى ان عيسى عليه السلام مر بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا اخبارهم فسال ربه فاوحى الله تعالى اليه اذا كان الليل فنادهم فيجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في العافية فاصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا لاهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح عليه السلام للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الله في الدنيا والاخرة وانشدوا

* يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا *
* افنى القرون التي كانت منعمة * كر الجديدين اقبالا وادبارا *
* يا من يعانق دنيا لا بقاء لها * يمسي ويصبح في دنياه سفارا *

هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق في الفردوس ابكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها * فينبغي لك ان لا تامن النارا

وعن انس قال كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا لاتسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقتها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وانشدوا

يا خاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم *
ان التي تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم *

وعن عيسى عليه السلام انه قال من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله تعالى به قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم الاخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تتناصحون وانتم اخوان على دين واحد فما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم وعن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل * * * *

* * اري رجالا بادنى الدين قد قنعوا * ولا اراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وعن عيسى عليه السلام انه قال يا طالب الدنيا ليبر تركك الدنيا ابر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لتاتينكم الدنيا بعدى تاكل ايمانكم كما تاكل النار
الحطب الرقيق ويروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان يا موسى لا تركنن
الى حب الدنيا فلا تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ويروى ان موسى عليه السلام
مر برجل وهو يبكى فرجع وهو يبكى فقال موسى يا رب عبدك يبكى من مخافتك
فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا
لم اغفر له وهو يحب الدنيا * واما الآثار * وعن على انه قال من
جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا من عرف الله
فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف
الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها
* وعن الحسن انه قال رحم الله اقواما كانت الدنيا وديعة
عندهم فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وعنه ايضا
من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك
فالقها في نحره * وينشد *

* طلق الدنيا ثلاثا *	واطلبن زوجا سواها *
* انها زوجة سوء *	لا تبالى من اتاها *
* انت تعطيها مناها *	وهى تعطيك قفاها *

وعن الفضيل انه قال طالت فكرتى في هذه الآية انا جعلنا ما على
الارض زينة لها الى قوله صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك
لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل
بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك
نفسك في اكلة وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة فان راس مال الدنيا

الهوى وريحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يهلك الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال اهلها قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل

ومن يحمد الدنيا بعيش يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة * وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وذهبت الدنيا ولم اكن فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما نعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لاكنها اما ان تزيد او تنقصه وقال بعض العلماء اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وعن ابي سليمان انه قال من طلب الدنيا على المحبة لها لم ينل منها شيئا الا اراد اكثر ومن طلب الاخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا نهاية وروي ان رجلا قال لابي حازم اني اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما اتاكه الله منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا قال وانما قال هذا لانه لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم ويطلب الخروج منها وعن يحيي بن معاذ انه قال الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيا فيجي فياخذك وعن الفضيل انه قال لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة بخزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وينشد

* انما الدنيا غرور ۞ ليس في الدنيا ثبوت *
* انما الدنيا كبيت ۞ نسجته العنكبوت *

حاجة العاقل فيها * ستر عورات وقوت

وعن ابي حازم انه قال اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع واعوذ بك من شر هولاء الاربعة هل ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال والدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وعن عيسى عليه السلام انه قال اوحى الله سبحانه الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه وقال ابو العتاهية

* ان الزمان وان الا * ن لاهله لمخاشن *
* تخطوبه المتحركا * ت كانهن سواكن *

قال وسمع رجل رجلا يقول لصاحبه لا اراك الله مكروها فقال له كانك دعوت عليه بالموت ان صاحبك ما صاحب الدنيا فلا بد ان يرى مكروها وينشد

تروح لك الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة * وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره * فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عن صبر الهم واحدا * وايقن ان الدائرات تدور
فسيرك يا هذا كسير سفينة * بقوم جلوس والقلوع تطير

وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وينشد لبيد بن ربيعة

وما المال والاهلون الا وديعة * فلا بد يوما ان ترد الودائع

وعن ابن السماك انه قال من جرعته الدنيا بحلاوتها بميله اليها جرعته الاخرة مرارتها بتجافيه عنها وقيل لزاهد قد خلعت الدنيا فكيف سخت نفسك عنها فقال انى ايقنت انى اخرج منها كارها فرايت ان ادعها طائعا وقال لقمان لابنه يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وعن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمنين وجزء للمنافقين وجزء للكافرين فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد شيئا منها فليصبر على معاشرة الكلاب وقيل لابراهيم ابن ادهم كيف انت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وعن مالك بن دينار انه قال اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال بعض البلغاء من نكد الدنيا الا تبقى على حالة ولا تخلو من استحالة تصلح جانبا بافساد جانب وتسر صاحبا بمساءة صاحب فالكون فيها خطر والثقة بها غرر وروى ان ابا جعفر المنصور كان نائما فاتاه آت فى منامه فقال

كأنى بهذا القصر قد باد اهله * واوحش منه اهله ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة * الى جدث تبنى عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * تنادى بليل معولات تواكله

قال فاستيقظ مرعوبا ثم انشد

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وامر الله لابد واقع

فهل كاهن اعددته او منجم * اباجعفر عنك المنية دافع
وعن ابي امامة الباهلي انه قال لما بعث محمد عليه الصلاة والسلام
اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال هل يحبون
الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان
وانا اغدو عليهم واروح بثلاثة اخذ المال من غير حله وانفاقه في غير
حله وامساكه في غير حقه والشر كله لهذا تبع وقيل لعلي بن ابي
طالب صف لنا الدنيا فقال وما اصف من دار اولها عناء وآخرها
فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من صح فيها سقم ومن مرض
فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن سعى اليها
فاتته ومن قعد عنها اتته ومن نظر اليها اعمته ومن نظر بها ابصرته
وقال وهب بن منبه مثل الدنيا والاخرة مثال ضرتين ان ارضيت
احداهما اسخطت الاخرى وانشدوا

ايها المرء ان دنياك بحر * طافح موجه فلا تأمنها
وسبيل النجاة فيها منير * وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وقال وهب بن منبه اصيب على عمدان وهو قصر يوسف بن ذيزان
بارض صنعاء باليمن وكان من الملوك الجلة مكتوب بالقلم السرياني
فترجم بالعربية فاذا هي هذه الابيات الجليلة والموعظة العظيمة

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من اعالي عز معقلهم * واسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سائله * تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما اكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا

وعن الحسن البصري انه قال الدنيا مطية المؤمن عليها يرتحل الى ربه فاصلحوا مطاياكم تبلغوا الى ربكم وقال يحيى بن معاذ اذا اصبحت نفسك بالدنيا مشغوفة اصبحت الخيرات عنك مصروفة وقال بعض الحكماء الدنيا وان بقيت لك لم تبق لها وقال بعضهم الدنيا دار تجارة فالويل لمن تزود منها الحسرات وينشد

ان الذين اشتروا دنيا بآخرة * لم يربحوا في افتراق البيع بل خسروا
يا عواجد يدا جميلا باقيا حسنا * بيا بس خلق يا بئس ما اتجروا

وعن عيسى عليه السلام انه قال الدنيا من ظفر بها مات عليها وعن الحسن البصري نعمت الدار والله كانت الدنيا للمؤمن عمل فيها قليلا واخذ منها زاده الى الجنة وبئست الدار والله كانت الدنيا للكافر تمتع فيها قليلا واخذ منها زاده الى النار وعن ابى سليمان انه قال اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها واذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره بعض السلف صحيحا وذلك انه قال الدنيا والاخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الاخر تبعا له وعن مالك بن دينار انه قال بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وروى ان رجلا قال للحسن ما تقول في رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق ويصل منه ويحسن فيه الا ان يتعيش منه يعني بالنعم قال لو كانت الدنيا كلها له ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وينشد

ايها المتعب جهلا نفسه * تطلب الدنيا حريصا جاهدا
لا لك الدنيا ولا انت لها * فاجعل الهمين هما واحدا

وعن الفضيل انه قال لوان الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا احاسب
بها في الاخرة لكنت اقذرها كما يقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب
ثوبه وقيل قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه بناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم اتى منزله ولم
ير فيه الا سيفه وترسه ورمحه فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال
له يا امير المؤمنين ان هذا ايبلغنا المقيل وقال بعض العلماء خذ من الدنيا
لبدنك ومن الاخرة لقلبك وعن الحسن قال والله لقد عبدت
بنوا اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وعن وهب
انه قال قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وعقبة الجهال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان
لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة
فانت الى دار تقرب منها اقرب الى دار تباعد منها وعن سعيد
ابن مسعود انه قال اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته
وهو بذلك راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه ولا يشعر
وعن عمرو بن العاص انه قال على المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب
فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهد فيه منكم والله ما مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذي عليه اكثر من الذي
له وعن الحسن انه تلا هذه الاية لا تغرنكم الحياة الدنيا فقال من
قال هذا فقال من خلقها فهو اعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا
فان الدنيا كثيرة الاشتغال لا يفتح الرجل على نفسه باب شغل
الا واوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال
ايضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها
عقاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب

بر ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبة في دينه ويجزع عن مصيبة في دنياه وروى انه قدم على معاوية رجل من نجران عمره مايتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهلاك لضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بعض العلماء من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وعن ابي حازم انه قال ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الصق به شيء يسوءك وعن الحسن انه قال لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد بلغت الغنا قال انما نال الغنا من عتق من رق الدنيا وعن ابي سليمان انه قال لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وعن مالك بن دينار انه قال اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا يدعنا الله تعالى على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل بنا وعن ابي حازم انه قال يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وعن الحسن انه قال اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنأ منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا انفذ اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك عني الدنيا وعن محمد بن المنكدر قال ارأيت لو ان رجلا صام الدهر

لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال هذا عظم في عينيه ما صغره الله وصغر في عينيه ما عظمه الله وقال بعض الشعراء

الا انما الدنيا مقيل لراكب * قضا وطرا من منزل ثم هجرا
فراح ولا يدري على م قدومه * الا كل ما قدمت تلقى موفرا

وقيل ليحيى بن معاذ لمن الدنيا قال لمن تركها قيل فلمن الاخرة قال لمن طلبها ومن ادعى انه يجتمع في قلبه حب الدنيا وحب خالقها فقد كذب وقال بعض السلف رجلان يعذبان على الدنيا رجل اعطي الدنيا فهو فيها متعب مشغول ورجل زويت عنه الدنيا فنفسه تتقطع عليها حسرات وينشد في ذم الدنيا

ومنتظر للموت في كل ساعة * يشيد ويبني دائما ويحصن
له حين يبنيه حقيقة موقن * وافعاله افعال من ليس يوقن
عيانا كانكار وكالجهل علمه * بمذهبه في كل ما يتيقن

وقد قال لقمان لابنه يا بني لا تركن الى الدنيا تشغل قلبك بحبها فانك لم تخلق لها وما خلق الله خلقا اهون عليه منها لانه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين وقال الحسن البصري الدنيا مطية ان ركبتها حملتك وان حملتها قتلتك وقيل له ما بال الناس يكرمون صاحب الدنيا ولا فضل له عليهم قال لان معشوقهم عنده وينشد في ذم الدنيا

* لولا شماتة اعداء ذوي حسد * وان انال بنفع من يرجيني *
* لما خطبت الى الدنيا محاسنها * ولا بذلت لها عرضي ولا ديني *
* لكن منافسة الاكفاء تحملني * على امور اراها سوف ترديني *
* وقد خشيت بان ابقى بمنزلة * لا دين عندي ولا دنيا تواتيني *

وقال آخر

عيني لحين تدير مقلتها * تطلب ما سواها لترضيني
اف لدنيا ابت تواتيني * الا بنقص لها عرى ديني

وقيل لمحمد بن واسع انك لترضى بالدون فقال انما يرضى بالدون من رضى بالدنيا وعن شقيق البلخي انه قال عملت في القران عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الاخرة فوجدت ذلك في حرفين وهو قوله عز وجل وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى وعن عيسى عليه السلام انه قال الا ان اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميت قلوبهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم وعنه ايضا انه قال لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وقال بعض الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقال بعض الحكماء الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها وانشدوا

الا انما الدنيا غدارة ايكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الامال الا فجايع * عليها ولا اللذات الا مصايب
ولا تكتحل عيناك منها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

وقال ابو حازم اشتدت علينا مؤنة الدنيا والاخرة اما الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شئ منها الا وجدت فاجرا سبقك اليها وعن ابي هريرة انه قال الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالسقاء البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شئ

اسكني يا لاشيء وقال ابن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب
قد احتشوته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه
بشيء من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه
فرّ الشيطان من ظله ومن غلب علمه على هواه فهو الغالب وعن يحيى
بن معاذ انه قال العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه
وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال بعض السلف
من اراد ان يستغني بالدنيا عن الدنيا كان كمن يطفي النار بالتبن وقال
بعضهم من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير
رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب
ينتفع به ومن اقبل على الله احرقته نيران التوحيد فصار جوهر الاحد
لقيمته وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بعض خطبه
ايها الناس الا ان الايام تطوى والاعمال تحصى والابدان في الثرى
تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد
ويخلقان كل جديد ويأتيان بكل موعود وفي ذلك عباد الله ما الهى
عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات وانشد لعبد الله بن المعتز

نسير الى الاجال في كل ساعة * واياما تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه * اذا ما تخطته الاماني باطل
فما اقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الراس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك ايام تعد قلائل

ويروى ان الله تعالى لما بعث موسى وهارون الى فرعون قال لا يروعكما
لباسه الذي لبس فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرق ولا يتنفس
الا باذني ولا يعجبنكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحياة الدنيا
وزينة المترفين ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون

حين يراها ان مقدرته تعجز عما او تيتها لفعلت ولكنى ارغب بكما عن ذلك فازوى ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائى انى لاذودهم كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مواضع الهلكة وانى لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن منازل الغرة وماذلك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين لى اوليائى بالذل والخشوع والخوف والتقى ينبت فى قلوبهم فيظهر على ابدانهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاءهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفتخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيامة والله اعلم وبه العون والتوفيق

﴿الباب الثانى فى مدح الدنيا﴾

قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام فاذا فرغت فانصب قال بعض اهل التاويل يعنى اذا فرغت من امر دنياك فانصب فى عبادة ربك قال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك الآية وليس هذا منه تعالى ترغيبا فى الدنيا ولكن حث وترغيب فى اخذ البلغة منها وعلى هذا المعنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ولا الاخرة للدنيا ولكن خيركم من اخذ من هذه ومن هذه وفى حديث آخر ولكن خيركم من لا تشغله دنياه عن آخرته ولا آخرته عن دنياه وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال نعمت المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم

الاخرة وروى ان رجلا ذم الدنيا عند على بن ابى طالب فقال على الدنيا
دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها
وعن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الدنيا فنعمة مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر
انه اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه
وحكى عن مقاتل انه روى ان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه
وسلامه وعلى نبينا قال يارب حتى متى اتردد فى طلب الدنيا
فقيل له امسك عن هذا افليس طلب المعاش من طلب الدنيا وفى
خبر آخر انه لام نفسه ورمى المسحاة من يده فاوحى الله تعالى اليه
اما علمت ان طلب الحلال ليس هو من الدنيا فى شئ وعن سفيان
الثورى انه قال مكتوب فى التوراة اذا كان فى البيت بر فتعبد وان
لم يكن فتطلب يا ابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك وقال بعض
الحكماء ليس من الرغبة فى الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها
وقال بعض الادباء ليس من الحرص اجتلاب ما يقوى البدن
وينشد لمحمود الوراق

لا تتبع الدنيا وايامها ❊ ذما وان دارت بك الدائرة
من شرف الدنيا ومن فضلها ❊ ان بها تستدرك الآخرة

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوا الرزق
فى خبايا الارض يعنى الزرع وحكى عن المعتضد انه قال رايت على بن
ابى طالب فى المنام فناولنى مسحاة فقال خذها فانها مفتاح خزائن
الارض وقال رجل للزهرى دلنى على مال اعالجه فقال

تتبع خبايا الارض وادع مليكها ✽ لعلك يوما ان تجاب فترزقا
فيؤتك مالا واسعا ذا مثابة ✽ اذا ما مياه الارض فارت تدفقا

(فصل) واعلم ان الدنيا هي الليل والنهار بجميع ما فيهما من كل
ما للانسان فيه غرض ونصيب وشهوة وحظ عاجل وهي حالة من
احوال القلب فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت و
للمتراخي المتاخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فالدنيا اسم عام يتناول
كل حظ عاجل قال الله سبحانه يأخذون عرض هذا الادنى فالمال بعض
اجزاء الدنيا والجاه بعضها وتشهى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها
والكبر بعضها وطلب العلو والرياسة بعضها ولها ابعاض كثيرة يجمعها
كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونحن نشير هاهنا الى مدح المال
ثم الى ذمه ثم الى وجه الحكمة في الجمع بين مدحه وذمه اما المدحة
فقد قال الله تعالى ان ترك خيرا يعني مالا فسماه خيرا وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال نعما بالمال الصالح للرجل الصالح
وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول
اليهما الا به ويروى ان لقمان الحكيم قال لابنه يا بني استغن بالكسب
الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد الا اصابته ثلاثة تخلل رقة في دينه
وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلاث استخفاف
الناس به وقال بعض الحكماء حفظك لما في يدك اولى بك من
طلب ما في يد غيرك وقال بعض الحكماء خصلتان لا تزال بخير ما حفظتهما
درهمك لمعاشك ودينك لمعادك وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال نعم العون على تقوى الله المال وعن علي بن ابي طالب
انه قال لا دين لمن لا دنيا له وعن قيس بن عاصم انه قال لبنيه يا بني
عليكم بالمال واصطناعه فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن
اللئيم واياكم ومسالة الناس فانها اخزى كسب الرجال وقال بعض
الحكماء لابنه يا بني عليك بطلب المال فانه يرفع الكريم ويغني عن اللئيم

ويكسب الحمد ويورث المجد وينقي من دنس العرض وانشدوا

ارى ذا الغنا في الناس يسعون حوله * وان قال قولا تابعوه وصدقوا
فذلك داب المرء ما كان في غنى * فان زال عنه المال يوما تفرقوا

وقال آخر

يغطي عيوب المرء كثرة ماله * يصدقه الاقوام وهو كذوب
ويزري بعقل المرء قلة ماله * يحمقه الاقوام وهو مصيب

وقيل لبعضهم انك تحب الدراهم وحبها يدنيك من حب الدنيا فقال انها وان ادنتني اليها فقد صانتني عن اهلها وقيل لابن عون انك تحب الدراهم فقال من نفعه شيء احبه ولو لم نحبها لم تسالني عن حبي لها وقال بعض العلماء المال في زماننا هذا اصلاح المؤمن وعن وهب بن منبه انه قال الدنانير والدراهم خواتم رب العالمين وضعها في الدنيا لمعاش الناس لا توكل ولا تشرب اينما توجهت بخاتم منها قضيت حاجتك ويقال ان المامون قال يوما لجاريته هل تعلمين وراء الحب منزلة تدنيني اليك فان الحب اقصاني فاجابته فقالت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالداني

وقيل لبعض الحكماء لم يقتني الرجل المال وهو شيخ كبير فقال لان يموت فيخلف مالا لاعدائه خير له من ان يحتاج لاصدقائه وعن سفيان الثوري انه قال لان اخلف عشرة الاف درهم يحاسبني الله عليها احب الي من ان احتاج الى الناس وقيل لابن سيرين انك تحب الدراهم قال لانها تنفعني وكان عبد الرحمن بن عوف رحمه الله يقول حبذا المال اصون به وجهي واتقرب به الى ربي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق ويروى ان عيسى

عليه السلام

عليه السلام لقى رجلا فقال له ما تصنع فقال اتعبد قال فمن يعولك قال اخى قال اخوك اعبد منك وعن ابراهيم بن ادهم انه قال بلغنى ان من اوقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة وعن ابى سليمان انه قال من بات تعبا من كسب الحلال بات والله راض عنه وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من طلب الحلال تعففا ونعففا جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وقال ابو سليمان ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوتك ولكن ابدا برغيفك فاحرزها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان احساب اهل الدنيا هذا المال وعن مجاهد انه قال الخير فى القران كله المال انه لحب الخير يعنى المال احببت حب الخير يعنى المال وقال شعيب عليه السلام انى اراكم بخير يعنى الغنا والمال وانما سمى الله المال خيرا اذا كان فى الخير مصروفا الان ما ادى الى الخير فهو فى نفسه خير وعن السدى وابن زيد فى قوله تعالى ربنا اتنا فى الدنيا حسنة قال هى المال وفى الاخرة حسنة قال هى الجنة وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وفى منثور الحكم من استغنى كرم على اهله قال ومر رجل من ارباب الاموال ببعض العلماء فتحرك له واكرمه فقيل له بعد ذلك اكانت لك اليه هذا من حاجة قال لا ولكنى رايت ذا المال مهيبا وقيل فى منثور الحكم الفقر مخدعة والغنا مجدلة والبؤس مرذلة و السؤال مبذلة وكان يقال الدراهم كالمراهم لانها تداوى كل جرح ويطيب بها كل صلح وانشد لاوس بن حجر

اقيم بدار الحزم مادام حزمها * واحرى اذا حالت بان اتحولا
فانى وجدت الناس الا اقلهم * خفاف العهود يكثرون التنقلا
بنى ام ذى المال الكثير يرونه * وان كان عبدا سيد الامر جحفلا

وهم لقليل المال اولاد علة * وان كان محضا في العشيرة مخولا

وقال ءاخر

اجلك قوم حين صرت الى الغنا * وكل غني في العيون جليل

وليس الغنا الا غنى زين الفتى * عشية يغدي او غداة ينيل

وعن ابي قلابة قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فذكر فيه خير فقالوا يا رسول الله خرج حاجا معنا فاذا نزلنا منزلا لم يزل يصلي حتى نرتحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله حتى ينزل قال فمن كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه قالوا كلنا قال فكلكم خير منه والله اعلم

* وأما مذمة المال وكراهية حبه *

فقد ورد في ذلك من الاي والاخبار والاثار ما لا يحصى كثرة قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال الله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا الاية وقال ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية وقال الهاكم التكاثر وقال ان الانسان ليطغى ان رءاه استغنى في امثالها من الاي واما الاخبار فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال هلك الاكثرون مالا الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك الشر قال الاغنياء وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال سياتي بعدي قوم ياكلون اطايب الاطعمة والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل

والوانها

والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين
على الدنيا يغدون اليها ويروحون اتخذوها الهة من دون الههم وربا
من دون ربهم الى امرها ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد
بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم
ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم
ومن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وعنه عليه السلام
قال دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه
وهو لا يشعر وروى ان رجلا قال يا رسول الله ما لى لا احب الموت
قال هل معك من مال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المرء مع
ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وعنه
عليه السلام انه قال اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض
روحه والثانى الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض
روحه فماله والذى يتبعه الى قبره فاهله والذى يتبعه الى محشره عمله
وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشى على الماء
ولا نقدر نحن على ذلك قال لهم ما منزلة الدنانير والدراهم عندكم
قالوا حسنة قال لكنهما عندى والمدر سواء وروى ان سلمان
رحمه الله كتب الى ابى الدرداء يا اخى اياك ان تجمع من الدنيا ما لا
تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء
بصاحب الدنيا الذى اطاع الله فيها وماله بين يديه فكلما تكفا
به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله فى ثم يجاء بصاحب الدنيا
الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال
له ماله ويلك الا اديت حق الله فى فما يزال كذلك حتى يدعو
بالويل والثبور وكل ما تقدم من الاخبار فى ذم الدنيا فهو يتناول

ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وقد قال صلى
عليه وسلم فيما بلغنا لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وقال ايضا اذا
مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقالت الناس ما خلف واما
الاثار فقد روى عن الحسن البصري انه قال والله ما اعز الدنانير
والدراهم احد الا اذله الله عز وعلا وقيل اول ما ضرب الدنانير
والدراهم رفعهما ابليس ووضعهما على جبهته فقال من احبكما فهو
عبدي حقا قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية
ويقال انها لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
تبا للذهب تبا للفضة فشق ذلك على اصحابه فقالوا واي مال نتخذ
فقال صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلب شاكر وزوجة مومنة تعين
احدكم على دينه وعن ابي امامة قال مات رجل من اهل الصفة فوجد
في ميزره ديناران فقال عليه السلام كيتان وروى ان رجلا نال من
ابي الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل في سوءا فاصح جسمه
واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رى مع كثرة المال غاية البلاء
مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد ان يفضي به ذلك الى الطغيان
وروي ان عليا ابن ابي طالب وضع في كفه ذهبا ثم قال اما انك
ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل الى
زينب بنت جحش زوجة النبي صلى الله عليه وسلم بعطائها
فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته صررا وقسمته
بين اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني
عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحقت به وقال بعض العلماء ان الدنانير والدراهم ازمة

المنافقين يقادون بها الى النار وينشد

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجاري
والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * ما ذا يكابد بين الهم والنار

وذلك ان الدينار والدرهم هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنها صبر على الدنيا ولذلك قيل

انى وجدت فلا تظنن غيره * هذا التورع بين هذا الدرهم
اذا ظفرت بدرهم فتركته * فاعلم بان تقواك تقوى المسلم

وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة عجل يعبدونه وعجل امتى هذان الحجران الذهب والفضة وعن يحيى بن معاذ انه قال الدرهم عقرب فان احسنت رقيته فخذه والا فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال اخذه من حله ووضعه فى حقه وينشد

لا يغرنك من المرء قميص رقعه * وازار فوق كعب الساق منه رفعه
ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا وعنه عليه السلام انه قال طوبى لمن رزق الاسلام وهدى له وكان عيشه كفافا ورزق القنوع فقنع وكان الاوزاعي كثيرا يتمثل بهذه الابيات

المال ينفد حله وحرامه * يوما وتبقى بعده اثامه
ليس المتقي بمتق لالاهه * حتى يطيب طعامه وشرابه
ويطيب ما يجنى ويكسب اهله * ويطيب من لفظ الحديث كلامه

وعن يحيى بن معاذ انه قال مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل

عنه كله وامثال هذه الاثار كثيرة

* (بيان وجه الحكمة في الجمع بين مدح المال وذمه) * *

اعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا فى مواضع من كتابه وسماه فتنة ايضا وجعل الدنيا دار تكليف وعمل كما جعل الاخرة دار جزاء وقرار وخلق الانسان للعبادة وجعله محتاجا الى امور لاتقوم البنية الابها ولا يعيش الانسان الامن اجلها من الطعام والشراب واللباس والمسكن وجعله محتاجا عاجزا فجعل لنيل حاجته اسبابا ولدفع عجزه حيلا دله بالعقل عليها وارشده بالفطنة اليها فقال تعالى والذى قدر فهدى قال مجاهد قدر احوال خلقه فهدى الى سبل (اسباب) الخير والشر وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى وهديناه النجدين قال يعنى الطريقين طريق الخير وطريق الشر ثم لما كان العقل دالا على اسباب ما تدعو الحاجة اليه جعل تعالى الامور والارزاق موقوفة على ما قسم وقدر لكيلا يعتمد فى الارزاق على عقولهم وفى العجز على فطنهم لتدوم له الرغبة والرهبة ويظهر منه تعالى الغنا والقدرة ولذلك قيل

كَمْ مِنْ حَرِيصٍ عَلَيْهَا لَا تُسَاعِدُهُ * وَعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ
لَمْ يُرْزَقُوهَا بِعَقْلٍ عِنْدَمَا قُسِمَتْ * لَكِنَّهُمْ رُزِقُوهَا بِالْمَقَادِيرِ
لَوْكَانَ عَنْ حِيلَةٍ وَعَنْ مُغَالَبَةٍ * طَارَ الْبُزَاةُ بِأَرْزَاقِ الْعَصَافِيرِ

وقيل لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما اصنع بالقدر والمناظرة فيه رايت ظاهرا فاستدللت على باطن رايت جاهلا مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس الى العباد فلما كان الانسان مضطرا كما قدمنا لزمه ان يصرف الى دنياه حظا من عنايته لانه لاغنى به عن التزود منها لاخرته ولا له به عن سد الخلة فيها عند حاجته وليس

في هذا القول نقض لما ذكرنا قبل هذا من ذم فضول الدنيا وزجر النفس عن الرغبة فيها بل الراغب فيها ملوم وطالب فضولها مذموم والرغبة انما تختص بما جاوز قدر الحاجة والفضول انما ينطلق على ما زاد على الكفاية ومقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم اذ قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وفي خبر آخر سئل عن اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا فهذه السعادة لاتنال الا بثلاثة اشياء في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر اسباب التمتع فاعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة وهي اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدنانير والدراهم لانهما خادمان لدرك حاجات النفس المطلوب سعادتها ولاخادم لهما الا انهما مرادان لغيرهما لا لذاتهما اذهما حجران لايؤكلان ولايشربان والنفس تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بالاعضاء والحواس والمطعم والملبس والمنكح يخدم البدن اما المطعم والملبس فلبقاء البدن واما المنكح فلبقاء نسله فالبدن يخدم النفس لتزكيتها وتربيتها بالعلم والعمل فمن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه خير من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة بقاء النفس التي تطلبه لها السعادة فتبين بما ذكرنا ان المال خير ويصلح ان يتخذ آلة وعدة للمعاصي التي هي الصارفة للانسان عن سعادة الاخرة فهو اذا فتنة وشر فمن اتخذ من الدنيا اكثر ما يكفيه اخذ حتفه وهو لايشعر كما

ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة عن طريق الاخرة وكان المال مسهلا لها وعدة لها عظم الخطر فيما يزيد على الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا عليه السلام اللهم اجعل قوة ءال محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما لا بد منه وكان خيرا له فلما كان المال يحتوى على فوائد منجية وغوائل مهلكة كان ينبغى لنا ان نشير الى مجموع فوائده وتفصيل غوائله وبالله التوفيق

«فصل في بيان تفصيل غوائل المال وفوائده»

اعلم ان المال مثل الحية فيها سم ناقع وترياق نافع ففوائدها ترياقها الذى يحصل من لحمها وافاتها سمومها فمن عرف غوائلها وءافاتها امكنه ان يحترز من شرها وينتفع بخيرها واما الفوائد فهى تنقسم الى دنيوية يشترك الناس فى معرفتها ولولا ذلك لم يتهالكوا فى طلبها والى دينية تنحصر بجميعها فى ثلاثة انواع الاول ان ينفقه على نفسه اما فى عبادة يؤديها كالحج والجهاد وهما من امهات القربات والفقير محروم من فضلهما واما ان ينفقه فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس والمنكح وضرورات المعيشة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل فيها التنعم لانه من حظوظ الدنيا الثانى ما يصرف الى الناس وهو اربعة اقسام احدها الصدقة ولا يخفى ثوابها فانها تطفئ غضب الرب تعالى الثانى المروة ونعنى به صرف المال فى الاغنياء والاشراف فى هدية وضيافة واعانة وما يجرى مجراه فانها ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء

ويتصف بالسخاء والجود وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها والثالث وقاية العرض ونعني بها بذل المال لقطع السنة السفهاء ودفع شرهم واغتيابهم اذ قال صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة فكيف لا وفيه منع المغتاب من معصية الغيبة واحترازا عما يوثر من كلامه من العداوة التي تحمل على المكافاة والانتقام الرابع الاستخدام و ذلك ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسباب المعيشة كثيرة لو تولاها الانسان بنفسه ضاعت اوقاته ولم يصل الى العلم والعمل فضلا عن الفكر والذكر الذي هو اعلا مقامات السالكين لطريق الاخرة ومن لا مال له فيحتاج الى خدمته بنفسه من كسب القوت وعلاجه وغير ذلك فيشتغل عن العلم والعمل والذكر والفكر (النوع الثالث) ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والمدارس والرباطات ونصب الاجباب في الطرق وحفر الانهار والابار للاجر وما اشبه ذلك من الخيرات المؤبدة الدائمة بعد الموت المستجلبة ادعية بركة الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الاخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والتوقير والكرامة في القلب وكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية واما آفات المال ايضا فتنقسم الى دينية ودنيوية اما الدينية فثلاثة الاولى ان يجر الى المعاصي باتباع الشهوات لان المال نوع من

القدرة بحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه
هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة
السرا اعظم من فتنة الضراء الثانية ان يجر الى التنعم في المباحات
هذا اقل الدرجات فان اعتاد التنعم واشتد انسه بها ربما لا يقدر
على التوصل اليها بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض
في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق
الرديئة لينتظم له امر دنياه ويتيسر له التنعم فيها فان من كثر ماله
كثرت حاجاته الى الناس فينافقهم ويداريهم ويداهنهم ويعصي
الله تعالى في طلب مرضاتهم ليسلم له ماله وان قل ماله
وهو قد اعتاد التنعم فلا بد من مباشرة المحظورات ليتيسر له
من الناس قضاء الحاجات ومن الحاجات الى الخلق تثور العداوة
والصداقة وينشا عليها الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب
والغيبة والنميمة وسائر معاصي القلب واللسان ويتعدى ذلك
ايضا الى معاصي الجوارح وكل ذلك من شوم المال والحاجة
الى حفظه واصلاحه والثالثة يشغله اصلاحه عن ذكر الله
وكل ما شغل العبد عن ذكر الله فهو حسرات ولذلك قال عيسى
عليه السلام في المال ثلاثة ان تاخذه من غير حله قيل ان
اخذه من غير حله قال ان يضعه في غير حقه قال ان وضعه
في حقه قال يشغله اصلاحه عن ذكر الله تعالى وفي خبر
اخر قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة والمال
فيها داء كبير قيل فما دواؤه قال ياخذه من حله ويضعه
في حقه قيل فان فعل قال يشغله اصلاحه عن ذكر الله تعالى
وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادة ومخها ذكر الله

وفي قول آخر ان لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم

تعالى والتفكر في افعاله ويستدعي ذلك قلبا فارغا وصاحب
المال مشغول القلب بالتفكر في اصلاح ماله واسباب حفظه
واودية افكار الدنيا لا نهاية لها والذى معه قوت يومه
في سلامة من جميع ذلك اذا رزق القناعة واما الافات الدنيوية
فهى ما يقاسيه ارباب الاموال من الاخطار والاهوال
والهم والتعب وخوف القطاع والسلاطين الظلمة ودفع
الحساد واصحاب الطمع عنه وغير ذلك من تجشم المصاعب
في حفظ المال وكسبه فاذا ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي
الى الخيرات وما عداه هموم وافات وبالله التوفيق
(فصل) ومن كتاب الضيا وغيره قال وقد اختلف
الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج الى الفقر
فمكروه وما ابطر من الغنى فمذموم فذهب قوم الى تفضيل
الغنى على الفقر لان الغنى مقتدر والفقر عاجز والقدرة افضل من
العجز قال وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كاد الحسد ان يغلب
القدر وكاد الفقر يكون كفرا وقال بزرجمهر ان كان شيء
فوق الحياة فالصحة وان كان شيء مثلها فالغناء وان كان شيء
فوق الموت فالمرض وان كان شيء مثله فالفقر وقال في منثور الحكم
القبر خير من الفقر قال وجد في نيل مصر مكتوب على حجر عاقبة
الصبر نجاح وغنى ورداء الفقر من نسج الكسل وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الفقر الموت الاحمر وقال في دعائه
اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر وقد تقدم
من الادلة على فضل الغنى ما يكفي قال وذهب اخرون الى التفضيل

الفقر على الغنى قالوا لان الفقير تارك والغنى ملابس وترك الدنيا
افضل من ملابستها قال وهذا مذهب من غلب عليه حب
السلامة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اول من يقرع باب الجنة فقراؤكم واهل الجنة ضعفاؤكم وشرار
امتي من يساق الى النار بالاقماع قيل وما الاقماع قال
الذين اذا اكلوا اشبعوا وعنه عليه السلام يدخل فقراء المسلمين
الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم من ايام الاخرة وذلك خمس
ماية سنة والفقير افضل من الغنى لان النبي صلى الله عليه
وسلم عرضت عليه خزائن السموات والارض فاختار تركها
فصبر على الفقر فمحال ان يختار ادنى الحالتين بل اختار افضلها
والله اعلم قال وعيرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر
فقال من الغنا اتيتم وعن عمر رضي الله عنه انه قال من نبل
الفقراء انك لا تجد احدا يعصي الله ليفتقر فاخذه محمود
الوراق فقال

يا عايب الفقر الا تزدجر * عيب الغنى اكثر لو تعتبر *
من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى لو صح منك النظر
انك تعصي كي تنال الغنى * ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال ابن المقفع

* دليلك ان الفقر خير من الغنى * وان قليل المال خير من المثر *
* لقاءك مخلوقا عصى الله بالغنى * ولم تر مخلوقا عصى الله بالفقر

وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من يوم طلعت فيه شمسه الا وعلى جنبها ملكان ينادیان
يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم

ان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وقد تقدم ايضا من دليل الفقر ما فيه كفاية وقد روى ابوذر رحمه الله كان يقال اوحى الله الى موسى عليه السلام لا تنسانى على كل حال فان نسيانى يقسى القلوب وان كثرة المال تكثر العيوب يا موسى اذا رايت المال مقبلا فذلك ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا الدرهم والدينار اهلكا من قبلكم وهما مهلكاكم قال وسئل عبد الله بن عباس عن الدرهم والدينار فقال اما الدرهم فدارهم واما الدينار فدار النار والاخبار فى مثل هذا كثيرة قال وذهب آخرون الى تفضيل التوسط بين الامرين بان يخرج من حد الفقر الى ادنى مراتب الغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال وان خير الامور اوسطها وبذلك نطق القرآن قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال لنبيه عليه السلام وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا فتبين ان الاعتدال فى الانفاق خير من الاسراف والاقتار وهذا مع ما وردت به السنة عن النبى عليه السلام انه قال خير الامور اوسطها وعن على بن ابى طالب انه قال خير الامور النمط الاوسط اليه يرجع العالى وبه يلحق الدانى وينشد

* لا تذهبن فى الامور فرطا لا تسالن ان سالت شططا *

* وكن من الناس جميعا وسطا *

وقال آخر

عليك باوسط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وحكى عن ابى المعتمر السلمى انه قال الناس ثلاثة اصناف اغنياء

وفقراء واوساط فالفقراء موتى الامن اغناه الله بعز القنوع والاغنياء سكارى الامن عصمه الله بتوقع الخير واكثر الخير مع اكثر الاوساط واكثر السوء مع اكثر الفقراء والاغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى وقال بعض الشعراء * * * * * *

* اعوذ بك اللهم من بطر الغنى * ومن نهكة البلوى ومن ذلة الفقر *
* ومن امل يمتد فى كل شارق * ويرجعنى منه بحظ يد صفر *
* اذا لم تدنسنى الذنوب بعارها * فلست ابالى بما تشعب من امر *

وهذا القول عندى فى اعدل الاقاويل لان النبى عليه السلام استعاذ من الفقر المدقع ومن الغنى المبطر وسال ربه الكفاف وهى النجاة والعفاف وبالله التوفيق * * * * * *

* * (الباب الثالث فى امثلة الدنيا) * * *

اعلم ان الدنيا سريعة الفناء وشيكة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يتحسر عند انقضائها ومثالها فى ذلك كالظل فانه متحرك فى الحقيقة ساكن فى الظاهر لا تدرك حركتها بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ويروى انه ذكرت الدنيا عند الحسن فقال

احلام نوم اوكظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع * * *

ومن كتاب سراج الملوك وقال وهب بن منبه صحب رجل بعض الرهبان سبعة ايام يستفيد منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر الله والفكر لا يفتر ثم التفت اليه فى اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد فى الدنيا راس كل

خير والتوفيق تاج كل بر فقال كيف اعرف ذلك قال كان جدى رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة اشياء شبهها بالماء الملح يغر ولا يروى ويضر ولا ينفع وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا يمطر وبظل الغمام يغر ويخذل وبزهر الربيع يغر بنظرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يجد الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل قال فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت عليها حرفا آخر فشبهتها بالغول التى تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها ثم رايت جدى فى المنام فقال لى يا بنى انت منى وانا منك هى والله كالغول التى تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها قال فباى شئ يكون الزهد فى الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب فقال خذها ولا اراك خلفى متجردا بقول دون فعل فكان ذلك اخر العهد وكان الحسن بن على يتمثل ويقول

يا اهل لذة دار لا بقاء لها * ان اغترارا بظل زائل حمق

وكان يرى انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه وقام وهو يقول

الا انما الدنيا كظل بنيته * ولا بد يوما ان ظلك زائل

وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا حلم واهلها عليها مجازون اومعاقبون وقيل لحكيم اي شئ اشبه بالدنيا قال احلام النائم وقال بعض العلماء ما شبهت نفسى فى الدنيا الا كرجل نام فرءى فى منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك

الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذًى ليس بايديهم شئ مما ركنوا اليه وفرحوا بها مثال آخر للدنيا فى عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج اولا والتوصل الى الهلاك آخرا وهى كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روى ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت فقالت لا احصيهم فقال اوكلهم مات عنك اوكلهم طلقوك فقالت بل كلهم قتلت فقال عيسى بوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكيهم واحدا واحدا فلا يكونون منك على حذر مثال آخر وقد روى عن علىّ بن ابى طالب كتب الى سلمان الفارسى رحمه الله بمثال الدنيا فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن الى سرور اشخصه عنها الى مكروه والسلام وينشد

هى الدنيا كحية تنفث السم * وان كانت المجسة لانت *

مثال آخر فى تعذر الخلاص من تباعاتها بعد الخوض فيها * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى على الماء هل يستطيع الماشى على الماء ان لا تبتل قدماه وينشد

القوه فى اليم مكتوفا فقالوا له * اياك اياك ان تبتل بالماء

فهذا بعرفك جهالة اقوام ظنوا انهم خوضون فى نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة

ذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتنعمين بفراقها كما ان الماشي في الماء يقتضي بللا يلتصق بالقدم لامحالة فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب لامحالة بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة وقد روى عن عيسى عليه السلام انه قال بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى طعامه ولا يستلذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترفق بذكر الموت وتنصب بالعبادة تقسو وتغلظ وبحق اقول لكم ان الزقاق مالم تتخرق او تتخل يوشك ان تكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوة او يدنسها الطمع او يقسها النعيم يوشك ان تكون اوعية للحكمة وقال نبينا عليه السلام ان مابقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال اخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من اوله الى اخره فيبقى معلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع * (مثال اخر) * لتادية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك وعن عيسى عليه السلام انه قال مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال اخر * لمخالفة آخر الدنيا اولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوة الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة

والنتن والقبح مايجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا وكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ فنتنها وكراهيتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ ماله وولده واهله فتكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقده بقدر لذته فيها وحبه لها وحرصه عليها فكل ما كان عند الوجود اشهى والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وفوح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله ضرب مثل الدنيا الى ما يصير اليه طعام ابن آدم وعن ابي بن كعب او غيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان فوحه وملحه قال الحسن قد رايتهم يطيبونها بالافاويه والطيب ثم يرمون بها حيث رايتم وينشد

ولقد سالت الدار عن اخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى وقفت على الكنيف فقال لى * اموالهم بكما لها عندى

وقال الله سبحانه فلينظر الانسان الى طعامه وعن ابن عباس قال الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اريد ان اسألك واستحي قال لا تستحي واسال قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ما صار وكان فيما بلغنا بعض السلف يقول انطلقوا

بنا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما ذا يرجع اليه

* (مثال آخر) لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقوله تعالى في تحذيره اياهم بغوائل الدنيا قال الحسن بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي وقد انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا ما هذا قال على ما انتم قالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله ان لا يعصوه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال لهم يا هؤلاء قالوا ما هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لا نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فندر بهم العدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل * *

*(مثال آخر) *لتنعم الناس في الدنيا ثم تفجعهم على فراقها
اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا و
زينها وهو يدعوا الى داره قوما على الترتيب واحدا بعد واحد
فدخل واحد الدار فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين
يشمه ويتركه لمن يلحقه لا لمن يتملكه ويأخذه فجهل رسمه فظن
انه قد وهب ذلك منه فتعلق قلبه بما ظن انه له فلما استرجع
منه ضجر وتفجع ومن كان عالما رسمه انتفع به فشكره ورده بطيبة
قلب واستراحة صدر فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا
علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا
منها و ينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري فلا يصرفون
اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها * *
*(مثال آخر) *للدنيا واهلها في اشتغالهم في نعيم الدنيا
وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم لها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم
مثلهم كمثل قوم ركبوا سفينة وانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح
بالخروج لقضاء الحوائج وحذرهم المقام فيها وخوفهم مرور السفينة
واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر
الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن واوفقها
لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها
العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة فصار يلحظ من
زينة احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال
الحسنة المنظر العجيبة النقوش ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع
اليها ولم يصادف فيها الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم
اكب على تلك الاصداف والاحجار فاعجبه حسنها ولم تسمح

نفسه

نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متاسف على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتنسيم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع غير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك عن شوك ينتشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وصوت هائل يفزع منه فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا وبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء فسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الحجارة المزبرجة فقد استرقته وشغله الحزن لحفظه والخوف من فواته وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث الى ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع عفنها مضيقة عليه ولم يجد حيلة الى ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما ومن رجع قريبا ولم يسعه المكان فتاذى بضيقه مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الوطن سالما فهذا امثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم عاقبة امرهم وما اقبح بمن يزعم انه بصير عاقل ان تغره حجارة الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبات وهي زينة الدنيا

وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كل وبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله منهم وقليل ما هم * (مثال اخر للدنيا ولابن ادم) * *
وقد ضرب حكماء الهند مثلا للدنيا ولابن ادم فقالوا مثال ابن ادم والدنيا وملك الموت كمثل رجل طرده الفيل فدخل له بستانا فاذا فيه بئر فيه ثعبان فاتح فاه فدلى رجليه في البئر فاستقرت على رؤس اربع حيات صغار وقد اعتمد هو على قصبة يخرج منها شيء حلو يمتصه وفي اصل القصبة جرذان يقرضانها احدهما ابيض والاخر اسود فشغله ذلك الشيء الحلو الذي يمتصه عن الفيل الذي خلفه والثعبان الذي تحته فبينما هو كذلك اذ ثار عليه بعض تلك الحيات فنهشته فوقع في فم الثعبان قالوا فالفيل ملك الموت يطرد الانسان لقبض روحه منذ خرج من بطن امه والبستان مثل الدنيا والبير مثل القبر والحيات الاربع الطبائع الاربع التي تركبت عليها الاجسام وهي المرة السوداء والصفراء والدم والبلغم والقصبة عمره والشيء الحلو رزقه والجرذان الليل والنهار يقطعان عمره فاذا ثارت عليه احدى الطباع كان ذلك سبب انقطاع اجله فيموت فيقع في البير وهو القبر والله اعلم وقال بعض العلماء الناس في الدنيا على ثلاث درجات احداها درجة الفائزين وهم الذين لم تدنسهم الدنيا باهل ولا مال يحاسبون عليها والثانية درجة المخاطرين وهم المقتصدون في الاهل والمال في الدنيا فان نوقشوا اعذبوا وان سومحوا نجوا والثالثة درجة الهالكين وهم الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار ومثال هؤلاء الثلاثة والدنيا كمثل ثلاثة نفر اجتازوا في سفر على بستان قد تزخرفت انواره * واينعت فواكهه واطردت انهاره فايتمروا فيما بينهم على اخذ الزاد منه فاعتذر احدهم بحاجة واستمر في طريقه

فقال الاثنان الى البستان فاخذ احدهما منه زاده ولحق بصاحبه الاول بعد ان كابد مشقة وبقى الثالث فى البستان يتنعم بالفواكه والانهار حتى دخل عليه الخريف فغارت تلك الانهار وتيبست تلك الفواكه والازهار فهلك ولم يصل الى المقصود فالاول من الفائزين والثانى من المقتصدين والثالث من الراغبين وبالله التوفيق * فهذه امثلة الدنيا وغوائلها وقد ضرب الله مثلا للدنيا هو اعم من هذه الامثلة بعد ان وصفها بخمس صفات مذمومات لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الى قوله حطاما والكفار هاهنا الزراع فكما ان الزرع يكون فى اوله ناعما اخضر احسن ما يكون فى مرء العيون ثم يهيج فتراه مصفرا يعنى يجف ثم يصفر ويحترق ثم يدرس فيكون حطاما اى تبنا مكسورا فكذلك مثل بنى ادم يخرجون صغارا ثم يصيرون شبابا يعجبون الاباء ويفتنون ذوى العقول والاحلام ثم يهرمون فيصيرون شيوخا منكسة رؤسهم مقصوفة ظهورهم قد ذهب حسنهم ونضارتهم وتغير شبابهم وجمالهم فيموتون ثم يصيرون حطاما فى القبور كفتات الزرع لانهم مخلوقون من الارض واليها مرجعهم ومنها مبعثهم وقد روى فى الخبر ان رجلين تنازعا فى ارض فانطق الله لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا الف سنة فاخذنى خزاف وصيرنى لبنة فانا فى هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض والله اعلم والحكم وبه العون والتوفيق * وروى عن على بن ابى طالب انه قال الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوى فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليها يقتتل

الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال فى مبال والله ان المراة لتزين احسن شيئ منها ويراد اقبح شيئ منها واشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب للدنيا مثلا ولابن ادم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة اخلاء فلما حضره الموت قال لاحدهم كنت لى خلا موثرا مكرما وقد حضرنى من امر الله ماترى فما ذا عندك فيقول هذا امر الله لا استطيع ان انقص عنك ولا اكشف كربك ولكن ها انا بين يديك فخذ منى زادا ينفعك ثم يقول للثانى كنت عندى ابر الثلاثة وقد نزل بى من امر الله ما ترى فما ذا عندك فيقول هذا من امر الله غلبنى عليك ولا اقدر ان انقض كربك ولكن سا قوم عليك فى مرضك فاذا مت اتقنت غسلك وسترت جسمك وعورتك وقال للثالث قد نزل لى من امر الله ما تراه وقد كنت اهون الثلاثة على فما ذا عندك فقال انى قرينك وحليفك فى الدنيا والاخرة ولا ادخل معك قبرك حتى تدخله ولا اخرج منه دونك ولا افارقك ابدا فقال عليه السلام الاول ماله والثانى اهله والثالث عمله والله اعلم

الباب الرابع فى حقيقة الدنيا وتفصيل جملة معانيها

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف المذموم منها والمحمود المندوب الى الاخذ منها فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الدانى منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخى المتاخر يسمى اخرة وهى ما بعد الموت فكل ملك فيه حظ ونصيب وشهوة فى عاجل الحال قبل

الوفاة فهي الدنيا في حقك الان جميع ما لك اليه ميل وشهوة
فليس بمذموم بل هو على ثلاثة اقسام القسم الاول ما يصحبك
في الاخرة وتبقى ثمرته معك بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل
فقط ونعني بالعلم والعلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وملائكته
وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعته واعني
بالعمل العبادة الخالصة لوجهه تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير
ذلك الذ الاشياء عنده وكذلك العابد قد يانس بالعبادة لله تعالى
فيستلذها حتى لو منع منها لكان اعظم العقوبة عليه حتى قال بعضهم
ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان
اخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاثة
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من
جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة
فهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون
في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا فقد صار العلم والعمل من الحظوظ
العاجلة في الدنيا ولكن اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعن هذين
منها اصلا القسم الثاني وهو المقابل للاول وهو الطرف الاقصى
وذلك كل ما للانسان فيه حظ عاجل في الدنيا ولا ثمرة له في الاخرة
اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر
الضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والمرغوبات كالتنعم بالقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
والجواري والنساء والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة
فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد منها من الفضول

نظر طويل اذ روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه استعمل ابا الدردا على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفى به عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا في الدنيا فتامل فيه القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين وذلك كل حظ للانسان في عاجل الدنيا معين على اعمال الآخرة كالقوت من الطعام والثوب الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى منه للانسان البقاء والصحة التي توصل بها الى العلم والعمل فهكذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين عليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه وقصده قضاء شهوته دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني فصار من جملة الدنيا فلا يبقى عند العبد بعد الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب اعني طهارته من ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله تعالى فصفاء القلب وطهارته لا يحصل للعبد الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل له الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل له الا بالمعرفة ولا تحصل له معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات هي المنجيات المسعدات عند الموت وهي الباقيات الصالحات فاذا سلوك طريق الآخرة هي المواظبة على اسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يعصم العبد عن شهوات الدنيا ويبغض اليه لذاتها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوة وملبس ومسكن وكل ذلك يحتاج الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة

اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت
الدنيا فى حقه مزرعة للاخرة وان اخذ ذلك الحظ للنفس وقصد
التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين فى حظوظها الا ان الرغبة فى
حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه للعذاب فى الاخرة
ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه
لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقوف
فى عرصات القيامة لاجل المحاسبة ايضا عذاب اذ من نوقش فى
الحساب فقد عذب وقال عليه السلام حلالها حساب وحرامها
عقاب بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوته من الدرجات العلى
فى الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ خسيسة
هو ايضا عذاب وقس به حالك فى الدنيا اذا نظرت الى اقرانك
وقد سبقوك الى سعادة دنيوية كيف يتقطع عليه قلبك حسرة
مع علمك بانها سعادة منصرفة لا بقاء لها ومنغصة بكدورة
لا صفاء لها فما حالك فى فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها
وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم فى الدنيا ولو بسماع صوت
طائر او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه
فى الاخرة اضعافه وهو المعنى بقوله عليه السلام لعمر هذا من
النعيم الذى يسئل عنه يوم القيامة اشار الى الماء البارد والتعرض
لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك
من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضى الله عنه اعزلوا عنى حسابها
حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره فى كفه
ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها مذمومة
الا ما اعان على تقوى الله تعالى فان ذلك القدر ليس

ليس من الدنيا فكل من كانت معرفته اقوى واتقن
كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى روى ان عيسى عليه
السلام وضع راسه على حجر لما نام ثم رماها اذ تمثل له
ابليس وقال رغبت فى الدنيا * * * * * * * * * *

* (وحكى) * ان سليمان عليه السلام فى ملكه كان
يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل
الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان
الصبر على لذائذ الاطعمة اشد مع وجودها * فلهذا *
زوى الله الدنيا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان
يطوى اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا اسلط
البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل
ذلك نظر لهم وامتنان عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما
يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة
شفقة عليه وحباله لابخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل
ما ليس لله فهو من الدنيا وما لله تعالى فذلك ليس من الدنيا
* (فان قيل) * فما الذى هو لله تعالى * (فاعلم) *
ان الاشياء ثلاثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو
الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات وانواع التنعمات فى المباحات
وهى الدنيا المحضة المذمومة صورة ومعنى ومنها ما صورته لله
تعالى ويمكن ان يجعل لغير الله وهى ثلاثة الذكر والفكر والكف
عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرين سرا ولم يكن عليها باعث
سوى امر الله واليوم الاخر فهى لله وليست من الدنيا وان كان الغرض
من الفكر طلب العلم الشرف وطلبا لقبول من الخلق باظهار المعرفة او كان

الغرض من ترك الشهوات حفظ المال او الحمية لصحة البدن اوللاشتهار بالزهد فقد صار زهد امن الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناها لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل مايرتبط به بقاءه وبقاء ولده فان كان القصد للاستعانة على التقوى فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا وقد قال عليه السّلام من طلب الدنيا حلالا مكاثرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانا لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وانظر كيف اختلف ذلك بالقصد والنية فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لاحاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى الاية ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله سبحانه وتعالى فى قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والاعيان التى تحصل منها هذه الخمسة هي سبعة يجمعها الله تعالى فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الى قوله تعالى متاع الحياة الدنيا وقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت لابد منه وما لابد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حظ الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم حيز التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن يحوم حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم فى الحذر والتقوى والتقريب من حد الضرورة ما امكن للاقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى روي ان اويس القرني رحمه الله

كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب
دارهم فكان تاتى عليه السنة والسنتان والثلاثة ولا يرون له وجها وكان
يخرج اول الاذان ويأتي الى منزله مرارا بعد العشاء الاخيرة وكان طعامه
ان يلقط النوى فكل ما اصاب من الحشف خباه لافطاره فان اصاب ما يقوته
من الحشف تصدق بالنوى فان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى و
اشترى ما يقوته وكان لباسه مما يلقطه من المزابل من قطع الاكسية
فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه
وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه
ان كنتم ترجمونني فارموني بحجار صغار فاني اخاف ان تدموني فتحضر الصلاة
ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولهذا اعظم النبي صلى الله عليه
وسلم امره وامر ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ان يقرياه عنه السلام
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل بشفاعته مثل ربيعة
ومضر وقصته مع عمر رضي الله عنه مشهورة وكذلك مع هرم بن حيان
وفي اثر اصحابنا ان اويسا قتل مع اهل النهروان رحمهم الله فهذه
كانت سيرة ابناء الاخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت بما سبق في
بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته
الخضراء وما اقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا
الاخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل
قوة طاعة الله تعالى ليس من الدنيا لان البدن مركب للنفس تقطع
به مسافة العمر فتعهد البدن فيما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم
والعمل هو من الاخرة وليس من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعيمه
بشيء من هذه الاشياء كان منحرفا عن الاخرة بقدر ذلك وتخشى عليه
القسوة والله اعلم فهذه حقيقة الدنيا في حقك وبالله التوفيق

فصل في بيان هيئة الدنيا وتفصيل أعيانها

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور فقد يظن ان الدنيا عبارة عن احدها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي هي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها الآية فالارض فراش الآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح وجميع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها للآلات والاواني كالنحاس والحديد والرصاص وللنقد كالذهب والفضة وغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فتطلب لحومها للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان او يطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعه الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات الى قوله من الذهب والفضة وهما من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي واليواقيت وغيرها والخيل المسومات والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين احداهما علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او كالمحب المستهتر الذي غلب عليه حب الدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات

القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف الانسان نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا تبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثل الحاج الذي يقف في بعض منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويحمل اليها انواع الحشيش ويسقيها حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقدر به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل المرحاض الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في الجوف وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن فمن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وأما المسكن والملبس فهو اهون فلو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما

استغرقتهم بجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظها ولكنهم جهلوا وغفلوا
وتتابعت اشغال الدنيا واتصل بعضها ببعض فتداعت الى غير نهاية
محدودة فتاهوا في كثرة الاشتغال ونسوا مقصودها وبالله التوفيق

الباب الخامس في ترك الدنيا والزهد فيها

قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم الى قوله خير وابقى وعن ابي رافع
قال ضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا فلم يلق عنده ما يصلحه
فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال لي قل له قال لك محمد اسلف
لي او بعني دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن
قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال اما والله اني
لامين في اهل السماء وامين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه
اذهب اليه بدرعي هذه فلما خرجت نزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك
الاية فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى من لم يتأدب بادب
الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات وفي خبر اخر قال ومن لم ير
لله عليه نعمة الا في مطعم او مشرب او ملبس فقد قصر علمه وحضر عذابه
ومن نظر الى ما في يد غيره طال حزنه ولم يشف غيظه قال الله تعالى
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الاية فامره الله
تعالى بفراقهن ان اثرن الدنيا على الاخرة وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اوحي الي كلمات فدخلن في اذني ووقرن في قلبي من
اعطى فضل ماله فهو خير له ومن امسك فهو شر له ولا يلوم الله على الكفاف
وعن معاوية بن حيدة قال قلت يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا
قال ما سد جوعتك وستر عورتك فان كان دار فذاك وان كان حمار

فيه نح فلق من خبز وجرة من ماء وانت مسؤل عما فوق الازار وفي قوله تعالى وجعلكم ملوكا قال مجاهد كل من ملك بيتا وزوجة وخادما فهو ملك وروي مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المعنى صحيح لانه بالزوجة والخادم مطاع في امره وبالبيت محجوب الابامره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده ليدخلن فقراء المسلمين الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة سنة ياكلون فيها ويشربون ويتمتعون والاخرون جاثون على ركبهم وليقولن لهم الجبار جل جلاله انتم كنتم ملوك الناس وحكامهم واهل الغنى فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وروي عنه انه قال التقى مؤمنان على باب الجنة فقير وغني كانا في الدنيا فادخل الفقير الجنة واحتبس الغني ما شاء الله ان يحتبس ثم دخل الجنة فلقيه الفقير فقال يا اخي اني احتبست بعدك محتبسا فظيعا كربها وما وصلت اليك حتى سال مني من العرق مالو ورده الف بعير كلها اكلت حمضا لصدرت منه رواء وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته وينشد لعلي بن ابي طالب

افادتني القناعة كل عز ۞ وهل عز اجل من القناعة
فصيرها لنفسك راس مال ۞ وصير بعدها التقوى بضاعة
تحز ربحا وتغنى عن لئيم ۞ وتنعم في الجنان بصبر ساعة

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال ليس الغنى من كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وينشد

العيش ساعات تمر ۞ وخطوب ايام تكر

اقنع بعيشك ترضه ❊ واترك هواك وانت حر
فلرب حتف ساقه ❊ ذهب وياقوت ودر

وقيل لبعض الحكماء ما الغنى فقال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل لحكيم ما مالك قال الغنى في الظاهر والقصد في الباطن والاياس مما في ايدي الناس وروي ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا لك محسن وينشد

حتى متى انا في حل وترحال ❊ وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا ❊ عن الاحبة لا يدرون ما حال
بمشرق الارض طورا وبمغربها ❊ لا يخطر الموت من حرصي على بال
ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ❊ ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وعن عمر رضي الله عنه انه قال الا اخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم والله لا ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي يجب القناعة بها والله اعلم

فصل في حكايات تدل على الزهد في الدنيا

وعن وهب بن منبه انه قال اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل اذا اردت ان تسكن في حظيرة القدوس فكن في الدنيا فريدا وحيدا مهموما وحيشا بمنزلة الطائر الوحداني الذي يظل النهار في الفلوات وياكل من رؤس الاشجار ويشرب من ماء العيون فاذا كان

الليل ءاوى وحده ولم يأو مع الطير اسـتـئناسا به ولبعضهم

كم للحوادث من صروف عجائب ❊ ونوائب موصولة بنوائب

ولقد تقطع من شبابك وانقضى ❊ ماليس اعلمه اليك بآيب

تبغي من الدنيا الكثير وانما ❊ يكفيك منها مثل زاد الراكب

وروي عن عمر بن الخطاب انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مزمول بشريط فجلس فرءا اثر الشريط في جنبه فدمعت عيناه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مزمول بشريط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان تكون لهم الدنيا ولا تكون لهم الاخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سافر في يوم صائف فرفعت له شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها وفي كتاب سراج الملوك قال مالك بن انس بلغني ان عيسى بن مريم عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها ونسفت اشجارها فنادى يا خراب اين اهلك ثلاثا فنودي بادوا وتضمنتهم الارض وعادت اعمالهم قلائد في رقابهم الى يوم القيامة عيسى بن مريم فجد قال ومر بعض الملوك ببقراط الحكيم وهو نائم فركضه برجله فقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك الا تعرفني قال لا ولكني اراً فيك طبع الدواب لانها تركض برجلها فغضب فقال اتقول لي هذا وانت عبدي فقال بقراط له بل انت عبد عبدي قال وكيف ذلك قال لان شهواتك ملكتك وانا ملكت الشهوات فقال انا الملك ابن

الاملاك املك من البلاد كذا وكذا ومن الرجال كذا وكذا ومن الاموال كذا وكذا فقال اراك تفتخر على بما ليس من جنسك وانما سبيلك ان تفتخر على بجنسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونترامى فى هذا النهر فنتكلم فحينئذ يتبين الفاضل من المفضول فانصرف الملك خجلا وروى ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها سبعة املاك فبادوا فقال هل بقي من نسل الاملاك الذين ملكوا منه المدينة احد قالوا رجل يكون بالمقابر فدعا به فاتاه فقال له ما دعاك الى لزوم المقابر قال اردت ان اعزل عظام الملوك من غيرهم فوجدت ذلك سواء لا يتميز لى فقال له هل لك ان تتبعني فاحي بك شرف اباءك ان كانت لك همة فقال ان همتي لعظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك قال حياة لاموت فيها وشباب لاهرم معه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يغيره مكروه فقال له الاسكندر لا اقدر على هذا فقال فانفذ لشانك وخلني اطلب بغيتي ممن هي عنده فقال الاسكندر هذا احكم من رايت قال وروى الجاحظ قال وجدت فى حجر مكتوب يا ابن ادم لو رايت يسير ما بقي من اجلك لزهدت فى طول ما ترجو من املك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت فى حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك وقد زلت بك قدمك وانصرفت عنك اهلك وحشمك وتبرا من صحبتك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا انت فى عملك زائد ولا الى اهلك عائد وقال بعض الشعراء

من كان يعلم ان الموت مدركه ٭ والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات ستبهجه ٭ يوم القيامة او نار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج ٭ وما اقام عليه فهو اسمجه
يرى الذى اتخذ الدنيا له وطنا ٭ لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

وقيل لبعض الزهاد مالك تمشي على عصى ولست بكبير ولا مريض قال لاعلم اني مسافر وانها دار بلغة وان العصى من ءالات السفر فنظمه بعض الشعرا فقال

حملت العصى لا الضعف اوجب حملها ❊ علي ولا اني تحنيت من كبر
ولكنني اكرهت نفسي حملها ❊ لاعلمها ان المقيم على سفر

وعن وهب بن منبه انه قال خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع جملة من اصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد امكن من الفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه ان ايذن لهم في قوتهم فاذن لهم في قوتهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعي وارضي ورثتها من ابي باذن من تاكلون يا هؤلاء قال فدعى عيسى عليه السلام ربه فبعث الله عز وجل جميع من ملك تلك الارض من لدن ءادم عليه السلام فاذا عند كل سنبلة او ما شاء الله رجل وامراة كلهم ينادي ارضي وزرعي ورثتها من ابي ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله اني لم اعرفك زرعي ومالي لك حلال فبكى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوا هذه الارض وعمروها وارتحلوا عنها فانت مرتحل لاحق بهم ويحك لا ارض لك ولا مال لك وينشد لابي العتاهيه

وعظتك احداث صمت ❊ ونعتك ازمنة خفت
وتكلمت عن اوجه ❊ تبلى وعن صور سبت
واراتك قبرك في القبور ❊ وانت حي لم تمت
يا شامتا بمنيتي ❊ ان المنية لم تفت
ولربما انصل الشمات ❊ فحل بالقوم الشمت

وعن الاصمعي قال لما زخرف الرشيد مجالسه وزوقها وصنع فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابى العتاهية فقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم منه الدنيا فقال

عش ما بدا لك آمنا ❊ في ظل شاهقة القصور

(قال احسنت ثم ماذا قال)

يسعى عليك بما اشتهيت ❊ لدى الرواح وفي البكور

(فقال احسنت ثم ماذا قال)

فاذا النفوس تقطعت ❊ في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ❊ هل كنت الا في غرور

قال فبكى هارون بكاء رحمه من حوله فقال الفضل بن يحيى بعث اليك فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال هارون دعه فانه رءانا في عمى كثير فكره ان يزيد ناعمى وينشد

ان كنت تسموا الى الدنيا وزينتها ❊ فانظر الى ملك الاملاك هارون

رام الامور فاعطته مذاقتها ❊ وسخر الناس بالتشديد واللين

حتى ظن ان لا شئ غالبه ❊ ومكنت قدماه اى تمكين

راحت عليه المنايا روحة تركت ❊ ذا الملك والعز تحت الماء والطين

وعن الاصمعي انه قال ان النعمان بن امرء القيس الاكبر الذى بنى الخورنق اشرف عليه يوما فاعجبه ما اوتى من الملك والسعة في الدنيا ونفوذ الامر واقبال الخلق والوجوه نحوه فقال لاصحابه ما اوتى احد مثل ما اوتيت فقال حكيم من اصحابه ايها الملك هذا الذى اوتيت شئ لم يزل اولا زال او شئ كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك قال بلى شئ كان لمن قبلى زال عنه وصار الى وسيزول

قال افسررت بشيء تزول عنك لذته وتبقى تباعته قال فاين المهرب
قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس مسوحا وتلحق بجبل
تعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى ياتيك الموت قال فاذا فعلت
ذلك فما لي قال حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم
وملك جديد لا يبلى قال فاي خير فيما يفنى والله لاطلبن عيشا
لا يزول ابدا فانخلع عن ملكه ولبس المسوح وسار في الارض وتبعه
الحكيم يسيحان ويعبدان الله حتى ماتا وفيه يقول عدي بن زيد

وتذكرا خا الخورنق اذ اشرف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حي الى الممات يصير
اين كسرى كسرى الملوك انوشروان ام اين قبله سابور
واخو الحصن اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه وبابه مهجور

وروى ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له يسبح الله تعالى
فاصابهما الجوع وقد اتيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه
انطلق فاطلب لنا طعاما في هذه القرية فقام عيسى يصلي فجاء رجل
بثلاثة ارغفة فابطى عليه انصراف عيسى من الصلاة فاكل رغيفا
فلما انصرف عيسى قال اين الرغيف الثالث فقال ما كان الا اثنان
قال فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء فدعى عيسى عليه السلام ظبيا
منها فذكاه فاكلا منه ثم قال له عيسى قم باذن الله محيي الموتى فاذا هو
يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي
اراك هذه الاية من صاحب الرغيف فقال ما كان الا اثنان فمضيا

على وجوههما فمرا بنهر عجاج عظيم فاخذه عيسى عليه السلام فمشيا على الماء حتى جاوزاه فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى اراك هذه الاية من صاحب الرغيف فقال ما كان الا اثنان فمشيا حتى اتيا قرية عظيمة خربت فاذا قريب منها لبن ثلاث من ذهب فقال الرجل ما هذا فقال عيسى عليه السلام اجل هذا مال واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف فقال الرجل انا صاحب الرغيف فقال عيسى هي لك كلها ثم فارقه فاقام هو عليها ليس معه من يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فاخذوا اللبن فقال اثنان لواحد منهم انطلق الى القرية فاتنا بطعام فذهب فقال احد الباقين نقتل هذا الرجل اذا جاء فنقسم المال بيننا فقال الذى ذهب اجعل لهما في الطعام سما فاخذ اللبن فلما جاء قتلاه واكلا من الطعام الذى جاء به فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم حول اللبن قتلى فقال هكذا تصنع الدنيا باهلها وعن محمد بن زيد قال دخلت على المامون وكان يومئذ وزيره فرايته قائما وبيده رقعة فقال يا محمد اقرات ما فيها فقلت هي في يد امير المومنين فرمى بها الى فاذا فيها مكتوب

انك في دار لها مهلة ❊ يقبل فيها عمل العامل
ما ترك الموت محيطا بها ❊ تقطع فيها امل الامل
تعجل الذنب لما تشتهى ❊ وتامل التوبة من قابل
والموت ياتيك ذا غفلة ❊ ماذا يفعل الحازم العاقل

فلما قراتها قال المامون هذا احكم شعر قراته والله اعلم * *

* (فصل) * اعلم رحمك الله ان الدنيا اذا وصلت تباعات موبقة * واذا فارقت فجعات محرقة تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول فخيرها يسير *

وعيشها قصير * واقبالها خديعة * وادبارها فجيعه * ولذاتها فانيه * وتباعاتها باقيه * فاغتنم غفوة الزمان * وانتهز فرصة الامكان * وخذ من نفسك لنفسك * وتزود من يومك لغدك *

* (حكاية من كتاب حياة القلوب) * قال وروى عن مالك بن دينار انه كان ماشيا في ازقة البصرة اذ هو بجارية من جوارى بعض الملوك راكبة ومعها الخدم والحفدة فسمع مالك حسها خلفه فالتفت فرءى زهوها وهيئتها وجمالها فاثبت فيها بصره ثم ناداها ياجارية ايبيعك مولاك قال فلما لجأتها منه هذه الكلمة وهو في هيئته تلك في عباءته وتواضعه قالت امسكوا مطيتي كيف قلت ياشيخ قال اقول لك هل يبيعك مولاك قالت ويلي عليك ولو باعني هل لمثلك ما يبتاعني به قال نعم وخير منك فاستضحكت وقالت لعلها نها سيروا به قال فحملوا به قال خلوا عني انا اسير اليكم فسار معهم حتى اتت قصرها فقام بحجبة الدار لها فدخلت فانزلوها وبقي مالك بالباب فدخلت الى مولاها فقالت يا مولاي الا تعجب لشيخ لقيني فكان من شانه كذا وكذا فحدثته فاضحكته فقال اين هو ويلك قالت قد جئت به هو بالباب قال ادخلوه فدخل مالك ولم يعرفه الرجل فلما وقف بباب مجلسه اذ ببيت مجيد بضروب سرية من الوطا والمتكا فاذا هو قاعد على فراش من قدره وشانه فشخص مالك ينظر اليه فقال ادخل ايها الشيخ فقال لا ادخل او ترفع هذا الوطى بشرفه وفتنته عني حتى لا اطأ منه شيا ولا انظر اليه قال فالقى الله له الهيبة والطاعة في قلبه فامر برفع الوطى والبسط حتى كشف الرخام فقعد ورب البيت على كرسيه قال اجلس ايها الشيخ كما احببت قال لا والله الا ان تنزل معي على هذا المرمر وتنزل عن كرسيك قال فجلس وجلس

الملك معه فقال له الرجل قل حاجتك يا شيخ قال جاريتك التي دخلت
عليك آنفا اتبيعنيها قال وهل لك ما تبتاعها به قال وما ثمنها قال ان
من شانها وقدرها وحالها كذا وكذا انها تساوى كذا وكذا الف قال
ما بيني وبينك في قيمتها الا يسير ثمنها عندي نواتان مسوستان قال
فضحك وضحكت الجارية من وراء الستر وضحك خدمة الدار قال
مالك وما اضحككم قال وكيف كان ثمنها عندك بهذه الخساسة قال
لكثرة عيوبها قال وما علمك بها قال انا اعلمك بعيبها ما تعلم به
على بها قال فقل قال فانها ان لم تتعطر دفرت وان لم تستك بخرت
وان لم تغتسل وضرت وان لم تمشط وتدهن قملت وشعثت وان
تعمر عما قليل هرمت فذات بخر ودفر وبصاق ومخاط وقمل وشعث
وهرم وحيض وبول وغائط واقذار جمة وءافات بينات كيف لا تعلو
على بنواتين مسوستين فلعلها لا تود لك الا لنفسها ولا تحبك الا لتتمتع
بك وتنعمك بها لا تفي بوعدك ولا تصدق في ودك ولا يخلف عليها
احد الا راته مثلك وانا اجد بدون ما سالت في جاريتك من
الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور لو مزج بريقها الاجاج
لطاب ولو دعى ميت بكلامها لاجاب ولو بدا معصمها للشمس
لاظلمت دونه ولو برز لسواد الليل لسطع فيه نوره ولو واجهت
الافاق بحليها وحللها لتزخرفت ولو نفخ ريح ذوائبها الارض لارجت
العطر ولم تتعطر الشكلة ولو تصنعت لقسمت المتعشقة التي نشات
بين رياض المسك والزعفران وقصرت في اكنان النعيم وغذيت بماء
التسنيم فلا يكسف بالها ولا يتوقع ضدها فايهما احق برفعة الثمن
ايها المغبون قال التي والله وصفت قال فانها الموجودة بالثمن القريب
الخطب قال فما ثمنها رحمك الله قال اليسير المبذول ان تتفرغ ساعة

من ليلك فتقوم بركعتين تخلصهما لربك وان يوضع طعامك فتذكر جائعا
وتؤثره لله على شهوتك وان تخطر بالطريق فتعزل منه حجرا او مدرا
وان تحرك لسانك بطيب من الكلام ذاكرا وان تقطع ايامك بالبلغة
وترفع همك عن دار الغفلة فتعيش فى الدنيا بعز القنوع ربحا وتاتى غدا
الى موقف الكرامة ءامنا وتنزل على الملك الكبير مخلدا قال فما برح
الرجل ان قال يا جارية قالت لبيك يا مولاى قال اسمعت ما قال
شيخنا هذا قالت نعم سمعت قال اصدق ام كذب قالت بلى والله
صدق وبر ونصح قال فانت اذا حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا و
كذا عليك صدقة وانتم ايها الخدام احرار وضيعة كذا وكذا لكم
وهذه الدار صدقة بما فيها وجميع مالى فى السبيل وبسط يديه
الى ستر خشن كان على بعض ابوابه فاجتذبه فرمى به عليه فاستتر به
قالت الجارية لاعيش لى دونك فرمت بكسوتها ولبست ثوبا خشنا
فخرجت معه فودعهما مالك ودعى لهما قال واخذا طريقا واخذ مالك
ءاخر قال ناقل الحكاية فذكر انهما لم يزالا متعبدين لله تعالى
عاملين حتى لقيا الله تعالى على ذلك والله اعلم * * *

*(فصل فى الزهد) * ويروى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا اراد الله بعبد خيرا ازهده فى الدنيا وارغبه
فى الاخرة وبصره عيوب نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يؤتيه الله علما بغير
تعليم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من
النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد

فى الدنيا

فى الدنيا هانت عليه المصائب قال ابن عيينة الزهد ثلاثة احرف
زاي وهاء ودال فالزاي ان تترك زينة الدنيا ومعنى الهاء ان تترك هواها
ومعنى الدال ان تترك الدنيا باسرها فاذا كان هكذا فحينئذ يسمى زاهدا
وقال ابراهيم بن ادهم الزهد ثلاثة اصناف فزهد فرض وزهد
فضل وزهد سلامة فاما الزهد الفرض فالزهد فى الحرام والزهد
الفضل فالزهد فى الحلال والزهد السلامة فالزهد فى الشبهات
وقيل لبعض العلماء ما الزهد قال التقى وقال لم يزهد الرجل فى الدنيا
الا نطقت الحكمة على لسانه وقال بعض الحكماء الزهد زهدان زهد
فى الدنيا وزهد فى الرياسة فمن زهد فى الدنيا ولم يزهد فى الرياسة
لم ينفعه زهده فى الدنيا ومن زهد فى الرياسة كان فى الدنيا ازهد
وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال الزهد فى الدنيا راحة
القلب والجسد وعن ابى سليمان الدارانى قال ليس الزاهد من نفى
هموم الدنيا واستراح منها انما الزاهد من زهد فى الدنيا وتعب فيها
للآخرة وقيل لبعض العلماء ما راس الزهادة قال اخذ الاشياء من
حلها ووضعها فى حقها وقال بعض الحكماء الزهد فى الرياسة اشد من
الزهد فى الذهب والفضة لانه قد يبذل الذهب والفضة فى طلب
الرياسة وعن ابى سليمان قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال
فهو عليك مشوم وقال الزهد عندنا ترك كل شئ يشغلك عن الله
عز وجل وقال رجل لسفيان بن عيينه اشتهى ان ارى عالما زاهدا
قال سفيان ويحك تلك ضالة لا توجد وعن وهب بن منبه انه قال
ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون
وعزة الله لا يدخلها احد قبل الزاهدين فى الدنيا والعاشقين للجنة
وعن يحيى بن معاذ انه قال اذا رايت الزاهد يستريح الى طلب الرخص

فاعلم انه قد بدا له فى طلب الزهد وقيل له متى يكون الرجل زاهدًا
قال اذا بلغ حرصه فى ترك الدنيا كحرص الحريص على طلبها وقال
بعض السلف انى اشتهى من الله ثلاث خصال ان اموت يوم
اموت وليس فى ملكى درهم ولا يكون على دين ولا على عظمى لحم
فقيل انه اعطى ذلك وعن عبيدة بن عمير انه قال كان عيسى بن
مريم عليهما السلام ياكل الشجر ويلبس الشعر وليس له ولد يموت ولا
بيت يخرب ولا يدخر لغد اينما ادركه المساء نام وقيل لو اتخذت حمارا
فقال انا اكرم على الله من ان يشغلنى بحمار وروى انه كان ماشيًا
فى يوم صائف وقد مسته حر الشمس والعطش فجلس فى ظل خيمة
فخرج اليه صاحب الخيمة فقال يا عبد الله قم من ظلنا فقام عيسى
عليه السلام فقال لست انت الذى اقمتنى انما اقامنى الذى لم يرد
ان اصيب منها شيئا وقال يا معشر الحواريين انه من طلب الفردوس
فخبز الشعير والنوم فى المزابل مع الكلاب كثير وعن ابن عباس قال
سمعت ابا بكر الصديق رضى الله عنه يقول

اذا اردت شريف الناس كلهم ۞ فانظر الى ملك فى زي مسكين
ذاك الذى حسنت فى الناس سيرته ۞ وكان يصلح للدنيا وللدين

ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الزهد فقال
اما انه ليس باضاعة المال ولا بتحريم الحلال ولكن انما تكون بما فى يد
الله تعالى اوثق منك بما فى يديك وان يكون ثواب المصيبة ارجح
عندك من بقائها وقال بعض السلف من ضبط بطنه ضبط دينه
وكان بلية ابيكم آدم من اكلة وهى بليتكم الى يوم القيامة
وقد اختلف علماء السلف فى الزهد ما هو فمنهم من قال الزهد
انما هو فى الحرام لان الحلال مباح من قبل الله سبحانه وقيل

الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد وقال آخرون الزهد في الدنيا انما هو قصر الامل وقيل الزهد الثقة بالله مع الفقر وهذان القولان من امارات الزهد لا الزهد نفسه لانه لا يقوى العبد عن الزهد الا بقصر الامل والثقة بالله عز وجل وعن يحيى بن معاذ انه قال لا يبلغ احدكم حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاثة عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال بعضهم الزهد ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث زهد ما يشغل القلب عن الله تعالى وهو زهد العارفين وفي مثلهم قيل

فما صحبوا الايام الا تعففا ✽ وما وجدوا من حب سيدهم بدا
افاضيل صديقين اهل ولاية ✽ الى سيد السادات قد جعلوا القصدا
تحل عقد الصبر من كل صابر ✽ وما حلل الايام من عقدهم عقدا

وقال بعض الحكماء الزاهد نظره في الدنيا عبرة وكلامه فيها حكمة وسكوته فيها فكرة يصبر عند البلاء ويشكر عند الرخاء ويرضى بجميع القضاء وعن يحيى بن معاذ قال الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والزهد قرينه والحزن شانه والتقوى ارادته والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه * (فصل) * * اعلم ارشدك الله ان الزهد في الدنيا يفيد الانسان امرين احدهما كثرة العبادة فان الرغبة في الدنيا يشغل ظاهر الانسان بالطلب وباطنه بالمحبة لها وحديث النفس باشتغالها فالنفس واحدة والقلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فمهما اشتغل القلب بشيء انقطع عن ضده وعن ابي الدرداء انه قال حاولت الجمع بين

العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة
وعن عمر رضي الله عنه قال لو كانتا مجتمعتين لاحد غيري لاجتمعت
الى لما اعطاني الله من القوة فاذا كان الامر هكذا فاضربا لفانية
والسلام وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب
دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على
ما يفنى وقد روي عن سلمان الفارسي رحمه الله انه قال ان العبد
اذا زهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه في العبادة
فبان بهذا ان العبادة لا تكثر ولا تستقيم الا بالزهد والامر الثاني
الذي يفيد الزهد هو شرف العمل وعظم قدره به وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ركعتان من رجل زاهد قلبه خير
واحب الى الله من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا فاذا
كانت العبادة تشرف وتكثر بذلك فحق لمن طلب العبادة ان يزهد
في فضول الدنيا ويتجرد عنها وقد قال بعض العلماء الزهد زهدان
زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالذي هو مقدور ثلاثة
اشياء ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها
واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الدنيا على قلب
الزاهد ولكن الزهد الذي هو مقدور للعبد هو مقدمات الزهد
الذي هو غير مقدور له فاذا اتى به العبد بأن لا يطلب ما ليس عنده
من الدنيا ويفرق ما عنده فيها ويترك بالقلب ارادتها اورثه ذلك
برودة الدنيا على قلبه لاجل الله تعالى وعظيم ثوابه وهذا هو
الزهد الحقيقي والشان كله في الارادة قال الله سبحانه من كان
يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال من كان يريد العاجلة الآية
في امثالها اما ترى الاشارة كلها الى الارادة فالامر المهم اذا حب الدنيا

وارادتها لان حب الشئ يعمي ويصم لكن العبد اذا استقام على الاولين اعني الترك والتفريق فمأمول من فضل الله تعالى دفع هذه الارادة والحب عن قلبه اذ قال سبحانه وتعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية ثم الذي يبعث على الترك والتفريق ويهون ذلك على القلب ذكر آفات الدنيا وعيوبها اذ قال بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها وقال بعضهم ان الدنيا عدوة الله عز وجل ومن احب احدا ابغض عدوه والله اعلم ان كان يجوز هذا القول على الدنيا مجازا ام لا والاصل ان الدنيا في حقيقتها وسمة جيفة اذ كان آخرها الى القذر والتلاشي والاضمحلال لكنها جيفة ضمخت بطيب وكسيت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون اما الصالحون فزهدوا في حرامها ورأوه عذابا واما الصديقون فزهدوا في حلالها وراوه كالميتة لا يتناولونها الا بالضرورة فان قيل كيف تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها بمنزلة النار والميتة فطباعنا تقتضي حبها فاعلم ان من وفق للتوفيق وعلم آفاتها على التحقيق فانها تصير عنده كذلك وانما يتعجب بهذا الراغبون العميان على آفاتها المغترون بظاهرها ويتبين لك هذا بمثال وذلك لو ان انسانا صنع طعاما لذيذا ثم طرح فيه قطعة سم قاتل فابصر ذلك رجل ولم يبصره آخر ووضع بين ايديهما طيبا مزينا فالذي ابصر ذلك السم يكون عنده بمنزلة النار لما يعلم من آفاته لا يتناول منه على حال والرجل الجاهل بالسم حرص عليه ويتعجب من صاحبه بل ربما سفهه فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء المستقيمين والجهال الراغبين فان لم يطرح فيها السم ولكن بزق فيه وامتخط ثم ضمخه وزينه فالذي شاهد منه ذلك الفعل يستقذره وينفر عنه ولا يكاد

يتقدم عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بآفاته مغتر بظاهره حريص عليه فهذا مثل حلال الدنيا مع اهل البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع تساويهما في الطبع لعلم كان لاحدهما وجهل كان مع الآخر فان قيل لابد لنا من قوت يكون لنا قواما فكيف نزهد في الدنيا فاعلم ان الزهد في الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام البنية وانما المقصود بالقوة التقوية على العبادة فان سكنتك ارادتك فالله تعالى يقويك على العبادة بما شاء كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية وان لم يتقو على ذلك وطلبت واردت فانو بذلك العدة والتقوى على الطاعة دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للآخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح ذلك في الزهد والتوكل والله تعالى نسأله العون والتوفيق لما يحبه ويرضاه تمت القنطرة الثامنة بحمد الله وحسن عونه والصلاة على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

القنطرة التاسعة من الكتاب قنطرة الخلق

اعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق ابن آدم لعبادته ❊ وكلفه العمل بطاعته ❊ فكان مفتقرا الى الاجتماع مع جنسه ❊ محتاجا الى الاستمتاع بانسه ❊ لتدوم به الالفة الجامعة ❊ وتحدث بسببه اجتماعهم الذرية النافعة ❊ فافتقروا الى ابنية محكمة ❊ وبيوت متميزة ❊ لتفرد كل انسان باهله ❊ ويتميز من غيره ما كان من

نسله ❊ فاضطروا الى الخلطة والتالف ❊ ولن يصلحوا الا على التعاون والتعفف ❊ لان الانسان مقصود بالاذية ❊ محسود بالنعمة ❊ فاذا لم يكن الفا مالوفا ❊ وبالمعونة معروفا ❊ تخطته ايدى حاسديه ❊ و تحكمت فيه اهواء اعاديه ❊ فلم تسلم له نعمة ❊ ولم تصف له مودة ❊ فاذا كان الفا مالوفا ❊ وببذل المعونة موصوفا انتصر بالالفة على اعدائه ❊ واستظهر باهل معروفه على حساده ❊ فسلمت نعمته منهم وصفت مودته عنهم ❊ وان كان صفو الزمان عسرا ❊ وسلمه خطرا ❊ وقد روي عن جابر بن زيد رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف وخير الناس انفعهم للناس واذا كانت الالفة بها يجمع الله الشمل ويظهر من اجلها التعاون والوصل والتناصر والبذل ويمتنع بها الانسان من الذل ويكسب بها انواع الفضل اقتضت الحكمة ذكر اسبابها مشروحة بابوابها واسباب الالفة ثمانية وهي الدين والنسب والمصاهرة والجوار والملك والاخاء والمروءة و الافضال ونحن نشرحها ان شاء الله في ثمانية ابواب

﴿الباب الاول في الدين﴾

وهو الاول من اسباب الالفة فانه يبعث على التناصر ويمنع من التقاطع والتدابر قال الله سبحانه ممتنا على نبيه عليه السلام هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم الآية وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا

وان تعتصموا بحبله جميعا ولا تتفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويكره لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال وكل هذا منه حث على الالفة والعرب تقول من قل ذل وينشد لقيس بن عاصم

ان القداح اذا اجتمعن فرامها ❊ بالكسر ذو حنق وبطش ايد
عزت ولم تكسر وان هي بددت ❊ فالوهن والتكسير للمتبدد

فلما كان غير الدين يقتضي الالفة كان الدين اولى واحق وبمثل ذلك وصى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا قد كان بين الاوس والخزرج من الاختلاف والتباين اكثر ما كان في غيرهم الى ان اسلموا فذهبت احنهم وانقطعت عداوتهم فصاروا بالاسلام اخوانا متواصلين وبالفة الدين اعوانا متناصرين قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء يعني في الجاهلية فالف بين قلوبكم بالاسلام وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يعني محبة في قلوب الناس وعلى حسب التالف على الدين تكون العداوة فيه اذا اختلف باهله فان المسلم قد يقطع في الدين من كان به براوعليه مشفقا هذا ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل اباه يوم بدر واتى براسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله ولرسوله حين بقي على شركه تغليبا للدين على النسب وطاعة لله على طاعة الاب وفيه انزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله الى قوله وايدهم بروح منه فلما كان الدين بهذه المنزلة اقتضى بين اهله حقوقا لا محالة ونحن نجمع ذلك في ستة فصول ❊ (الفصل الاول)

في الولاية

فى الولايـة والمحبة لهم والعداوة والبغض لمن خالفهم وهما من اوثق عرى الاسلام قال الله سبحانه استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال ايضا والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية فكما تجب الولاية لهم فكذلك تجب العداوة والبراءة ممن خالفهم قال الله سبحانه لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقال لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء الى قوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون وقال يخبر عن ابراهيم الخليل اذ قال لابيه وقومه انا برآء منكم الى قوله حتى تؤمنوا بالله وحده فى امثالها من الايات واما الاخبار فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابن مسعود اى عرى الاسلام اوثق قال الله ورسوله اعلم قال عليه السلام الحب فى الله والبغض فى الله وهما حقيقة الايمان عند اصحابنا ومن لم يدن بهما عندهم فلا دين عنده وروى ان الله تعالى اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك فى الدنيا فقد استعجلت الراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بى ولكن هل واليت لى وليا او عاديت لى عدوا وعن عبد الله بن عمر انه قال والله لو صمت النهار لا افطر وقمت الليل لا انامه وانفقت مالى فى سبيل الله علقا علقا اموت يوم اموت وليس فى قلبى حب لاهل طاعته وبغض لاهل معصيته ما نفعنى ذلك شيئا وقال بعض العلماء من هجر فى ذات الله الاقرباء عوضه صحبة الاولياء وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم انى كنت اذا عصيتك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة منى اليك وقال بعض السلف فى بعض كلامه هل تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين باى عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته باي
رحم قاطع وصلته باي زلة لاخيك غفرتها باى قريب باعدته فى الله
باي بعيد قاربته فى الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض
خطبه انه من اعطى لله ومنع لله واحب فى الله وابغض فى الله فقد استكمل
خصائل الايمان وروى ان الله عزوجل اوحى الى موسى بن عمران
عليه السلام هل عملت لى عملا قط قال اللهم صليت لك وصمت
لك وتصدقت قال الله عزوجل ان الصلاة لك برهان والصوم لك
جنة والصدقة ظل والذكر نور فاى عمل عملت لى قال موسى عليه السلام
الهى دلنى على عمل هو لك حتى اتيه قال يا موسى هل واليت لى وليا او
عاديت لى عدوا قط فاعلم يا موسى ان افضل الاعمال الحب فى الله
والبغض فى الله وعن الحسن قال مصارمة الفاسق قربة الى الله
تعالى وعنه ايضا قال لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك
لا تلحق الابرار الا باعمالهم وان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم
وليسوا معهم وروى ان الله عزوجل اوحى الى عيسى عليه السلام
لو انك عبدتنى بعبادة اهل السموات والارض وحب فى الله ليس معك
وبغض فى الله ليس معك ما اغنى ذلك عنك شيئا وعن ابن مسعود
رحمه الله انه قال لو ان رجلا اقام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين
سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب وروى عن كعب الاحبار
انه قال ان الله عزوجل كتب كلمتين ووضعهما تحت العرش قبل ان
يخلق الخلق لم تعلم الملائكة بهما وانا اعلم بهما قال يا ابا اسحاق
وما هما قال احداهما كتب لو ان رجلا يعمل عمل جميع العالمين بعد
ان تكون صحبته مع الفجار انا الذى اجعل عمله اثما واحشره مع
الفجار والاخرى لو ان رجلا يعمل عمل جميع الاشرار بعد ان تكون

صحبته مع الصالحين والابرار ومحبتهم فانا الذي اجعل اثمه حسنات واحشره يوم القيامة مع الابرار والصالحين ويروى عن عيسى عليه السلام انه قال تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله ولابد في الولاية للمسلمين من اعتقاد الحب لهم في القلوب واظهار الاستغفار لهم باللسان وكذلك في البراءة من الكفار لابد فيها من اعتقاد البغض لهم في القلوب واظهار الشتم لهم باللسان وقد ذكرنا شروط الولاية والبراءة واقسامهما في كتاب قواعد الاسلام فاقتصرنا في هذا الكتاب على ذكر الحقوق وبالله التوفيق *

الفصل الثاني في السلام

وهو من حقوق اهل الاسلام والابتداء به سنة ورده واجب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا افلا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وفي حديث آخر الا ادلكم على شيئين اذا فعلتموهما تحاببتم افشوا السلام بينكم وتهادوا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ثلاثة يثبتن الود في قلب اخيك تسلم عليه اذا لقيته وتتزحزح له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه وعن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال اذا سلم المسلم على المسلم ورد عليه صلت عليه الملائكة
سبعين مرة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الملائكة تتعجب
من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزى
عنهم وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال السلام اسم من اسماء
الله عز وجل وضعه في الارض فافشوه بينكم فان المسلم اذا مر
بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كانت له عليهم فضيلة ودرجة
لانه ذكرهم السلام فان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم
واطيب الملائكة عليهم السلام وعن قتادة انه قال كانت تحية
من كان قبلكم السجود فاعطى الله عز وجل هذه الامة السلام وهي
تحية اهل الجنة قال الله سبحانه وتعالى تحيتهم فيها سلام وقال
ايضا الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار وكان بعض السلف يمر بالقوم ولا يسلم عليهم
فقيل له في ذلك فقال اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة وذكر
عن جابر بن زيد رحمه الله انه لا يسلم على من لا يرد السلام من الجبابرة
فقيل له في ذلك قال لئلا يكون مني سبب تضييع الفريضة وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انهوا السلام الى حيث انتهته
الملائكة يريد الى قوله ورحمة الله وبركاته وروي ان رجلا قال
السلام عليكم قال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام
عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة ثم جاء ثالث فقال
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال عليه السلام ثلاثون حسنة
ويقال ايضا اذا رد عليه عليكم السلام ورحمة الله وبركاته
كتب له زاد ثلاثون حسنة ويقال من سلم على المسلم فهو كمن اعتق رقبة

ويقال السلام بين الناس امان يطمئنون به فيما بينهم وذكر في معنى
السلام عليك اي الله شهيد رقيب عليك فاتقه وكذلك معنى قول
الاخر اذا رد عليه اي عليك بالله فاتقه ويجوز ان يسلم الانسان
على جميع اهل التوحيد البلغ العقلاء الا ما استخصوه من اهل المعاصي
والملاهي في حالتهم تلك ومانع الحق والطاعن في الدين والمراة العاصية
لزوجها والعبد الابق واهل الفتنة كلهم والمبتدع في الدين ولا يسلم على
اهل الشرك وان سلم احد من اليهود فليرد عليه وليقل عليك مثل
ما قلت ومن سلم على ذمي وهو لا يعلم فلا شيء عليه وقيل يقول له رد
على سلامي ولا يسلم على من كان مشتغلا بالخلاء او بالاذان
او بالاقامة او بالصلاة او بقراءة القران او الكتاب او كان في مجلس
الذكر او في المسجد ومن سلم على هؤلاء فليس عليهم ان يردوا عليه
وقيل من امكنه الرد منهم مثل من كان في المسجد او في المجلس فليرد
وقيل ان احق بالسلام من كان في المسجد او في المجلس او في ذكر
الله تعالى واختلف في السلام على الاطفال وقيل ان عمر رضي الله
عنه كان يسلم عليهم واما العبيد وذوات المحارم من النساء فلا
باس بالسلام عليهم واما غير ذوات المحارم من النساء فلا يسلم عليهن الرجل
في غير المنزل لما يخاف من الريبة وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه انه سلم على امراة فنهرته فقالت له ان كلام الرجال الى
النساء كصهيل الخيل الى الرماك ولكن ان لم يسترب كل واحد من
الرجل والمراة صاحبه فليسلم عليه والسلام انما يكون قبل الكلام
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من بدا بالكلام
قبل السلام فلا تجبه حتى يبدا بالسلام وقال بعضهم دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم فقال عليه السلام ارجع

وقل السلام عليكم وادخل

﴿الفصل الثالث في الاستئذان﴾

قال الله سبحانه وتعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها الى قوله فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى
لكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يدخل
دارا من دار المسلمين سلم ثلاثا من خارج يقول السلام عليكم اادخل
فان اذنوا له والا رجع وقال عليه السلام الاستئذان ثلاثا فان
اذنوا لك والا فارجع فالاول يستنصتون والثاني يستصلحون
والثالث ياذنون او يردون ولا يجوز لاحد من العقلاء ان يدخل بيتا
مسكونا حتى يستاذن وان كان غير مسكون فلا باس قال الله تعالى
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم
يعني منفعة من الحر والبرد فكل من دخل بيت غيره بغير اذنه فقد
عصى ربه وعلى من دخل عليه بغير اذن ان ينهاه عن الدخول بغير اذن
ويامره ان يخرج ثم يستاذن وان لم ينهه عن ذلك فقد عصى ربه
وان دخل بغير اذن ناسيا فليخرج ثم يستاذن وكذلك ان نسي
المدخول عليه بغير اذن ان ينهاه فاذا ذكر ذلك فليامره بالخروج ثم
يستاذن وكل بيت لا يدخل الا باذن لا يجوز لمن ينظر الى داخله وقد
قال عليه السلام انما جعل الاستئذان لاجل النظر وقال من نظر
من صير باب فقد دمر اي دخل ويقال النظر في بيوت الناس بغير اذنه
من الذنوب التي تحجب الدعاء وكل بيت لا تقطع يد السارق اذا سرق
منه لا يحتاج الانسان في دخوله الى الاستئذان وذلك مثل المسجد
والمدرسة وقصر العامة والفندق والحما والمعصرة وبيت الطاحونة

والحنوت

والحنوت ومجلس الذكر والصلاة ومجلس الحكم وبيت الصانع وما
اشبه ذلك وكل من اضطر بالعدو او السباع او البرد او الثلج
او بمعنى يخاف منه تلف نفسه فوجد بيتا لغيره فانه يستاذن ثم
يدخل اذنوا له او لم يأذنوا واختلفوا اذا خاف تلف ماله وكل
بيت كان فيه منكر مثل الخمر والنبيذ المسكر او خائن فيه او كان فيه مانع
الحق او من يضرب عياله جزافا فانه يجوز لمن اراد ان يغير ذلك
المنكر ان يدخل بغير استئذان وان اغلقوه فليكسره عليهم او منعوه
فليدخله على كره منهم وكذلك يدخل بغير اذن الى تنجية الانفس والاموال
وتجهيز الميت واشباه ذلك ويجوز الدخول باذن كل من كان في
بيت غيره حرا كان او عبدا طفلا كان او بالغا ذكرا كان او
انثى وبالله التوفيق

«الفصل الرابع في زيارة الاخوان»

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا زار
اخاه في الله فارسل الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور
اخي فلانا قال لحاجة لك عنده قال لا قال فلقرابة بينك وبينه
قال لا قال فلنعمة لك عنده قال لا قال فبم قال احبه في الله قال
فان الله ارسلني اليك ابشرك فانه يحبك بحبك اياه فيه واوجب
لك الجنة وروى انه ما زار رجل اخا له في الله شوقا اليه ورغبة
في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وتبوأت
من الجنة منزلا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله عز وجل وجبت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي
للذين يتعارفون من اجلي وحقت محبتي للذين يتصافحون من اجلي

وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون
من اجلي وذكر عن الشيخ ابا مسور عمن حدث عنه انه قال اذا كان
التزاور بين قوم فقد تم لهم العزم والاجتهاد فيما كان بينهم وبين
خالقهم واذا لم يكن بينهم التزاور فقد تم عليهم الكسل فيما بينهم
وبين خالقهم فنعوذ بالله من الكسل والترك بعد الاجتهاد
وعن بعض المشايخ انه قال تزاوروا فانكم اذا تزاورتم تعارفتم
واذا تعارفتم تحاببتم واذا تحاببتم تواليتم فاذا تواليتم دخلتم الجنة
فاذا لم تتزاوروا لم تتعارفوا فان لم تتعارفوا لم تتحابوا فان لم
تتحابوا تتعادوا فاذا تعاديتم دخلتم النار وعن ابي صالح انه قال
ثلاثة لا توجد في اهل اخر الزمان التزاور في الله وقراءة القران
لما عند الله وكثرة الدعاء الى الله والتضرع اليه ويقال من مشي
للزيارة تورث له سبعة اميال من ست جهات الى السماء السابعة
من فوق والى الارض السابعة من تحت ويقال من زار اخاه في الله
ففرش له فراشا فرش الله له سبعين فراشا في الجنة واذا اطعمه
طعاما اطعمه الله في الجنة سبعين طعاما واذا علف دابته فله
بكل حبة حسنة واذا امسك له الركاب ركبه الله على سبعين
مهرا في الجنة وغفر له اربعين كبيرة والله اعلم وقد روي عن
داود الطائي ان رجلا زاره فقال له ما جاء بك قال زيارتك
قال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل لي
انا اذا قيل لي من انت فتزار من العباد انت لا والله امن الزهاد انت
لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل على نفسه يوبخها ويقول
كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائي اشد
من الفاسق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح اجناد

مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف واخذه
بعض الشعراء فقال

ان القلوب لاجناد مجندة * لله فى الارض بالاهواء تعترف
فما تعارف منها فهو متالف * فما تناكر منها فهو مختلف

وبالله التوفيق

فصل فى اخوان السوء

وعن الاعمش قال ادركت اقواما كان رجل منهم لايلقا اخاه شهرا
او شهرين فاذا القيه لم يزده كيف انت وكيف الحال ولوساله شطر
ماله لاعطاه اياه ثم ادركت اقواما لوكان احدهم لايلقى اخاه يوما
لساله عن الدجاجة فى البيت ولوساله حبة من ماله لمنعه اياها
وعن يحيى بن معاذ انه قال بئس الصديق صديقا تحتاج معه
الى المدارات وبئس الصديق صديقا يلجئك الى الاعتذار وبئس
الصديق صديقا تحتاج ان تقول له اذكرنى فى دعائك وسأل
رجل الثورى عن الاخوة فى الله فقال يا اخى تلك الطريق نبت
عليها العوسج وقال مالك بن دينار وجدت اخوة زماننا
مثل مرقة الطباخ طيبة الريح لاطعم لها وهكذا اخوة زماننا
وليتهم كانوا هكذا ولكنهم اخوان العلانية اعداء السريرة ان
رضوا فظاهرهم الملق وان غضبوا فباطنهم الحنق والله المستعان

الفصل الخامس فى عيادة المرضى

يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من عاد مريضا
قعد فى مخاريف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك

يصلون عليه حتى الليل وقال عليه السلام اذا عاد الرجل المريض ابتغاء وجه الله خاض في الرحمة فاذا قعد عنده استنقع فيها استنقاعا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مرض العبد بعث الله ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك وهو اعلم فيقول قولا لعبدي على ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا اشفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من يرد الله به خيرا يصب منه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الحمى فانها والذي نفسي بيده تذهب بذنوب المؤمن كما تذهب النار خبث الحديد ويروى ان من وعك يوما فلم يشتك به ربه سقي يوم الظما وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وستر الله عليه في الاخرة كما ستر على بلاء الله عنده في الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الذي انزل الداء انزل الدواء وعن عثمان بن عفان انه قال مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد مرارا وروي انه صلى الله عليه وسلم دخل على علي بن ابي طالب وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسالك تعجيل عافيتك وصبرا على بلائك او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانه ستعطى احداهن وعن الربيع بن خيثم انه قال ليس للمريض عندنا الا العسل وللنفساء الا الرطب واظن هذا ماخوذ من قوله تعالى في النحل يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقال في النفساء وهي مريم اذ نفست بعيسى عليه السلام وهزي اليك

بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وعن علي بن ابي طالب
انه قال اذا اشتكى احدكم بطنه فليسال امراته شيئا من صداقها
فليشتر به عسلا فيشربه بماء السماء فيجمع الله له الهني المري
والشفاء المبارك وروي عن جعفر بن محمد انه دخل على عليل يعوده
فقال له قل اللهم انك عيرت قوما فقلت قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا واعلم انك القادر
على كشف ضري فاكشفه عني وحوله الى اعدائك الجاحدين لك
فقالها العليل فعفي من ساعته وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاد مريضا من وعك كان به فقال له ابشر فان الله عز
وجل يقول هي ناري اسلطها على عبدي المومن في الدنيا ليكون
حظه في الاخرة من النار وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
دخلتم على المريض فنفسوا له في الاجل فان ذلك لا يرد شيئا وهو
يطيب نفس المومن وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انين
المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه عبادة
ويكتب له احسن ما كان يعمل في صحته ويقوم ولا ذنب له وعن
سلمان الفارسي رحمه الله انه قال مرضت فعادني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمان كشف الله ضرك الى مدة
اجلك اما ان لك في مرضك ثلاث خصال اما اولهن فذكر
الله تعالى لك واما الثانية فتكفير الخطايا عنك واما الثالثة
فادع الله يا سلمان يجب دعوتك وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا دخلتم على مريض فمروه يدع لكم فان دعاء المريض
كدعاء الملائكة وروي ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى
الله عليه وسلم بهذه الرقية بسم الله ارقيك والله يشفيك

من كل داء يؤذيك ومن كل عين تبغيك خذها فلتهنيك وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا عاد مريضا مسح
بيده المباركة على وجهه وصدره يقول اذهب الباس رب الباس
اشف انت الشافي لا شفاء الا شفاءك شفاء لا يغادر سقما
ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من عاد مريضا فقال
بسم الله اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك شفاء
عوفي ان لم يكن حضر اجله وكان عبد الله بن المبارك يقول اقسمت
عليك ايتها العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله وبجلال جلال
الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبلا اله الا الله
وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة الا بالله وبمحمد
رسول الله الا ما انصرفت الى من كفر بالله وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب
فان ربكم يطعمهم ويسقيهم وقال بعض السلف اذا مرض العبد
المؤمن قيل لصاحب الشمال لا تكتب عليه سيئة وان عملها
وقيل لصاحب اليمين اكتب له احسن ما كان يعمل في الصحة
ويقال ان الرجل اذا اشتكى ثم عوفي فلم يحدث خيرا ولم يكف عن
سوء لقيت الملائكة بعضها بعضا فقالت ان فلانا داويناه فلم
ينفعه الدواء وروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه قيل له في مرضه الا ندعو لك طبيبا فقال قد راني الطبيب
قالوا له فاى شيء قال لك قال قال لي اني فعال لما اريد قال ومرض
ابو الدرداء فعادوه فقالوا له اي شيء تشتهيه قال الجنة قالوا
ندعو لك طبيبا قال هو اضجعني قال له رجل من اصحابه أتريد ان
اسامرك الليلة فقال له ابو الدرداء انت معافى وانا مبتلى فالعافيه

لاندعلك ان تسهر والبلاء لا يدعني ان انام اسال الله الذي لا اله الا
هو ان يهب لاهل العافية الشكر ولاهل البلاء الصبر قال ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب مريض فقال له كيف تجدك
قال يا رسول الله ارجو الله واخاف ذنوبي فقال له صلى الله عليه
وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموضع الا اعطاه الله ما يرجو
وامنه مما يخاف وعن عبيد الله بن عبيد قال عدت مريضا فقلت
له كيف تجدك فانشا يقول

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي * غداة قل الحاملون جنازتي
وعجل اهلي حفر قبري وصيروا * خروجي وتعجيلي اليه كرامتي
كانهم لم يعرفوا قط صورتي * غداة اتى يوم علي وساعتي

وقيل للربيع بن خثيم في مرضه الا ندعو لك طبيبا فتفكر ساعة
فقال اين عاد وثمود واصحاب الرس وقرون بين ذلك كثيرا قد كانت
فيهم الادواء وكانت لهم الاطباء فلا ارى المداوي بقي ولا المداوى
كل قد فني ومضى والله لا ادعو طبيبا ابدا والله اعلم * * *
وءاداب العائد خمسة * وهي خفة الجلسة وقلة السؤال
واظهار الرقة والدعاء له بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تمام
عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويساله
كيف هو وقال تمام تحيتكم المصافحة والله اعلم

الفصل السادس في جملة من حقوق المسلم

منها النصيحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قالها ثلاثا
قيل يا رسول الله لمن قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة

المسلمين وعامتهم وخاصتهم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن يحب لاخيه المؤمن ما يحب لنفسه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن مرآت اخيه فاذا راى به شيئا فليمطه عنه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قضى لاخيه المؤمن حاجة فكانما خدم الله عمره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اقر عين مؤمن اقر الله عينيه يوم القيامة وقال من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها اولم يقضها وجبت له الجنة او نحوها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من فرج عن مكروب او اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انصر اخاك ظالما او مظلوما فقال يارسول الله هذا انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تمنعه من الظلم وعنه صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من غيبة منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه من النار يوم القيامة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لايحل للمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلايحل لاحدهما ان يفشى على صاحبه مايكره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من استمع الى سر قوم وهم له كارهون صب في اذنه الانك يوم القيامة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لايؤمن احدكم بالله حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من احب الاعمال الى الله ادخال

السرور على المؤمن ان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعم من
جوع ومنها تشميت العاطس اذا حمد الله تعالى لقوله عليه
السلام اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك
فليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليه يهديكم الله ويصلح بالكم
وقال تشميت العاطس اذا عطس ثلاثا وان زاد فهو زكام ومنها
تشييع جنازته لقوله عليه السلام من شيع جنازة فله قيراط
وان اقام حتى يدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل جبل احد
ومنها ان يزور قبره والمقصود في ذلك الدعاء والاعتبار لقوله
صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه ومنها
ان يعزيه عن ميته والتعزية سنة (ومنها) توقير الكبير في الاسلام
ورحمة الصغير لقوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من يوقر كبيرنا
او يرحم صغيرنا وقال من اجلال الله اجلال ذي الشيبة في الاسلام
(ومنها) ان يستر عورات المسلم لقوله عليه السلام من ستر
عورات المسلم ستر الله عليه في الدنيا والاخرة (ومنها) اصلاح
ذات البين بين المسلمين لقوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم
وقوله او اصلاح بين الناس وقال عليه السلام افضل الصدقات
اصلاح ذات البين ومنها المواساات لقوله عليه السلام
ليس المؤمن من بات شبعانا وجاره جائع وقال عليه السلام
الاسلام ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك
وليس كف الاذى يقضي ما لزم من الحق في النصيحة واسداء الخير
فمن قنع بكف الاذى والسكوت عن الاخوان فليصحب اهل القبور
(ومنها) ان لا يقبل في المسلم ما يسمعه من اهل النميمة والحسد
فيه لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنباء فتبينوا الاية ومنها ان

لا يسيئ الظن بالمسلم لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا وقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين وقال عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ومنها ان لا يزيد في هجران المسلم مهما غضب عليه اكثر من ثلاثة ايام لقوله عليه السلام لا يحل للمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام والخصلة الجامعة لهذا الاداب والحقوق ان لا يستصغر احدا من المسلمين ولا ينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لدنياهم وهذا الذي قدمناه في اهل الولاية من اهل الوفاق دون الفساق واهل الخلاف ماخلا اداب المعاشرة فانها عامة لجميع الناس لقوله تعالى وقولوا للناس حسنا فهذه جملة من حقوق الاسلام اختصرناها مخافة التطويل وبالله التوفيق

الباب الثاني في حق النسب

وهو الثاني من اسباب الالفة فان تعاطف الارحام وحماية القرابة يبعثان على التناصر والالفة ويمنعان من التخاذل والفرقة انفة من استيلاء الاباعد على الاقارب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرحم اذا تماست تعاطفت ولذلك حفظت العرب انسابها لما امتنعت من سلطان يقهرها ويكف الاذى عنها لتكون بها متناصرة على من عاداها حتى بلغت بالفة الانساب وتناصرها عز الاقوياء ذوي السلطنة من الامراء وقد اعذر نبي الله لوط بنفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لو ان لي بكم

قوة اواوى الى ركن شديد يعني الى عشيرة مانعة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد يعني الله قال فما بعث الله بعده نبيا الا في ثروة من قومه وعن وهب بن منبه قال ولقد جاءت الرسل على لوط و قالوا ان ركنك لشديد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يترك المرء مفردا حتى يضم اليه قبيلة يكون منها كل ذلك منه حث على الالفة وكف عن الفرقة فاذا كان النسب بهذه المنزلة اقتضى بين اهله حقوق الابد من مراعاتها وقد تعرض لهذا عوارض تبعث على قطيعتها وجملة الانساب ثلاثة اقسام احدها والدون وهم الاباء والامهات والثاني مولودون وهم البنون والبنات والثالث مناسبون وهم القرابة والارحام ونحن نذكر ذلك ان شاء الله في ثلاثة فصول

الفصل الاول في حقوق الاباء والامهات وما يتنافيها من العقوق

والافات قال الله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا يعني برهما وقال تعالى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وروي عن النبي عليه السلام انه قال بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة يوجد ريحها مسيرة خمس مائة عام ولا يجد ريحها عاق لوالديه ولا قاطع رحم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحين الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحدا ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان

مفتوحين الى النار ومن امسي مثل ذلك ولوكان واحدا فواحد وان ظلما
وان ظلما وان ظلما وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
الا من اسخط والديه فقد اسخط الله ومن اغضبهما فقد اغضب
الله الا ان يامراك بمعصية الله وان امراك ان تخرج من مالك واهلك
بحق الله فاخرج وما من مسلم اعتقهما من الرق فانه ان كان مسلما
يرجى له ان يعتقه الله من النار وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يجزي ولد عن والده الا ان يجده مملوكا فيعتقه وعن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اقام الصلوات الخمس
ولم يركب الكبائر السبع نودي ان يدخل الجنة من اي باب شاء *
بسلام فقال رجل لابن عمر اهن من رسول الله قال نعم عقوق
الوالدين والشرك بالله وقذف المحصنات وقتل النفس التي حرم
الله الا بالحق والفرار من الزحف واكل مال اليتيم واكل الربا وروي
ان جبريل عليه السلام قال من ادرك احد والديه فدخل النار
ابعده الله قل يا محمد آمين فقال آمين وروي عن انس بن مالك
قال قلت يا رسول الله رغيف اتصدق به احب اليك ام مائة
ركعة تطوعا قال رغيف تتصدق به احب الي من مائتي ركعة
تطوعا قلت يا رسول الله قضاء حاجة للمسلم احب اليك ام مائتي
ركعة تطوعا قال قضاء حاجة للمسلم احب الي من الف ركعة
تطوعا قلت ترك لقمة من الحرام احب اليك ام الف ركعة
تطوعا قال ترك لقمة من الحرام احب الي من الفي ركعة
قال قلت يا رسول الله ترك الغيبة احب اليك ام الفي ركعة
قال ترك الغيبة احب الي من عشرة آلاف ركعة قال قلت
قضاء حاجة ارملة احب عندك ام عشرة آلاف ركعة قال

قضاء حاجة ارملة احب الي من ثلاثين الف ركعة قال قلت يا رسول الله الجلوس مع العيال افضل ام الجلوس في المسجد قال بل الجلوس مع العيال افضل من الاعتكاف في مسجدي هذا قلت يا رسول الله النفقة على العيال احب اليك ام النفقة في سبيل الله قال انفق درهما على العيال احب الي من انفق دينارا في سبيل الله قال قلت يا رسول الله بر الوالدين احب اليك ام عبادة الف سنة قال يا انس قد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا بر الوالدين احب الي من عبادة الفي سنة وقال عليه السلام من احزن والديه فقد عقهما ومن عقهما وجفاهما الى ماتا فيقال ان توبته ان يستغفر ربه من ذلك ويندم وامره الى الله وروى ان رجلا جاء الى ابن عباس او غيره من الصحابة فساله عن مثل ذلك فقال انظر ان كان لامك اخت فبرها او امها يعني جدته ام امه فبرها وقيل اذا ادى عنهما دينا او وصية بعد الموت فهو من برهما ويتوب الى الله تعالى وينشد

زر والديك وقف على قبريهما ❊ وكانني بك قد نقلت اليهما
لو كنت في القبر وكانا في البقا ❊ زارك حبوا لا على قدميهما
ماكان ذنبهما اليك وطالما ❊ منحاك محض الود من نفسيهما
كانا اذا سمعا انينك اسبلا ❊ دمعيهما جريا على خديهما
وتمنيا لو صادفا لك راحة ❊ بجميع ما يحويه ملك يديهما
فلتلحقنهما غدا او بعده ❊ حتما كما لحقا هما ابويهما
ولتقدمن على فعالك مثلما ❊ قدما هما ايضا على فعليهما

ويروى ان يعقوب عليه السلام لما دخل على يوسف عليه السلام لم يقم له فاوحى الله اليه تتعاظم ان تقوم لابيك فوعزتي وجلالي

لا اخرجت من صلبك نبيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ماذا على احدكم اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لابويه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجرهما من غير ان ينتقص من اجرهما شيء وقال عليه السلام بر الوالدة على الوالد ضعفان ودعوة الوالدة اسرع اجابة قيل يارسول الله لم ذلك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط ويروى ان الله سبحانه لما بعث موسى عليه السلام الى فرعون قال له قل له قولا لينا قال يارب اقول له قولا لينا وهذا قال فيك ما قال قال انه الذى رباك وانا اولى من كفايته عنك وينشد

خلل خليل ابيك وارع اخاه ❊ واعلم بان اخا ابيك اخاك
وبنيك ثم بني بنيك فكن بهم ❊ برا فان بني بنيك بنوك
والطف بجدك رحمة وتعطفا ❊ وارحم فان ابا ابيك ابوك

واعلم بان الاباء والامهات موسومون على سلامة احوالهم بخلقين احدهما لازم بالطبع وهو الحذر والاشفاق وذلك لا ينتقل عن الولد بحال والثانى حادث باكتساب وهو المحبة التى تنمي مع الاوقات وتتغير مع تغير الحالات اما الذى هو لازم بالطبع فقد يكسب للوالدين اوصافا وقد قال عيسى عليه السلام الولد مبخلة مجهلة مجبنة محزنة فاخبر ان الحذر عليه يكسب هذه الاوصاف وقال ايضا لكل شيء ثمرة وثمرة القلب الولد واما المحبة فقد قال عليه السلام الولد انوط يعني ان حبه يتعلق بنياط القلب فان انصرف الوالد عن حب ولده فليس ذلك لبغض منه ولكن لسلوة حدثت من عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذى لا يزول عنه واختلف المشايخ في الابوين ايهما اعظم حقا فقال

بعضهم الاب اعظم حقا ويمكن ان تكون حجتهم قوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقال عليه السلام افضل ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ولم يقل ذلك للام وقد روي ان رجلا كلم اباه وهو شيخ كبير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان هذا يعني اباه ياخذ مالي وينفقه على عياله فبكى الشيخ فقال اي عيال هو يا رسول الله انما هي امه واخته فانشا يقول مخاطبا لابنه

* غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما اجني عليك وتنهل *
* اذا ليلة نابتك بالشكو لم ابت * لشكوى الا ساهرا اتململ *
* كاني انا المطروق دونك بالذي * طرقت به دوني فعيني تهمل *
* فلما بلغت السن والغاية التي * اليها مدا ما كنت فيك اؤمل *
* جعلت جزائي غلظة وفظاظة * كانك انت المنعم المتفضل *
* فليتك اذ لم ترع حق ابوتي * فعلت كما الجار المجاور يفعل *
* واليتني حق الجوار ولم تكن * علي بمال دون مالك تبخل *
* وسميتني باسم المفند رايه * وفي رايك التفنيد لو كنت تعقل *

فرق له النبي صلى الله عليه وسلم فقال انت ومالك لابيك وقال الاخرون الام اعظم حقا لما باشرت من الولادة وقاست من التربية وقد حملته في بطنها وغذته بلبنها وافرشته حجرها واولته الخير والشفقة حين لا يطيق لنفسه دفعا ولا حيلة ولا نفعا وانها ارق قلبا والين نفسا وبحسب ذلك يجب ان يكون التعطف من الولد عليها اوفر جزاء لفعلها وكفاء لحقها وان كان الله تعالى قد اشركهما في البر وجمع بينهما في الوصية فقال ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقد روي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال ان لي اما انا مطيتها اقعدها على ظهري ولا اصرف عنها وجهي وارد اليها كسبي فهل جازيتها قال لا ولا بزفرة واحدة قال ولم قال لانها كانت تخدمك وتحب حياتك وانت تخدمها وتحب موتها وعن الحسن البصري انه قال حق الوالد اعظم وبر الوالدة الزم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انهاكم عن عقوق الامهات ووادا البنات وعن منع وهات وعن خالد بن معد عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم باباتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب وعن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله من احق الناس مني بحسن الصحبة قال امك فقلت ثم من قال امك فقلت ثم من قال امك قلت ثم من قال ابوك وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نمت فرايت الجنة فسمعت صوت قارئ يقرا فقلت من هذا فقالوا هذا حارثة بن النعمان وكان من ابر الناس بامه فقلت كذلكم البر كذلكم البر وروي ان اباهريرة كان اذا غدا من منزله لبس ثيابه ووقف على امه فقال السلام عليك يا اماه ورحمة الله وبركاته جزاك الله عني خيرا كما ربيتني صغيرا وترد عليه وانت يا بني جزاك الله عني خيرا كما بررتني كبيرا ثم يخرج واذا رجع فعل مثل ذلك وقيل لعمرو بن دينار كيف كان بر ابنك لك قال ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي وما مشيت ليلا قط الا مشى امامي ولا رقي سطحا وانا تحته وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هل تعلمون اى نفقة افضل من نفقة في سبيل الله قالوا الله ورسوله اعلم قال نفقة الولد على الوالدين وكان يقول من وقر ابا ما طيل في ايامه ومن وقر امه

دى فى بيته ما يسره ومن احد النظر الى ابويه فقد عقهما وقيل
اذا صلح قميص الوالد على الولد تمنى موته وذكر ان امراة برت
اباها فى كبره وكانت تحمله على ظهرها فمرت بعمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال لها من هذا قالت ابى قال لها لو مهدت له لكان اوطى
عليه قالت له فالصبي اذا جاع انطفى وانى لاكره ان اودعه فى المنزل
فيجوع ولا اعلم به وانى لاصغر اولاده وان له لماية سنة وانى لبكر وقد
ادر الله عز وجل ثديي لبنا فاذا جاع ارضعته من قريب فقال عمر لاصحابه
اترون ما بلغت هذه المراة فى برابيها قالوا نعم قالت يا عمر ما بلغت
به قال وكيف قالت انى كنت فى مثل حاله صغيرة يتمنى بقائى واتمنى
موته فقال عمر انت افقه من عمر والله اعلم وجملة حقوق
الوالدين ان يبرهما احياء واموات ابرارا كانا او فجارا اما فى الحيا
فلزوم طاعتهما واجابة دعوتهما وخفض جناح الرحمة لهما
وتعاهدهما بالسلام عليهما والقيام بحوائجهما ولا يخرج من امرهما
ورايهما الا ان تبين له الرشد فى خلاف رايهما وان كانا فقيرين
اعانهما بنفسه وواساهما بما له ويا ثرهما على نفسه ويتولاهما ان
كانا اهلا للولاية والا فلا يظهر البراءة فى وجوههما ولا ينظر شزرا
اليهما ولا يمسك على انفه ان شم سوء رائحة منهما ويمتثل امرهما
الا ان امراه بمعصية من ترك صلاة او صوم او ترك تعلم ما يلزمه
من امر دينه وارتكاب محرم او امراه بترك ما يحل له من النكاح
والبيع والشراء وكسب ما لا بد منه من الحلال فلا يضيق عليه
خلافهما لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق
فى معصية الخالق وقال تعالى وان جاهداك لتشرك بى ما ليس
لك به علم فلا تطعهما الاية وعنه عليه السلام انه قال لابى هريرة

لا تشتم والديك حيين ولا ميتين قال قلت يا رسول الله كيف
اشتمهما ميتين ولا اراهما قال اذا شتمت امهات الرجال شتموهما
فانت اذا شتمتهما اذا تعرضت لشتمهما واما حقهما بعد موتهما فهو
ما روي ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله هل بقي علي من بر ابوي شيء ابرهما به قال نعم الصلاة عليهما و
الاستغفار لهما وهذا ان كانا متوليين قال وانفاذ عهدهما واكرام
صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما فان عقهما في حياتهما
وادى عنهما هذه الحقوق بعد موتهما فقد برهما بعد التوبة والاستغفار
من تضييع واجب الحق لهما والله اعلم

الفصل الثاني في حقوق الاولاد *

اعلم ان الاولاد وبنيهم مختصون ايضا مع سلامتهم بخلقين
احدهما لازم وهو الالفة للاباء وذلك في مقابلة اشفاقهم
على الابناء وقد لحظ هذا المعنى ابو تمام فقال

فاصبحت يلقاني الزمان من اجله * باعظام مولود واشفاق والد

والثاني خلق منتقل وهو الاذلال على الاباء وذلك في مقابلة محبتهم
للابناء لان المحبة بالاباء اخص والاذلال بالابناء امس وقد روي
عن عمر رضي الله عنه انه قال قلت يا رسول الله ما لنا نرق على اولادنا
ولا يرقون علينا قال لانا ولدناهم ولم يلدونا ثم الاذلال
في الابناء قد ينتقل مع الكبر الى احد الامرين اما الى البر والاعظام
واما الى الجفاء والعقوق فان كان الولد رشيدا او كان الوالد برا عطوفا
صار الاذلال برا واعظاما وان كان الولد غاويا والوالد جافيا صار
الاذلال قطيعة وعقوقا * فلما كان الامرين الوالد والولد

على ما وصفنا وجب على الوالد حق ولده حتى يعطفه عليه وقد روى
عن عمر بن شرحبيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بحر بن عبد الله
ان حق الوالد على ولده ان يخشع له عند الغضب ويؤثره على نفسه
عند السعاية والنصب وقد تقدم في ذلك ما يكفي ويجب على
الوالد ايضا حق ولده حتى يبره الولد فيكون رشيدا بارا وقد
روى ان رجلا قال يا رسول الله من ابر قال بر والديك قال ليس
لي والدان قال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حقا فكذلك لولدك
عليك حق وقال عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده قيل
يعطيه ويحسن اليه حتى يبره وقال بعض العلماء انما سموا الابرار
ابرارا لانهم بروا الاباء والابناء وقد بشر عمر رضي الله عنه
بمولود فقال ريحانة اشمها ثم هي عن قريب ولد بارا وعدو ضار
وقال بعض الحكماء ولدك ريحانة سبعا وخادمك سبعا ووزيرك
سبعا ثم هو صديق او عدو وفي منثور الحكم العقوق ثكل من لم يثكل
وفي الحديث بروا آباءكم يبركم ابناءكم ويقال الادب من الاباء
والصلاح من الله وقيل في منثور الحكم من ادب ولده ارغم حاسده
ومن ادب ولده صغيرا سر به كبيرا وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من ابتلي بشيء من هذه البنات فاحسن اليهن
كن له سترا من النار وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان
للجنة بابا يسمى باب الفرح لا يدخله الا من يفرح الصبيان وقال
اكثروا قبل صبيانكم فان لكم بكل قبلة اجرا وقال من حمل طرفة من السوق
الى ولده كان كحامل صدقة وليبدا بالاناث قبل الذكور فان الله
يرق للبنات او للاناث ومن رق للانثى كان كمن بكى من خشية
الله ومن بكى من خشية الله غفر الله له ومن فرح انثى فرحه الله يوم

الحزن وقال من كان له ثلاث بنات او مثلهن من الاخوات فكفلهن
واعانهن وسترهن وجبت له الجنة قيل يا رسول الله واثنتان
قال واثنتان وقال اذا نظر الوالد الى ولده فسره كان له بكل
نظرة ثلاث ماية حسنة قيل فان نظر اليه في اليوم ثلاث ماية
نظرة قال ذلك اكثر واطيب وقال عليه السلام لا تدع على ولدك
بالموت لانه يورث الفقر وقيل شكى رجل الى ابن المبارك ولده فقال
هل دعوت عليه فقال نعم قال انت افسدته وقال عليه السلام
يلزم الوالدين من العقوق ما يلزم الولد من عقوقهما وروى ان
معاوية سال الاحنف بن قيس عن الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار
قلوبنا وعماد ظهورنا فنحن لهم ارض ذلولة وهم لنا سماء ظليلة
وبهم حصول كل جليلة وبهم نصل الى كل فضيلة فان طلبوا فاعطهم
وان غضبوا فارضهم يمحضونك ودهم ويحبونك جهدهم ولا تكن
عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك فقال معاوية انت والله
يا احنف لقد دخلت علي واني مملوء غيظا على يزيد وقد اصلحت له من
قلبي فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بالف
درهم ومايتي ثوب فبعث يزيد الى الاحنف بنصف ذلك
اعلم ان محبة الولد طبع وحدوثها حتم ولذلك قال بعض الحكماء
لرجل نظر الى ابنه يمشي امامه فقال اما انه ان عاش فتنك وان
مات احزنك وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بالك
تكره الولد فقال وما لي وللولد ان عاش كدني وان مات هدني
وعن محمد بن علي انه قال ان الله عز وجل رضي الاباء للابناء فحذرهم
فتنتهم ولم يوصهم بهم ولم يرض للاباء الابناء فاوصاهم بهم وانما
ذلك لان ابن الرجل عنده في حياته وخلفه بعد وفاته وسبب

لبقاء ذكره واتصال عقبه وقرة لعينه وثمرة قلبه وغيظ عدوه وقد روى ان رجلا اتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يتوكى على مخصرة وانشد

تركت اباك مرعشة يداه * وامك ما تسيغ لها شرابا
اذا غنت حمامة بطن وج * على بيضاتها ذكرت كلابا

وقال عمر رضي الله عنه وما ذاك قال وجهت ابني الى الشام مجاهدا فبكى عمر رضي الله عنه بكاء شديدا وكتب من ساعته الى يزيد ابن ابي سفيان ان يرحله فلما قدم على عمر قال له بر ابويك وكن معهما حتى يموتا وانشد في الولد

* لولا بنيات كزغب القطا * جمعن من بعض الى بعض *
* لكان لي مضطرب واسع * في الارض ذات الطول والعرض *
* وانما اولادنا بيننا * اكبادنا تمشي على الارض *

فلما كان اشفاق الوالدين على الولد بهذه الحالة ونزل بهما بهذه المنزلة كان يجب عليهما ان يعينا على برهما بالاحسان والتاديب له اليهما ويعرف واجب الحق لهما وتدوم الالفة بينهما وجملة حقوق الولد على والده ان يتزوج امه اولا من موضع لا يسب به وقال ابو الاسود الدؤلي لبنيه قد احسنت اليكم صغارا وكبارا وقبل ان تولدوا قالو وكيف احسنت الينا قبل ان نولد قال اخترت لكم من الامهات ما لا تسبون بها وانشد الرقاشي

فاول احساني اليك تخيري * لماجدة الاعراق باد عفافها

ثم يقوم بحقوق امه على الكمال مع حسن التاديب والصيانة عن الاهمال لئلا تطمح عينها الى غيره من الرجال فيكون ذلك سببا لفساد فراشه واختلال نسبه ثم اذا ولد سماه باحسن

الاسماء واصدقها فاحسنها اسماء الانبياء واصدقها عبد الله
وعبد الرحمن وان كان المولود سقطا لايدرى اذكر ام انثى فليسمه
باسم يجمع الذكر والانثى كحمزة وعمرة واشباه ذلك ويذبح عنه
شاة العقيقة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يعق عن الولد في اليوم السابع ويماط عنه الاذى ويقال يحلق راسه
ويتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة ويطلى بالزعفران بدلا
من فعل الجاهلية يطلونه بالدم ثم قال عليه السلام فاذا بلغ
ست سنين ادب واذا بلغ سبع سنين عزل عن فراشه فاذا بلغ
ثلاثة عشر ضرب على الصلاة وفي حديث آخر يؤمر بالصلاة
ابن ثمان ويضرب عليها ابن عشر ثم اذا بلغ ستة عشر
زوج ثم ياخذه بيده فيقول له قد ادبتك وعلمتك وانكحتك
اعوذ بالله من فتنتك وبالجملة ان الصبي امانة عند والديه
وقلبه طاهر كانه جوهرة خال من كل نقش وصورة قابل لكل
ما نقش فيه مائل اليه كما قال عليه السلام كل مولود يولد على
الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه فاذا
ادب وعود الشر اهمل اهمال البهائم ثم شقي وهلك
وكان الوزر على ابويه والولي عليه وقد قال تعالى قوا انفسكم
واهليكم نارا وقال عليه السلام ان اشد الناس عذابا
يوم القيامة من جهل اهل بيته امر الله * فمهما كان الاب
يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه من نار الآخرة اولى
واحق وذلك بان يؤدبه ويعلمه مكارم الاخلاق ووقت
ذلك اذا ظهر فيه اوائل الحيا فاذا كان يحتشم ويستحي ويترك
بعض الاحوال وليس ذلك الا باشراق نور العقل عليه فيرى

الخير منا عليه وسعدوا في الدنيا والآخرة وشاركه ابواه في ثوابه وكل معلم له واذا عود م

بعض الاشياء فيه مخالفة للبعض فيستحي من شئ دون شئ فينبغي
او لا ان لا يسترضع الا لبن امراة صالحة تاكل الحلال لان اللبن
الحرام اذا انبت منه البدن انعجنت طينته من الخبث فيميل الى ما
يناسبه من سوء الاخلاق ومهما ظهرت فيه مخائل التميز والحياء
فلا ينبغي ان يهمل بل يؤدب فيقال اول ما سبق اليه من الصفات
شره الطعام فيؤدبه فيه بان لا ياكل بشماله ويقول بسم الله
عند اخذه الى غير ذلك من اداب الطعام يطول شرحها ويعود
اكل الخبز في بعض الاوقات بلا ادام ويقبح عنده كثرة الاكل بان
يشبه صاحبه بالبهائم ولا يعود التنعم والرفاهة بل يعود القناعة
والايثار بالطعام لغيره وان ياكل اى طعام وجد ويلبس
اى لباس تيسر ويعوده الخشونة في الفراش والملبس والمطعم
ويحفظ من قرناء السوء ومن الصبيان الذين عودوا التنعم ولبس
الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يفسده ثم يعلمه
القرءان واحاديث النبي عليه السلام وحكايات الصالحين
واحوالهم لينغرس في قلبه حبهم ويحفظ من اللغو وقبيح الكلام ومن
اشعار العشاق ويعود التواضع في جلوسه ومشيه وجميع احواله
ويمنع من كثرة الكلام ويعود الادب في جميع الاحوال وتوقير الاكابر
والمشايخ واصل تاديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وتعليم
محاسن الاخلاق فان الصبي اذا اهمل في اول نشوه يخرج في الاكثر
رديء الاخلاق كذابا سروقا نماما لجوجا ذا فضول وشره وخبث
واشر وشيانة ومكر فاذا حفظ من ذلك كله ونشا على الادب
ومحاسن الاخلاق خرج اديبا فاضلا كيسا عاقلا وان اهمل في اول
نشوه حتى الف اللعب والفحش والوقاحة والرفاهة والتنعم والتفرج

نبا عن قبول الحق نبو الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامر
هي التي ينبغي ان تراعى وقد روي عن بعض زهاد قومنا يقال له
سهل التستري انه قال كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم
بالليل انظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما خالي الا
تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند
تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك لسانك الله معي
الله ناظري الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قله
كل ليلة تسع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قله في كل ليلة احدى
عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة
قال لي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك
في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة
في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر
اليه وشاهده كيف يعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو فبعث
بي الى المكتب فقلت اخشى ان يفترق علي همي ولاكن شارطوا
المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فحفظت القران وانا
ابن ست سنين او سبع وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير
اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسالة وانا ابن ثلاثة عشر سنة قال
فسالت ان يبعثوا بي الى البصرة ففعلوا فسالت علماءها فلم يشف
عني احد شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حمزة بن عبد
الله العبادي فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع
بكلامه وانا دب بادابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا
على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر
عليه عند السحر كل ليلة اوقية واحدة بحتا بلا ملح ولا ادام فكان

يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة قال وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله والله اعلم * فهكذا ينبغي ان يروض الانسان نفسه ويجاهد شهوته ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا الاية فالدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها واطعمتها انما هي ادوية المقصود بها التقوى على عبادة الله والموت منتظر عند كل ساعة والكيس العاقل من تزود من الدنيا الطاعة حتى تعظم عند الله درجته وتتسع في الجنة نعمته وبالله التوفيق ونسأله الهداية

الفصل الثالث في حق المناسبين للانسان

وهم من عدا الاباء والامهات من العصبة والقرابة والارحام والذي يختصون به هو المحبة الباعثة على نصرة الاقارب لئلا يستولي عليهم الاعداء من الاباعد والحمية ادنى رتبة من الالفة لان الالفة تمنع من التهظم والخمول معا والحمية تمنع من التهظم فليس لها في كراهية الخمول نصيبا الا ان يقترن بها ما يبعث على الالفة لانها معرضة لحسد الاقارب فان حرست حمية النسب بالمواصلة والمودة تاكد بها اسباب الالفة ولذلك قيل لبعض قريش ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال اخي اذا كان صديقا وان اهملت الحال بين المتناسبين ثقة بلحمة النسب واعتمادا على حمية الاقارب دون مواصلتها بالبر وحياطتها

عن اسباب الضير غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت المناسبة عداوة والمقاربة تباعدا ولذلك قال الكندى فى بعض رسائله الاب أبّ والولد كمد والاخ فخ والعم غم والخال وبال والاقارب عقارب وقال عبدالله بن المعتز

لحومهم لحمى وهم ياكلونه ❊ وما داهيات المرء الا اقاربه

ولاجل هذا المعنى امر الله بصلة الارحام واثنى على واصلها فقال والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب قال المفسرون هى الرحم التى امر الله بوصلها ويخشون ربهم فى قطعها ويخافون سوء الحساب فى المعاقبة عليها وقال تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام اى اتقوا الله بحقه والارحام بحقها فلا تقطعوها واوجب اللعنة على قطيعتها فقال فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم الاية وحث النبى صلى الله عليه وسلم على صلتها فقال صلوا ارحامكم ولو بالسلام وعن عبدالرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا الرحمن وهى الرحم شققت لها اسما من اسمائى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال صلة الرحم منماة للعدد مثراة للمال محبة فى الاهل منساة فى الاجل وعن على عنه صلى الله عليه وسلم انه قال صلة الرحم تزيد فى العمر قال فقلت يا رسول الله قال الله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فقال ان الله تعالى يخرج من صلبه ذرية يعملون بطاعته فيلحقه عملهم فذلك الزيادة فى العمر وفى الحديث اذا كان يوم القيامة

جاء الرحم

جاء الرحم فيتكلم بلسان طلق دلق بقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس اتقوا الله وصلوا ارحامكم فانه بقاء لكم في الدنيا وخير لكم في الاخرة وينشد لمحمد بن عبد الله الازدي

وحسبك من ذل وسوء صنيعة * مناواة ذي القربى وان قيل قاطع
ولكن اواسيه وانسى ذنوبه * لترجعه يوما على الرواجع

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب الاعمال الى الله تعالى الايمان بالله ثم صلة الرحم ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وابغض الاشياء اليه الكفر بالله ثم قطيعة الرحم ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وعن مالك بن دينار انه قال احذروا ثلاثا فانهن معلقات بالعرش النعمة تقول يا رب كفرت والامانة تقول يا رب اكلت والرحم يقول يا رب قطعت وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واسرع الشر عقوبة البغي وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال من كان قاطعا لرحمه فلا يصحبنا فخرج رجل من عنده ثم رجع فقال مالك قال كنت صارما لرحم لي فوصلته واعتبته فسر بذلك عليه السلام وقال عليه السلام في الرحم هي شجنة من الله تعالى قال ابو عبيدة يعني قرابة مشتبكة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال وجد في مقام ابراهيم عليه السلام كتاب مكتوب بالعبرانية اي انا الله ذو بكة خلقت الرحم فشققت له اسما من اسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ويروى ان رجلا قال يا رسول الله ان

لى اقارب اصل ويقطعون واحسن ويسيئون واعفوا فيظلمون افكافيهم بما يصنعون فقال عليه السلام لا وفي خبر آخر اذا يرفضكم الله جميعا ولكن اذا قطعوا فصل واذا اساؤا فاحسن واذا اظلموا فاعف ولن يزال من الله لك عليهم ظهير وقال بعض العلماء صلوا ارحامكم فانها لا تبلى عليها اصولكم ولا تهتظم عليها فروعكم ويقال من لم يصلح لاهله لم يصلح لك ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك وانشد لعبد الله بن الزبير

ولا يستوى في الحكم عبدان واصل ۞ وعبد لا رحام القرابة قاطع

وقال بعض البلغاء من وصل رحمه وصله الله ورحمه ومن اجار جاره واعانه اجاره الله واعانه ويقال من مشى الى قرابته اوذى محرم منه فسأله عنه اوزاره اعطاه الله اجر ماية شهيد وان سال عنه ووصله بنفسه وماله كان له بكل خطوة اربعون الف حسنة ورفع له بكل خطوة اربعون الف درجة وكانما عبد الله ماية سنة ومن مشى في قطيعة الرحم غضب الله عليه ولعنه وكان عليه من الوزر مالمن وصل الرحم من الاجر ويقال سر سنتين في صلة الوالدين وسر سنة في صلة الرحم

* * * (مسالة) * * * وقد اجمع الناس على وجوب صلة الاقارب والارحام واختلفوا في حدها فقيل القرابة مادون الشرك وقيل الى سبعة اباء وقيل الى خمسة آباء وقيل الى اربعة آباء قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فقيل جمع عليه السلام الى اربعة آباء وكذلك الارحام الى اربعة اباء ومن كتاب الضيا قال ابو محمد ليس لصلة الرحم حد يعرف ولكن على قدر النية والوصول الى ذلك متى قدر بنفسه وماله وتجب

على الانسان ان يصل قرابته وارحامه الاقرب فالاقرب
ويصل اجداده وهم بمنزلة الابوين ويصل اخوته وقد قال
عليه السلام حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد
على ولده وكذلك الاعمام يصلهم بما قدر عليه وقد قال
عليه السلام ردوا على ابى يعنى عمه العباس وقال انا
والعضباء للعباس كل ذلك يدل على تعظيم حق العم وجملة
حق القرابة ان يواسيهم الانسان بنفسه وماله اذا خاف
عليهم ان يهلكوا جوعا ويقال افضل الصلة ان يصلهم
بالهدايا واضعفها ان يرسل اليهم بالسلام وعليه ان يحضر
لفرحهم وحزنهم وان نهوه عن ذلك فلا يشتغل بهم
ويامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وان منعه خوف
من زيارتهم فليصلهم ولو بالسلام في الكتاب ولا
يجوز له ان يقطعهم ولو قطعوه ويقال ان عمر رضى الله عنه امر
الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما فعل ذلك لان التزاور
يوجب التراحم والتجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما
يؤدى ذلك الى القطيعة والعقوق ولذلك قيل من تباعد عن
قرابته دامت بينهم المودة ومن اراد ان يكثر عمله ويكون
حليما فاليجالس غير عشيرته ويقال من كان ممنوعا من صلة
قرابته فلينظر الى الجهة التى كانوا فيها فهو صلتهم والله اعلم
واحكم وقال بعض الحكماء العيادة بعد ثلاثة واجبة والتعزية
بعد ثلاثة تجديد المصيبة والتهنية بعد ثلاثة استخفاف
بالمودة وبالله التوفيق

* الباب الثالث فى المصاهرة *

وهي السبب الثالث من اسباب الالفة لانها استحداث مواصلة وتمازج مناسبة صدرا عن رغبة واختيار وانعقدا عن خير وايثار فاجتمع منها اسباب الالفة قال الله سبحانه ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة يعني بالمودة المحبة وبالرحمة الحنو والشفقة وهما من اوكد اسباب الالفة وقيل المودة النكاح والرحمة الولد وقد قال تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واختلفوا في الحفدة فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال هم اختان الرجل على بناته وعن ابن عباس رضي الله عنه هم ولد الرجل وولد ولده وقيل عنه انهم بنوا امراة الرجل من غيره وسموا حفدة لتحفدهم في الخدمة وسرعتهم في العمل ولم تزل العرب تجتذب البعداء وتتالف الاعداء بالمصاهرة حتى يرجع النافر موانسا ويصير العدو موالفا بل يصير الصهر الفة بين القبيلتين وموالات بين العشيرتين وحكي عن خالد بن يزيد بن معاوية انه قال كان ابغض خلق الله الي آل الزبير بن العوام حتى تزوجت ارملة منهم فصاروا احب الناس الي وفي ذلك يقول

احب بني العوام طرا لحبها ❊ ومن اجلها احببت اخوالها كلبا
وان تسلمي نسلم وان تتنصري ❊ يخط رجال بين اعينهم صلبا

ولذلك قيل الرجل على دين زوجته لما يجتذب لحبها من الموافقة والمتابعة واذا كانت المصاهرة بالنكاح بهذه المنزلة من الالفة كان ينبغي لنا ان نذكر الوجوه المطلوبة بالنكاح وطرفا من الحقوق التي يقتضيه على الانشراح ونحصر ذلك في ثلاثة فصول الاول في ذكر الوجوه المطلوبة بالنكاح والثاني في حقوق الزوجة

والثالث في حقوق الزوج

الفصل الاول في الوجوه المطلوبة بعقد النكاح

اعلم ان الانسان قد يبتغي بعقد النكاح احد خمسة اوجه وهي المال والجمال والدين والتعفف والالفة وقد روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المراة لاربع خصال لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فعليك بذات الدين تربت يداك ويقال لاتنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يفتنها ويؤذيها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها ويورث الفقر ناكحها ولا لعزها فلعل عزها يورثها الذل خاطبها وانكح المراة لدينها فان كان عقد النكاح لاجل المال فالمال اذا هو المنكوح فان وصل اليه فقد تقضى سبب الالفة اذ لا يقترن به غيره من الاسباب ولاسيما اذا غلب عليه حب الطمع وقل منه الوفاء وان لم يصل الى المال اعقبه ذلك استهانة للزوجة فصارت الوصلة فرقة والالفة عداوة ولذلك قيل من ودك لطمعه فيك ابغضك اذا آيس منك وان كان العقد رغبة في الجمال فذلك ادوم الفة من المال لان المال صفة زائلة والجمال صفة لازمة ولذلك قيل حسن الصورة اول السعادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعظم النساء بركة احسنهن وجها وارخصهن مهرا وان سلمت الحال من الادلال المفضي الى الملل استدامت الالفة وقد كانوا يكرهون الجمال البارع لما يخاف فيه من بلوى المنازعة كما روي ان رجلا شاور حكيما في التزويج فقال افعل واياك والجمال البارع فانه مرعى انيق قال الرجل وكيف قال كما قال

الاول

الشاعر

٥ ولن تصادف مرعى ممرعا ابدا * الا وجدت به اثار ماكول ٥

واما ما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ويتوقاه الحازم من عواقب الفتنة وقد قال بعض الحكماء اياك ومخالطة النساء فان لحظ المرأة سهم ولفظها سم ورأى بعض الحكماء صيادا يكلم امراة فقال يا صياد احذر ان تصاد ويقال ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه سمع امراة تقول

ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهى شم الرياحين

فقال عمر

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال لقمان لابنه يا بنى استعذ بالله من شرار النساء وكن من خيارهن على حذر فانهن لا يسرعن الى خير وهن الى الشر اسرع وعن اياس بن معاوية انه قال ما خلق الله خلقا اشر من النساء تصارعهن فيصرعن ويغلبن ولا يغلبن ما مثلهن الا كالجران وقعت عليه عقرك وان وقع عليك دمغك والناجى من شرهن قليل وقيل لبعض الحكماء اي السباع احسن صورة قال النساء ورئى بعض الحكماء راس امراة معلقا من على الشجرة فقال يا ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة ونظر بعض الحكماء الى رجل يريد العرس وقد زين داره وكتب على بابه لا يدخل هذا الباب شئ من الشر فقال له امراتك من اين تدخل وقال بعض الحكماء مقاساة سبعين شيطانا اسهل من امراة تطلب منك حظ نفسها وقال بعض الحكماء النساء فخ منصوب فليس يقع فيه الا من اغتر به وقال ولا ضرر اضر من الجهل ولا شر

اشر

اشر من النساء قالت ونظر الى امراة سقيمة وقال الشر بالشر
يكفى قال ونظر الى جنازة امراة والنساء خلفها يعولن ويويلن
وقال الشر يتوجع بفقد الشر ويقال النساء شر كلهن وشر
ما فيهن قلة الاستغناء عنهن قال المعرى

* دنيا الفتى هذه عدو * تغريك غدرا بمنصليها *
* غناه فيها عن الغوانى * اجمل من فقره اليها *

وقال بعض الحكماء الكيس من لم تصده النساء فانه ان وقع
قص جناحاه ولم ينتا ابدا وقال من اراد ان يقوى على
طلب الحكمة فليكف على تمليك النساء على نفسه
وقال المعرى

* توق النساء على عفة * ليجزيك الواحد القيم *
* فابكارهن ابكار البلا * وايمهن هي الليم *

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعس عبد المراة
وعن الحسن البصرى انه قال والله ما اصبح رجل يطيع امراة فيما
تهوى الا اكبه الله فى النار ومع هذا كله فان الامور لا تصلح الا
بالنساء وهن احفظ للبيوت واحصن للفروج وان كن سبب
التناسل والتكاثر كما قال عليه السلام تزوجوا فانى اكاثر بكم الامم
وقال ايضا النساء حاملات والدات مرضعات رحيمات
لولا ما يسئن الى ازواجهن لدخل مطيعاتهن الجنة والله اعلم
وان كان العقد رغبة فى الدين فهو اوثق العقود حالا وادومها
الفة واحمدها بدءا وعاقبة لان طالب الدين متبع له ومن اتبع
الدين انقاد له فاستقامت حاله وامن زلله ولذلك قال عليه
السلام فعليك بذات الدين تربت يداك ففيه تاويلان احدهما

تربت يداك ان لم تظفر بذات الدين والثاني انها كلمة تذكر للمبالغة ولا يراد به سوء كقولهم ما اشجعه قاتله الله فاذا كانت المراة متدينة استقامت بها العشرة ودامت لزوجها منها الالفة ولاسيما ان كان الزوج ذا سياسة ودين وقالت النبي صلى الله عليه وسلم خير ما اعطي المرء لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة وقال الله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال محمد بن كعب المراة الصالحة وفي الاخرة حسنة يعني الجنة وقال بعض العلماء المراة الصالحة ليست من الدنيا في شيء يعني انها تعين على الاخرة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ما اعطي المرء بعد ايمان بالله خيرا من امراة صالحة والله اعلم وان كان العقد رغبة في الالفة فهذا يكون على احد وجهين اما ان يقصد المكاثرة واجتماع الفريقين والمظافرة بتناصر الفئتين واما ان يقصد به تاليف اعداء متسلطين استكفافا لمعاداتهم وتسكينا لصولتهم وهذان الوجهان قد يكونان في الاماثل واهل المنازل وداعي الوجه الاول هو الرغبة وداعي الوجه الثاني هو الرهبة وهما سببان في غير المتناكحين فان استدام السبب دامت الالفة وان زال السبب بزوال الرغبة والرهبة خيف زوال الالفة الا ان ينظم اليها احد الاسباب الباعثة عليها والمقوية لها وان كان العقد رغبة في التعفف فهو الوجه الحقيقي المبتغى به عقد النكاح وما سواه فاسباب متعلقة به ومضافة اليه وروي لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها قالت النبي صلى الله عليه وسلم خلق الرجل من التراب وهمه في التراب وخلقت

المراة من الرجل وهمها فى الرجل وقال عليه السلام من تزوج
فقد احرز نصف دينه فليتق الله فى النصف الباقى وقال المتزوجون
هم المتطهرون المبرؤن من الخنا وقال شرار امتى عزابها
وكان عبد الله بن مسعود يقول فيما بلغنا لو لم يبق من عمرى الا عشرة
ايام لاحببت ان اتزوج ولا القى الله عازبا ويقال ان معاذ
بن جبل ماتت امراته فى الطاعون فقال زوجونى فانا اكره
ان القى الله وانا عازب وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لايتم
نسك الناسك الا بالتزويج وعن عمر رضى الله عنه انه قال
لايمنع النكاح الا عجز وفجور وروى ان شابا سال ابن عباس
من بعد ما خلا مجلسه فقال انى شاب وليس لى زوجة فربما خشيت
العنة على نفسى فاستمنى بيدى فاعرض عنه ابن عباس ثم قال
اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنى وروى ان ابن
عمر ربما كان يفطر على الجماع دفعا للوسواس وروى فى قوله
تعالى وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر على الجماع ويضعف عن
تركه وقيل فى قول الله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل
هى شدة الغلمة وفى نوادر التفسير فى قوله تعالى ومن شر غاسق
اذا وقب انه الذكر اذا قام وقال بعض السلف اذا قام
ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله او قال ثلثا دينه وروى ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال لعكاف بن وداعة الهلالى
يا عكاف الك زوجة قال لا قال فانت اذا من اخوان
الشياطين ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان
كنت منا فمن سنتنا النكاح فكان هذا منه حثا على التعفف
عن الفساد وباعثا على طلب المكاثرة بالاولاد ويروى ان

بلالا وصهيبا رحمهما الله اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم
فقيل لهما من انتما قال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب
كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله
وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان
رددتمونا فسبحان الله قالوا بل تزوجون والحمد لله وقال
صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بلال اسكت فقد صدقت فانكحك
الصدق فلما كان التعفف وطلب الولد هما الوجهان اللذان
وضع النكاح لاجلهما لزم حينئذ في عقد التعفف ان تراعى فيه
ثلاثة شروط * احدها * الدين المفضي الى الستر والعفاف
المؤدي الى القناعة والكفاف ولذلك قال ابو هريرة لا يفرك مؤمن
مؤمنة ان كره منها خلقا رضي خلقا وعن عائشة رضي الله
عنها انها قالت النكاح رق فلينظر احدكم عند من يرق كريمته
وقد روى ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ان لي بنتا احبها
وقد خطبها الي غير واحد فمن ترى ان ازوجها فقال زوجها
من رجل يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها
وقال عليه السلام من زوج وليته فاجرا فقد قطع رحمها
وروى ان رجلا خطب الى ابن عباس يتيمة كانت عنده قال
لا ارضاها لك قال ولم وفي دارك نشات قال انها تتشرف قال
لا ابالي قال الان لا ارضاك لها ولهذا قال بعض الحكماء من رضي
بصحبة من لا خير فيه لم يرض بصحبته من فيه خير فاذا الدين
مطلوب من كليهما ولا سيما الرجل في حق المراة عند التزويج
لان المراة يقدر الرجل على الاستبدال بها بالطلاق والمراة اذا

زوجت من فاسقا ودنى فهى اسيرة لا سبيل الى فكها من رقه الا
بالموت والله اعلم * الشرط الثانى * العقل الباعث على حسن
التقدير للامر بصواب التدبير وقد روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان الوف مالوف
وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالودود
والولود ولا تنكحوا الحمقاء فان صحبتها بلاء وولدها ضياع *
* الشرط الثالث * الاكفاء الذين ينتفى بهم العار ويحصل
بهم الاستكثار وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال تخيروا لنطفكم ولا تضعوها الا فى الاكفاء وعنه عليه
السلام انه قال انظر ابن تضع ولدك فان العرق دساس وقال
اكثم بن صيفى لولده يا بنى لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة
النسب فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف وقال عليه السلام
اياكم وخضراء الدمن يعنى المراة الحسناء فى المنبت السوء وقد
ينضم الى هذا الشرط من صفات الذات واحوال النفس ما يلزم
التحرز عنه لبعد الخير عنه وقلة الرشد فيه فان كثيرا من الاخلاق بادية
فى الصور والاشكال كالذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال لزيد بن حارثة تزوجت يا زيد قال لا قال تزوج تستعفف
مع عفتك ولا تتزوج من النساء خمسا قال وما هن يا رسول
الله قال لا تتزوج شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوت
قال يا رسول الله لا اعرف مما قلت شيئا قال اما الشهبرة
فالزرقاء البذية واما اللهبرة فالطويلة المهزولة واما النهبرة
فالعجوز المدبرة واما الهيدرة فالقصيرة الذميمة واما اللفوت فذات
الولد من غيرك واوصى بعض الاعراب ابنه فى التزويج فقال اياك

ولحنانة والمنانة والانانة فالحنانة التى تحن الى زوج كان لها والمنانة التى تمن على زوجها بمالها والانانة التى تئن كسلا وتمارضا وروى انه قيل يارسول الله اى النساء خير قال التى اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته وقال لقمان لابنه اعلم يابنى ان المراة الصالحة كالتاج على راس الملك والمراة السوء كالحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير وينشد

ارى صاحب النسوان يحسب انها * سواء وبون بينهن بعيد
فمنهن جنات تفى ظلالها * ومنهن نيران لهن وقود

وقال اوفى بن دلهم النساء اربع فمنهن معمع لها شيئها اجمع ومنهن تبع ترى ولا تنفع ومنهن صدع تفرق ولا تجمع ومنهن غيث وقع ببلدة فامرع وقيل للحسن البصرى من اطيب الناس عيشا قال من رزق امراة قانعة ولحقه حافظة وعند حاجته غير مانعة وانشد ابو العيناء عن ابى زيد

ان النساء كاشجار نبتن معا * منهن مر وبعض المر ماكول
ان النساء ولو صورن من ذهب * فيهن من هفوات الجهل تخييل
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لا بد مفعول
وما وعدنك من شر وفين به * وما وعدنك من خير فممطول

ويقال النساء ثلاثة هينة لينة عفيفة مسلمة تورد الامور مواردها وتصدرها مصادرها واخرى وعاء للولد لا خير فيها لغير ذلك واخرى غل يضعه الله فى عنق من يشاء ويقال اصل كل ذنب عصى الله به فسببه من قبل النساء من ذلك ادم عليه السلام بسبب اكله من الشجرة انما كان من قبل حواء امراته وانما

قتل قابيل اخاه هابيل على اخته حين اراد ان يتزوجها فابى عليه من ذلك ولم يمتحن يوسف عليه السلام بالسجن الا بكيد امراة العزيز حين راودته عن نفسها فابى عليها ولم يصب داود الخطيئة الا على يد امراة اوريا، ولم يصب برصيص الفتنة والبلاء بعد عبادة اربعماية سنة فيما زعموا الا على يد امراة وانما مدح الله يحيي عليه السلام حين جعله حصورا لا ياتي النساء ثم مع سلامته لم يسلم من شر النسا، وانما قتل على يد امراة حين استفتنته لما منعها هواها وزعموا ان سليمان عليه السلام انما ذهب ملكه اربعين يوما بسبب جارية من جواريه وقيل غير ذلك وقد اخبر الله عن نوح ولوط عليهما السلام وذكر ما امتحنا به من زوجتيهما حيث يقول ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط الآية فهن اصل كل بلاء وفتنة وقال عليه السلام لازواجه انكن صواحبات يوسف وهن امهات المؤمنين فما ظنك بغيرهن وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان وقال باعدوا بين انفاس الرجال والنساء وخير شيء للنساء ان لا يرون الرجال ولا يرونهن وقال عليه السلام ما تركت على امتي اضر عليها من فتنة النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت من شقوتنا جعلنا الله في مقدم الشهوات تريد قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء الآية ثم قالت عجبا للرجال كيف يختارون هؤلاء الحيض المنتنين وقد زهد الله فيهن ودل على ما هو خير منهن فقال قل ا، نبئكم بخير من ذلكم الى قوله وازواج مطهرة وقد ضعف الله كيد الشيطان عن كيدهن

فقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال في النساء ان كيدكن عظيم ولكن لابد منهن لعلة الابتلاء بهن لتسكين الشهوة وبقاء النسل وقد قال ابو سليمان الداراني الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار والله اعلم * * * * (فصل) * * *

اعلم ان باعث الانسان على طلب النساء لايخلو من ثلاثة احوال احداها ان يكون لطلب الولد فالاحمد فيه التماس الحداثة والبكارة لانهما اخص بالولادة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها وانتق ارحاما وارضى باليسير ومعنى قوله انتق ارحاما اى اكثر اولادا وعن معاذ بن جبل رحمه الله انه قال عليكم بالابكار فانهن اكثر حياء واقل خناء وهذه الحال هي اولى الاحوال الثلاثة لان النكاح موضوع لها والشرع وارد بها وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سوداء او قال سواء ولود خير من حسناء عاقر والعرب تقول من لم يلد فلا ولد وكانوا يختارون لمثل هذا الحال انكاح البعداء والاجانب ويرون ذلك انجب للولد وابهى لخلقه ويجتنبون نكاح الاهل والاقارب ويرونه مضويا لخلق الولد بعيدا من نجابته وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اغتربوا ولا تضووا وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال يابني السائب قد اضويتم فانكحوا في الغرائب وقد قال الشاعر

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة * مخافة ان تضوى على سليلي

وكان حكماء المتقدمين يرون انجب الاولاد خلقا وخلقا من كانت سن امه بين العشرين والثلاثين وسن ابيه ما بين

الثلاثين والخمسين والعرب تقول ان ولد الغيراء لا ينجب وان
النساء المعروك لان الرجل يغلبها على الشبه لزهدها في الرجل
ويقال ان الرجل اذا اكره المراة وهي مذعورة ثم اذكرت انجبت
والحال الثانية ان يكون المقصود بالنكاح ما تتولاه النساء
من تدبير المنازل بها وهذا وان كان مختصا بمعانات النساء فان
الاحمد في ذلك التماس ذوى الاسنان والحكمة ممن خبر بتدبير
المنازل وعرف عادات الرجال فانه اقوم بهذ الحال والحال
الثالثة ان يكون المقصود به الاستمتاع وهي اذم الاحوال
الثلاثة واوهنها للمروة لانه ينقاد فيه لاخلاقه البهيمية ويتابع
شهواته الذميمة ولذا قال الحارث بن المنظر الاسدى
شر النكاح نكاح الغلمة الا ان يفعل ذلك لكسر الشهوة وتسكين
النفس عند المنازعة حتى لا تنكح له عين تريبه ولا تنازعه نفسه
الى فجور فلا يلحقه في ذلك ذم وهو بالحمد اجدر ثم هي اخطر الاحوال
بالمنكوحة لان للشهوات غايات متناهيه يزول بزوالها ما كان
متعلقا بها فتصير الشهوة في الابتداء كراهة في الانتهاء ولذلك
كرهت العرب البنات ووادتهن اشفاقا عليهن وحمية لهن من ان
يبتذلهن اللئام بمثل هذه الحال وكان من تخوف من قتل البنات
لرقة ومحبة كان موتهن احب اليه واثر عنده ويقال خطب
الى عقيل بن علفة ابنته فقال

انى وان سيق الي المهر ٭ الف وعبدان وذود عشر
احب اصهاري الي القبر

قال عبيد الله بن طاهر

لكل اب بنت يراعي شؤنها ٭ ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر

فبعل يراعيها وخد ريكنها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

﴿الفصل الثاني في حقوق الزوجة﴾

اعلم ان عقد النكاح يقتضي حقوقا بين الازواج بمراعاتها تدوم بينهم الالفة والاجتماع ونحن نبدا بذكر حقوق الزوجة قال الله عز وجل وعاشروهن بالمعروف وقال تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقال وآت ذا القربى حقه الى قوله والصاحب بالجنب قيل هي الزوجة في قول بعض اهل التفاسير وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ويقال ان من الفواحش التي لم يبين ذكرها في القران ان يتزوج الرجل امراة فاذا كبر سنها طلقها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ليس كل بيت بني على المودة ولكن الناس يتعاشرون بالاخلاق ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وعن انس ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالعيال والصبيان وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمس ما عنده وجد رجلا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ولسانه يتلجلج الله الله في النساء فانهن عوان في ايديكم يعني اسيرات وقال تعالى في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وجملة حقوق الزوجة ان يحسن اليها الزوج في معاشرتها

كما قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومنها ان يصبر ويحتمل على
سوء خلقها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من صبر على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل ما
اعطى ايوب عليه السلام على بلائه وروى ان ابراهيم الخليل
عليه السلام اراد ان يطلق امرأته سارة رضي الله عنها فاوحى الله
اليه ان البسها على ما كنت تلبسها عليه ما لم تر عليها جرحة في دينها
فانى خلقتهن من ضلع اعوج فمن رام قوامه انكسر وانكساره الطلاق
ومن استمتع به استمتع على عوج ومنها ان ينبسط في وجهها
ما لم ير منها منكرا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من
افكه الناس مع نسائه ويقال هلك رجل من العرب فقيل لاهله
صفي بعلك فقالت والله ان كان ما علمت لضحوكا اذا ولج كسوبا
اذا خرج اكالا ما وجد غير سائل عما فقد ومنها ان يعدل بين نسائه
في الجماع اوغيره من النفقة والكسوة وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من كانت له امرأتان ثم مال الى احداهما
جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل ولا يتوعدها بالضرب ولا يهددها
بالطلاق ولا يهجر فراشها الا ان كانت ناشزة فليتدرج في تاديبها
بالوعظ والتخويف اولا فان لم ترتدع ولاها ظهره في المضجع وهجرها
في البيت الى ثلاث ليال فان لم ترتدع ضربها ضربا غير مبرح
بحيث يولمها ولا يدميها ولا يضرب وجهها وذلك معنى قوله
تعالى واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع
واضربوهن وفي الاثر عن طلحة بن عبيد الله انه قال جاءت الحولاء
الى عائشة رضي الله عنها وكانت امرأة عطارة فشكت الى عائشة
زوجها عثمان بن مظعون فقالت اني لا تعطر لزوجي حتى ازل نفسي

كالعروس تزف الى زوجها فاذا دخلت معه فى لحافه اعرض عنى
بوجهه ولا اراه الا يبغضنى فقالت عائشة رضي الله عنها
امكثى حتى ياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عليه السلام
فشم فى البيت رائحتها فقال انى لاجد ريح الحولاء فهل اتتكم
اليوم فقالت عائشة رضي الله عنها نعم يا رسول الله قال
فهل ابتعتم من عطرها شيئا قالت لا ولكن اتت تشكو زوجها
فقال لها ما شانك يا حولاء فقالت بابى انت وامى يا رسول الله
انى لا تعطر لزوجى حتى ازل نفسى كالعروس تزف الى زوجها
فاذا دخلت معه فى لحافه اعرض عنى بوجهه ولا اراه الا يبغضنى
فقال عليه السلام اما انه لو علم ما عليه فى ذلك لما فعل
قالت عائشة رضى الله عنها وما عليه فى ذلك يا رسول الله
فقال عليه السلام ان الرجل اذا اراد امراته كتبت له عشر
حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له فى الجنة عشر
درجات فاذا اخذ بيدها كتبت له عشرون حسنة ومحيت عنه
عشرون سيئة ورفعت له عشرون درجة فاذا عانقها وقبلها
كتبت له اربعون حسنة ومحيت عنه اربعون سيئة ورفعت
له اربعون درجة فاذا غشيها ثم اغتسل كتبت له من
الحسنات بعدد كل شعرة يمر عليها الماء فى بدنه وراسه
قالت عائشة هذا للرجل فما للمراة قال عليه السلام ان
المراة اذا اخذت فى شيء مما يصلح لزوجها ولزينة تريد بذلك
رضاه كتب الله لها عشر حسنات ورفعت لها فى الجنة عشر
درجات فان دعاها فاطاعته ثم حملت منه كان لها مثل
اجر الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله فاذا اخذها الطلق

والنفاس

والنفاس كان لها بكل طلق مثل اجر من اعتق رقبة مؤمنة فاذا وضعته لم يعلم احد ما لها من الاجر فاذا ارضعت ولدها كان لها بكل مصة يمصها من ثديها كمن اعتق عشر رقاب فاذا استكملت الرضاع وفطمته ناداها ملك من السماء استانفي العمل لقد غفر الله لك ما مضى فقالت عائشة رضي الله عنها رضينا يا رسول الله رضينا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال النساء عي وعورات فداووا عيهن بالسكوت وعوراتهن بالبيوت وعن عمر بن الخطاب انه قال اعروا النساء يلزمن البيوت وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج بالهيئة الرثة وقيل لبعضهم من تركت عند اهلك فقال الخليفتين الجوع حتى لا يمرحن والعري حتى لا يبرحن ولا ينبغي ان يفرط في الانبساط حتى تذهب هيبته ولا ينقبض عنها حتى يوحشها بل يراعي الاعتدال في جميع الامور وقد قال عمر رضي الله عنه شاوروهن وخالفوهن ويقال في خلافهن بركة وقال عليه السلام تعس عبد الزوجة ولا انتعش وانما قال ذلك لانه عكس القضية لان الله تعالى سمى الزوج سيدا فقال والفيا سيدها لدى الباب وقال تعالى الرجال قوامون على النساء يعني مسلطون على تاديبهن وجعل الطلاق في حكم الرجال وامر بالانفاق عليهن وقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية الى قوله وقولوا لهم قولا معروفا فاذا شاورها واطاعها عكس القضية ويقال ان نساء العرب يامرن بناتهن باختبار ازواجهن تقول احداهن لبنتها اختبري زوجك فتقول لها كيف اختبره يا اماه فتقول لها انزعي زج رمحه فان سكت فاقطعي اللحم على ترسه فان سكت فاكسري العظام بسيفه فان سكت فاعلمي انه حمارك

رضي الله عنه

احملي عليه اكافات وامتطيه وعن انس بن مالك قال ذكر النساء يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعفهن وقال يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام وعن انس بن مالك انه قال ذكر النساء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تمكنوهن يدبرن امر العيال يبكين وهن ظالمات ويشهدن وهن غائبات ويحلفن وهن كاذبات فاستعيذوا بالله من اشرارهن وكونوا من خيارهن على حذر فقال حسان بن ثابت وكان حاضرا يا رسول الله خطر على قلبي ابيات فقال قل فقال

* لا تركنن الى النساء * ولا تثق بعهودهنه *
* فرضاؤهن وسخطهن * معلق بفروجهنه *
* يلقين ودا صادقا * والغدر حاش قلوبهنه *
* وحديث يوسف اختبره * تجده اعظم كيدهنه *
* اسلمنه سجن العز * يزفكانا عظم مكرهنه *
* فمن المهيمن لعنة * تعلو النساء جميعهنه *
* الفاجرات الفاسقات * الخائنات بعولهنه *
* الا النساء الصالحات * الحافظات فروجهنه *

وعن حاتم الاصم انه قال انى في البيت كالدابة المربوطة ان قدم لي شيئا اكلته والا سكتت ويروى ان نبيا من الانبياء شكى الى ربه امر زوجته فاوحى الله اليه انى جعلت ذلك حظك من العذاب ويروى ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكوا امرأته فسمع امرأة عمر تراجعه بكلام يقرب من العنف فرجع وقد رأى عمر مكانه فبعث في اثره وساله عن رجوعه بعد ما اتى موضعه فقال يا امير المؤمنين اني اتيتك اشكوا امرأتي

فلما سمعت امراتك تراجعك وانت لاترد عليها قلت اين انا من امير المؤمنين فرجعت كاظما غيظي فقال عمر نعم اصبر لها لانها طباخة لمعيشتي غسالة لثيابي ظير لولدي ستر ما بيني وبين النار قال عليه السلام خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي ويروى انه قيل يا رسول الله ما حق المراة على زوجها قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح لها وجها ولا يضربها الا ضربا غير مبرح والله اعلم وبالجملة ان لها عليه حسن الصحبة وجميل المعاشرة ولا يضرها في نفسها ولا في شيء من مالها وليطعمها مما ياكل وليلبسها مما يلبس ولا يلطم لها خدا ولا يشوه لها وجها وله ان يغضب عليها ويهاجرها في امر الدين من ثلاث الى عشر وان لم ترتدع هجرها من عشر الى شهر ولا يفشي سرها في النكاح ويقال من يحدث بما يخلو به من امر امراته فهو كمن فعل ذلك حراما ولا ينبغي ان يكون سريع الطلاق بغير عذر وقد جاء في الحديث ما احل الله حلالا احب اليه من النكاح ولا ابغض اليه من الطلاق بغير عذر ويقال كان اهل الكتاب يتزوج الرجل المراة وما يثبت على ثديها خيط بدركهما الهرم جميعا ولا يرغب احدهما عن صاحبه ويقال ان ذلك من الفواحش التي لم تذكر في الكتاب وان كان له عذر في الطلاق فلا باس وقد قال تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية ولكن ان طلقها فليعطها شيئا يمتعها به ليطيب نفسها لما فجعها من الم الفراق ولا يفشي سرها في ذلك وقد روي عن بعض السلف اراد ان يطلق زوجته فقيل له ما الذي يريبك منها فقال لا ينبغي للعاقل ان يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له

لماذا اطلقتها فقال مالى ولامراة غيرى ومن حق المراة ايضاء على زوجها ان يعلمها ما عليها من امر دينها ووضوئها وصلاتها وقرائتها وما يلزمها من امر حيضها والغسل من جنابتها لانه اميرها وراعيها فكل راع مسؤل عن رعيته فالرجل راع على اهل بيته مسؤل عنهم وقال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا اي علموهم وادبوهم والله اعلم واحكم

الفصل الثالث في حقوق الزوج

قال الله تعالى مخبرا عن النساء ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة فاخبر ان حق الرجال عليهن اعظم ثم ذكر علة ذلك فقال فى اية اخرى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وعن عائشة رضى الله عنها ان فتاة قالت يارسول الله انى اخطب وانا اكره التزوج فما حق الزوج على المراة فقال لو كان من قرنه الى قدميه صديدا فلحسته فما اديت شكره قالت فلا اتزوج قال بلى تزوجى فانه خير ويروى ان امراة كانت من خثعم سالته عليه السلام عن حق الزوج فقال ان من حقه عليها اذا ارادها على نفسها وهى على ظهر بعير فلا تمنعه من نفسها ومن حقه الا تعطى شيئا من ماله الا باذنه فان فعلت كان الاجر له والوزر عليها ولا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ولا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع وتتوب وعنه عليه السلام انه قال المراة عورة فاذا اخرجت استشرفها الشيطان وعنه عليه السلام انه قال المراة عشر عورات فاذا

تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر
عورات ويروى ان رجلا دخل على اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا اصحاب رسول الله ان لى امراة سليطة
اللسان مؤذية للجيران فقال ابوبكر من يبلغها قول النبي صلى
الله عليه وسلم فقال حذيفة رضى الله عنه انا امضى اليها برسالتكم
فقال ابو بكر قل لها انى سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ايما امراة دعاها زوجها الى فراشها فابت عليه فهي
فى سخط الله حتى تتوب وترجع وسمعته يقول ايما امراة تقول
لزوجها مالى منك خير وما رايت منك خيرا الا احبط الله عملها
سبعين سنة ولو كانت تصوم النهار وتقوم الليل الا ان تتوب
وترجع وسمعته يقول ايما امراة خاصمت زوجها وهي ظالمة الا
حشرت يوم القيامة مع هامان وقارون فى الدرك الاسفل من
النار الا ان تتوب وترجع وسمعته يقول ايما امراة خرجت من
بيتها بغير اذن زوجها الا لعنها كل ما طلعت عليه الشمس وغربت
الا ان تتوب وترجع وسمعته يقول ايما امراة خانت زوجها
فى فراشه فعليها نصف عذاب هذه الامة الا ان تتوب وترجع
وسمعته يقول ايما امراة اغضبت زوجها لعنها الله والملائكة
والناس اجمعون الا ان تتوب وترجع وسمعته يقول ايما امراة
منت على زوجها بمالها فقالت انما انت تاكل مالى فلو انها تصدقت
به فى سبيل الله لم يقبل منها الا ان تتوب وترجع وسمعته يقول
ايما امراة قالت لزوجها لعنك الله الا لعنها الله وكل شئ خلقه
الله حتى الجن والانس الا ان تتوب وترجع وسمعته يقول ايما
امراة كلحت فى وجه زوجها تدخل به عليه غما الا كانت فى سخط الله

الا ان تتوب وترجع ولو ان امراة عبدت الله تعالى عبادة مريم
ولم يرض عنها زوجها لم يقبل الله منها وادخلها النار مع الداخلين
الا ان تتوب وترجع وايما امراة كلفت زوجها من النفقة ما لا
يطيق لم يقبل الله منها صرفا ولا عدلا الا ان تتوب وترجع
ولو ان امراة قدمت بين يدي زوجها ثديها شواء او طبيخا لم
تبلغ حق زوجها ويروى ان اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنه دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله انا رسول النساء المؤمنات اليك اعلمك شانهن وليس
منهن امراة الا على مثل مقالتي انكم معشر الرجال فضلكم الله
بالجماعة والجهاد والحج في العام بعد العام وحمل الجنائز وعيادة
المرضى وغير ذلك ونحن معشر النساء قاضيات شهواتكم
وحاملات اثقالكم ومربيات اولادكم وحافظات بيوتكم
ومؤتمنات على جميع اموركم فاذا خرج الرجل منكم الى الحج او الى
الجهاد او الى الرباط او غير ذلك من الاسفار صرنا قواعد بيوتكم
نحرس عليكم نفوسنا وبيوتكم واموالكم ونربي اولادكم
افنشاركم في اجوركم فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم والى اصحابه فقال هل رايتم او سمعتم مثل عقل هذه المراة
ومعرفتها وسؤالها عما يعنيها من امر دينها فقالوا بلى يا رسول
الله ما ظننا انه يبلغ عقل امراة الى مبلغ عقل هذه المراة فقال
لها عليه السلام اذهبي فابلغي عني النساء المؤمنات انه ما من
امراة تجتني ابتغاء مرضات الله وتخشى عدم اتباع مرضات
زوجها وسرته الا كان لها من الاجر بعدل ما ذكرت واذا هي حملت
من زوجها وولدت كان لها بكل مصة ترضعه اجر من اعتق رقبة

من ولد اسماعيل فانصرفت المراة ضاحكة مستبشرة فاعلمت النساء بذلك فما مر عليهن يوم اكمل سرورا من ذلك اليوم ثم قال لها ايضا ايما امراة اعانت زوجها على الحج والجهاد فهي شريكته في الاجر وحقوق الزوج كثيرة وقد قال بعض المشايخ لابنته ازوجك اليوم ممن له عليك سبعون حقا فقالت يا ابت اردها الى ثلاثة ان دعاني اجبته وان امرني ايتمرت وان نهاني انتهت والقول الجامع لها من غير تطويل ان تراعي امرين احدهما الصيانة والستر والثاني ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما ولا تكفر احسان زوجها وقد قال عليه السلام رايت النار فرايت اكثر اهلها النساء والاغنياء قيل يا رسول الله لاي شيء كان ذلك قال بكفرهن قيل ايكفرن بالله قال لا يكفرن بالعشير ويكفرن بالاحسان ولو احسنت اليهن الدهر كله ثم اسات اليهن في الدهر مرة واحدة فيكفرن بالاحسان اجمع وفي حديث اخر الا ترى الى احداهن تكون مع زوجها طول دهرها وهو يحسن اليها فاذا رات منه ما يسوءها قالت ما رايت منك خيرا قط وما فعلت لي وما صنعت لي ولتكن راضية بزوجها قانعة في يسره وعسره وترية البشاشة في جميع احوالها ولتكن قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها ولا تزور من تطلب الثواب في زيارته من اهلها او غيرهم الا باذن زوجها وقد روى ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر عن زوجته وقد امرها ان لا تخرج من بيتها وهي ساكنة في العلو من الدار وابوها في اسفلها فمرض ابوها فاستاذنت النبي صلى الله عليه وسلم في عيادة ابيها فقال لها اطيعي الله واطيعي زوجك

توفى ابوها فاستاذنته ايضا فى حضور جنازته فقال اطيعى الله و
اطيعى زوجك فاوحى الله الى نبيه عليه السلام ان قد غفر الله
لابيها لطاعتها لزوجها والله اعلم وعليها ان تحسن تربية
اولادها ولاتنام الا على فراشه ولتحفظه فى نفسه وماله
وحشمه وعياله ولا تنفق ماله بالتبذير ولتراعى فى ذلك حسن
التقدير ولا تعطى من ماله شيئا بغير اذنه فمتى غاب عنها زوجها
فى حج او رباط فحفظت نفسها بعده كان لها من الاجر مثل اجره
ولا ينقص من اجره شئ ولتشتغل ببره جهدها فان اول ما تسال
عنه المراة من حدود دينها عن حق زوجها ويجب على المراة اذا بلغت
حد المحيض او قاربته ان تستتر فى ممشاها ولا ترفع صوتها حيث
يسمع له من لا يحل له ذلك منها ولا يحل لها ان تتزين الا لزوجها
فى بيتها حيث لا يراها احد من الرجال الذين لا يحل لهم نكاحها
ولا يحل لها ان تدخل بيت زوجها رجلا غيره ولا غلاما قد بلغ
الحلم او راهقه الا باذن زوجها الا ان يكون من ذوى محارمها
ولا يحل لها ان تملى عينيها من غير زوجها ولا تبدى له زينتها
ولا تكتحل ولا تستاك ولا تاكل معه ولا تشرب ثم تناوله ولا تضحك
عنده ولا تخضع بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ولا تتعرى
فى بيت غيرها فاذا فعلت ما ذكرنا فقد اخذت بحظها من العذاب
وان هى احصنت فرجها وصلت خمسها وادت زكاة مالها
ان كان ذلك يلزمها واطاعت زوجها وحفظت لسانها وغضت
بصرها الا على زوجها ولم تضرب برجلها ليعلم ما تخفى من زينتها
دخلت الجنة * وروى * عن تميم الدارى انه قال حق
الرجل على المراة ان لا تحنثه له قسما ولا تهجر له مضجعا ولا تكفر

له نعمة ولا تخرج من بيته الا باذنه ولا تاذن لاحد فى رحله بشئ يكرهه * وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صبر من النساء على سوء خلق زوجها اعطاها الله من الاجر مثل ما اعطى اسية بنت مزاحم امراة فرعون * وعن الاصمعى قال دخلت البادية فاذا بامراة مختضبة بالحناء وعليها قميص احمر وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت

فلله منى جانب لا اضيعه ۞ وللهو منى والبطالة جانب

قال فعلمت انها امراة صالحة وان لها زوجا تتزين له * قال الاصمعى ايضا دخلت البادية فاذا بامراة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت يا هذه اترضين لنفسك ان تكونى تحت مثل هذا فقالت لى يا هذا اسات فى قولك لعله احسن فيما بينه وبين الله فجعلنى ثوابه ولعلى اسات فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى افلا ارضى بما ارضى الله لى قال فافحمتنى والله اعلم

الباب الرابع فى حق الجوار

اعلم ان الله تعالى خلق بنى ءادم محتاجين * وفطرهم عاجزين * ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز * يمنعانهم من طغيان الغنى وبغى القدرة * لان الطغيان مركوز فى طبائعهم اذا استغنوا * والبغى مستول عليهم اذا اقدروا * وقد اخبرنا الله تعالى بذلك فقال كلا ان الانسان ليطغى * ان رءاه استغنى * ثم ليكون ذلك اقوى الامور شاهدا على نقصانهم واوضحها دليلا على عجزهم وانشد لابن الرمى

* اعيرتني بالنقص والنقص شامل * ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل *
* واشهد انى ناقص غير انني * اذا قيس بى قوم كثير تقلل *
* تفاضل هذا الخلق بالدين والحجى * ففى ايما هذين انت مفضل *
* ولو منح الله الكمال ابن آدم * لخلده والله ماشاء يفعل *

ثم جعل الله الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان حتى افتقر الى الاجتماع مع جنسه لبقاء نسله ثم لا يكفيه ذلك مالم يجتمع مع طائفة يتكفل كل واحد منهم بصناعة ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ينفرد فيها كل واحد منهم باهله وآلات صناعته فاضطروا الى المواساة * والتعاون بالقوى والآلات * والتناصر على الاعداء ودفع اصناف الاذى * فاقتضى الجوار بينهم حقوقا من المواساة * فضلا عن كف الاذى والمضرات * اذ لو لم يتواسوا ويتعاونوا لصاروا بمنزلة اصحاب القبور * وبمثابة الوحوش والطيور * ولذلك وكد الشرع حق الجوار فضلا عن حق الاسلام والنسب

* (فصل) *

قال الله تعالى وبذى القربى الى قوله والجار الجنب وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق واما الجار الذى له ثلاثة حقوق فهو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة * واما الجار الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق

الاسلام واما الجار الذي له حق واحد فهو الجار المشرك له حق الجوار وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما زال حبيبي جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه كالولد من والده وعنه عليه السلام انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره * وعنه عليه السلام انه قال لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه * وعنه عليه السلام انه قال اول خصمين يوم القيامة جاران * وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته * ويروى ان رجلا اتى الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني و يضيق علي فقال له اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع الله فيه ويقال ليس حسن الجوار بكف الاذى ولكنه الصبر على الاذى * ويقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني * وعنه عليه السلام انه قال الجار قبل الدار و الرفيق قبل الطريق * وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرء بات شبعانا وجاره طاو وعلم به ولم يطعمه الا كان الله بريئا منه وانا بريئ منه * وعنه عليه السلام انه قال ليس المؤمن من بات شبعانا وجاره جائعا * وعنه عليه السلام انه قال حرمة الجار على جاره كحرمة امه * وروى انه قيل يا رسول الله ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار ونهى صلى الله عليه وسلم ان يولد الرجل

فى اصل جدار جاره ويقال غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة فلما بلغ موضع المنزل نادى الامن كان موذى لجيرانه فلا يصحبنا فقال رجل ما اذيت رجلا قط غيرانى ابول فى اصل جداره فرده نبى الله وقال لا تصحبنا ونهى عليه السلام ان يصدق الرجل ابنه على جاره اوامراته وقيل ان رجلا قال لجابر بن زيد رضى الله عنه يا ابا الشعثاء ان لى جارا يؤذينى فقال له جابر انما تؤذيك نفسك اصلح الذى بينك وبين الله تعالى حتى يعطف الله قلب جارك عليك وعن ابى هريرة انه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فشكى اليه جاره فقال له عليه السلام اصبر له ثلاث مرات ثم قال له فى الرابعة اطرح متاعك فى الطريق قال ففعل فجعل الناس يمرون عليه فيقولون مالك فيقول اذاه جاره فيقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك لا والله لا اوذيك ابدا * وفى الحديث من صبر على اذا جاره اورثه الله داره * ويروى من اذى جاره ملكه الله داره * ويقال ركوب البحر خير من مجاورة الجار السوء * وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا استاذن احدكم جاره ان يغرز خشبة فى جداره فلا يمنعه فنكسوا فقال مالى اراكم عنها معرضين لالقينها بين اكتافكم وينشد لابى العتاهية * * * * * *

والجار لا تترك كرامة بيته * واغضب لكلب الجار ان هو اغضبا
وارع امانته وكن ركنا له * حصنا وعما ساءه متجنبا
كن لينا للجار تحمى عرضه * كرما ولا تك للجوار عقربا

وعن الحسن انه قال يجئ الرجل يوم القيامة متعلقا بجاره فيقول يا رب ان هذا اخانني فيقول وعزتك وجلالك ماخنته في اهل ولا مال قال يا رب صدق ولكن راٰني في معصية ولم ينهني عنها فيؤجر ويروى ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم جاره فامر عليه السلام من ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دار الجار

مسالة في حق الجار

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما حق الجار ان استعان بك فاعنه وان استقرضك فاقرضه وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته فان اصابه خير هنيته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه * واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذيه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله ومن حقوق الجار ايضا ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويصفح عن زلاته * ولا يتطلع من السطح على عوراته ولا يضايقه في رفع الجذع على جداره ولا في مصب الماء من ميزابه * ولا يطرح التراب في فنائه * ولا يضيق الطريق الى داره ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى بيته وليستر ما ينكشف له من عوراته * ولينعشه من صرعاته وليحسن اليه في جميع اموره ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا

يستمع عليه كلامه ويغض بصره عن حرمته * ولا يدوم النظر الى خادمه وليتلطف لولده في كلمته وليرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه ويامره بالمعروف وينهاه عن المنكر على قدر طاقته فان لم يتركه فلا يجب عليه ان يرتحل من داره لاجل ذلك والله اعلم

* (مسالة) *

واختلفوا في حد الجار فقيل الى اربعين بيتا من اربع جهات كل بيت كان اقرب كان حقه اوجب * وقيل مقدار ما يحميه الكلب وقيل الى عشر بيوت من كل جانب وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل مقدار ما تبلغه رائحة القدر والله اعلم ويجب حق الجار على الانسان اذا كان على هذا المعنى ما لم يقطع جواره طريق جائز او واد جار او سوق جامع والله اعلم وبه العون والتوفيق

(الباب الخامس في حق ملك اليمين)

قال الله سبحانه وبذي القربى الى قوله وما ملكت ايمانكم ويروى انه من اخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون * فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم * وعنه عليه السلام انه قال العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة ربه فله اجره مرتين * وعنه عليه السلام انه قال للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وعنه عليه السلام انه قال لا يدخل الجنة خب ولا ماكر ولا خائن ولا سيئ الملكة

ويقال ان عمر رضي الله عنه كان يذهب كل يوم سبت الى العوالي فاذا وجد عبدا في عمل لاطاقة له به وضع عنه منه وعن عبد الله بن عمر قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة ويروى ان ابا هريرة راى رجلا على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال يا عبد الله احمله فانه اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لايزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه ويروى ان جارية قالت لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وماعمل فيك شيئا قال لم فعلت ذلك قالت اردت الراحة منك فقال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى وعن الزهري انه قال متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل له فما بلغ حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود على ابن له من يدها فعقره فمات فدهشت الخادم فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق فقال لها انت حرة لاباس عليك ويروى ان ضيفا ضاف ميمون بن مهران فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها مائدة مملوءة فعثرت فاهرقتها على راس سيدها ميمون فقال ياجارية قد احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله قال وما قال قالت وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ قال قد كظمت غيظي قالت وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ قال قد عفوت عنك قالت وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قال انت حرة

لوجه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاتضربوا
اماءكم على كسر انائكم فان لها اجالا كاجالكم وعنه عليه
السلام انه قال اذا اشترى احدكم مملوكا فليكن اول مايطعمه
الحلو فانه اطيب لنفسه وعنه ايضا انه قال اذا كفى احدكم
مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجالسه
وليأكل معه اوليأخذ لقمة فيضعها في يده وليقل كل هذه
وعن الاحنف انه قال العبد الصالح له كفلان من الاجر وعليه
نصف الوزر وقيل ان بعض المماليك سال المبيع فقيل له
ماسببك فقال مولاي يصلي جالسا ويضربني قائما ويعرب
اذا سبني ويلحن اذا قرا وعن ابي مسعود الانصاري انه
قال انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اضرب
غلاما فقال يا ابا مسعود ان الله عز وجل الآن يراك وهو
اقدر عليك منك على هذا الغلام قال فاعتقته لله تعالى
ويقال ان ابا الدرداء قال لغلام له وقد غفل عن علف
ناقة له وتوانا فقال ما حملك على ما فعلت قال اردت
ان اغضبك قال ابو الدرداء لاجمعن مع الغضب اجرا
اذهب فانت حر لوجه الله تعالى ويروى ان بعض اصحاب
النبي عليه السلام ضرب عبد اله فجعل العبد يقول اسالك
بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح
العبد فانطلق اليه فلما راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم امسك يده فقال عليه السلام سالك بوجه الله ولم
تعفه فلما رايتني امسكت بيدك قال فانه حر لوجه الله
يارسول الله قال له لولم تفعل لسفعت وجهك النار

ويقال ان رجلا كان له مملوك فكان السيد يسمع حس المملوك
بالليل فاطلع عليه السيد ذات ليلة من حيث لا يراه
العبد فسمعه وهو يقول يا مولاي ومولاي مولاي لولا خدمة
مولاي لخدمتك ايام حياتي فلما سمعه سيده قال له بل انت
مولاي ومولاي مولاي فانت حر لوجه الله والله اعلم *
والاثار في هذا كثير وقد قال عليه الصلاة والسلام
كل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة ويقال المملوك
اخوك لابيك وامك ابتليت به وابتلي بك فلما جزان وعليك فيما
فرطت الحساب وقال عليه السلام اذا دعي الرجل مملوكه
فقال لبيك فقال له لا لبيك ولا سعديك تقول له الملائكة
بل انت لا لبيك ولا سعديك وعنه عليه السلام انه قال
للمملوك على مولاه ثلاث خصال لا يعجله عن صلاته ولا
يقيمه عن طعامه ويشبعه اذا استباعه وجملة حقوق
المملوك ان يشبع بطنه ويد في ظهره ولا يكلفه فوق
طاقته ولا يستخدمه بعد العشاء ان استقصى خدمته
بالنهار ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن
زلاته ويتفكر في غضبه عليه بهفوته وجنايته في هفوته
هو وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان قدرة
الله عليه فوق قدرته والله اعلم

فصل في حق السيد على عبده * *

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرض
علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار

فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة الله ونصح لسيده وفقير متعفف ذو عيال واما اول ثلاثة يدخلون النار فامير متسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور وبالجملة ان حق السيد على عبده ان ينصحه في ضيعته ويحفظ له ما ايتمنه عليه ويحسن خدمته ولا يعصيه في جميع احواله الا ان امره بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا يصلي نافلة الا باذنه ولا يصوم تطوعا الا باذنه لان ذلك يضعفه عن الخدمة لانه مسؤل عن القيام بحق سيده كما ان سيده مسؤل عن حقه قال ابو الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل راع مسؤل عن رعيته فالرجل راعي اهل بيته ومسؤل عنهم والمراة راعية على بيت زوجها ومسؤلة عنه وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤل عنه فكلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته وقد جاء في حديث اخر ان الراعي مسؤل يوم القيامة عن رعيته فالامام يسال عن رعيته والرعية تسال عن امامها والزوجة تسال عن القيام بحق زوجها وعن ما صنعت والرجل يسال عن حق زوجته والعبد يسال عن القيام بحق مولاه وما ضيع من حقه والمولى يسال عما ضيع من حق عبده والجار يسال عن حق جاره والولد يسال عن حق والده والوالد يسال عن حق ولده وكذلك قال الحكم العدل فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ وبالله التوفيق

الباب السادس في الاخاء

وليعلم ان المواخات فى الله والمودة من اسباب الالفة لانها تكسب
بصادق الميل اخلاصا ومصافاةً وتحدث بخلوص المصافات وفاء
ومحاماتا وهذا اعلى مراتب الالفة لان اصل الالفة الصفاء ونتيجتها
الوفاء ولذلك اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه
لتزيد الفتهم ويقوى تظافرهم وتناصرهم وحث على المواخات
فقال عليه السلام عليكم باخوان الصدق فانهم زينة فى الرخاء
وعصمة فى البلاء وعنه عليه السلام انه قال ما احدث
العبد اخا فى الله الا احدث الله له درجة فى الجنة وعنه عليه
السلام انه قال المرء كثير باخيه ولا خير فى صحبة من لا يرى
لك من الحق مثل ما يرى لنفسه وعنه عليه السلام انه قال
المسلم اخو المسلم لا يعمله ولا يظلمه ولا يغشه ولا يخونه ولا يخذله
وعنه عليه السلام انه قال مثل المسلمين كاليدين تغسل احداهما
الاخرى وعنه عليه السلام انه قال المسلمون كالبنيان
يشد بعضهم بعضا وقال عليه السلام مثل المسلمين فى توادهم
وتراحمهم كمثل الجسد ان اشتكى بعضه تداعى سائره بالحمى والسهر
وعن على بن ابى طالب انه قال عليكم بالاخوان فانهم عدة فى
الدنيا والاخرة الا تسمعوا الى اهل النار فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم وعن عمر رضى الله عنه انه قال لقاء الاخوان جلاء الاحزان
وعن خالد بن صفوان انه قال اعجز الناس من قصر فى طلب
الاخوان وان اعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال على
ابن ابى طالب لابنه الحسن يا بنى الغريب من ليس له حبيب وقيل
لبعض الحكماء ما العيش فقال اقبال الزمان وعز السلطان
وكثرة الاخوان وقال ابن المعتز من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا

وقال بعض الادباء افضل الذخائر اخ وفي وقيل حلية المرء كثرة اخوانه وقال بعض البلغاء صديق مساعد عضد وساعد وقال بعض الشعراء

* هموم رجال في امور كثيرة * وهمي في الدنيا صديق مساعد *
* نكون كروح بين جسمين قسما * فجسمهما جسمان والروح واحد *

ويروى ان بعض العلماء زاره بعض اخوانه فلم يجده في منزله ففتحوا الباب فدخلوا فاذا سفرة فيها خبز وجبن فتناولوا منه فاتاهم فوجدهم ياكلون فبكى فقيل له ما يبكيك قال ذكرتموني اخوان السلف وعاملتموني باخلاق الصالحين ولست منهم ويقال انما سمي الصديق صديقا لصدقه والعدو عدوا لعدوه عليك وعن ثعلب انه قال انما سمي الخليل خليلا لان محبته تتخلل القلب ولا تدع فيه خللا الا ملائه وينشد قول بشار

قد تخللت مسلك الروح مني * وبه سمي الخليل خليلا *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان المواخاة في الناس قد تكون من وجهين احدهما اخوة مكتسبة بالاتفاق الذي يجري مجرى الاضطرار والثاني اخوة مكتسبة بالقصد والاختيار فاما المكتسبة بالاتفاق فهي اوكد حالا لانها تنعقد عن اسباب يقودها اليها الطبع ثم تنتقل في غاية احواله الى سبع مراتب فاول اسباب الاخاء التجانس في حالة يجتمعان فيها ويتالفان بها وقد روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الارواح اجناد مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها

اختلف فان قوى التجانس قوى الائتلاف وان ضعف كان به
ضعيفا ما لم يحدث عقدا دينيا فاذا عدم التجانس من وجه انتفى
التشاكل من كل وجه وقد قيل فى منثور الحكم الاضداد لا تتفق
والاشكال لا تفترق وينشد

وقائل لم تفرقتما ❊ فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلى ففارقته ❊ والناس اشكال وآلاف

فثبت ان التجانس وان تنوع اصل للاخاء وقاعدة للائتلاف وهذا
واضح وينشد

فلا تحقرن نفسى وانت خليلها * وكل امرئ يصبو الى من يجانس

وقال اخر

فقلت اخى قالوا اخ من قرابة * فقلت لهم ان الشكول اقارب
نسيبى فى رايى وعزمى وهمتى * وان فرقتنا فى الاصول المناسب

ويقال لا تجالس الا من تجانس ولا تواكل الا من تشاكل
ولا تماشى الا من تواتى ثم قد يحدث التجانس المواصلة بين
المتجانسين وهى الرتبة الثانية من رتب الاخاء وسبب المواصلة
بينهما وجود الاتفاق لان عدم الاتفاق منفر ولذلك قيل كما
لا تثبت المكاتبة على الماء كذلك لا تثبت المحبة فى قلب من خالفته
وينشد

الناس ان وافقتهم عذبوا * او لا فان جناهم مر
كم من رياض لا انيس بها * تركت لان طريقها وعر

ثم تحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهى المؤانسة وسببها
الانبساط ثم تحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهى المصافاة
وسببها خلوص النية ثم تحدث عن المصافاة رتبة خامسة

وهي المودة وسببها الثقة وهذه الرتبة هي ادنى الكمال في احوال الاخاء وما قبلها اسباب تقود اليها فان اقترن بها المعاضدة فهي الصداقة ثم تحدث عن المودة رتبة سادسة وهي المحبة وسببها الاستحسان وان كان الاستحسان لفضائل النفس حدثت منه رتبة سابعة وهي الاعظام وان كان الاستحسان للصورة والحركة حدثت منه رتبة ثامنة وهي العشق وسببه الطمع قال المأمون

اول العشق مزاح وولع * ثم يزداد اذا زاد الطمع *
كل من يهوى وان عالت به * رتبة الملك لمن يهوى تبع *

وهذه الرتبة هي آخر الرتب المحمودة وليس لمن جاوزها رتبة مقدرة ولا حال محدود لانها قد تؤول الى ممازجة النفوس وان تميزت ذواتها وتفضي الى مخالطة الارواح وان تفرقت اجسادها وهذه حالة لا يمكن حصر غايتها ولا الوقوف على نهايتها وقد قال الكندي الصديق انسان هو انت الا انه غيرك ومثل هذا القول يحكى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انه لما ولي اقطع طلحة بن عبد الله ارضا وكتب له كتابا واشهد فيه ناسا منهم عمر فاتى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه فامتنع عليه فرجع طلحة مغضبا الى ابي بكر فقال والله لا ادري الخليفة انت ام عمر فقال بل عمر لكنه انا واما الاخوة المكتسبة بالقصد فلا بد من داع يدعو اليها وباعث يبعث عليها وذلك من وجهين رغبة وفاقة اما الرغبة فهي ان تظهر من الانسان فضائل تبعث على اخائه ويتوسم بجميل يدعو الى اصطفائه وهذه الحالة اقوى من التي بعدها

لظهور الصفات المطلوبة من غير تكلف لطلبها وانما يخاف عليها
من الاغترار بالتصنع فليس كل من اظهر الخير كان من اهله
ولا كل من تخلق بالحسن كان من طبعه والتكلف للشيء مناف له
الا ان يدوم عليه مستحسنا له في العقل ومتدينا به في الشرع
فيصير التطبع له فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا واما ان تكون
جميع اخلاق الفاضل كاملة بالطبع فلا وانما الاغلب ان تكون
بعض فضائله بالطبع وبعضها بالتطبع الجاري بالعادة حتى
يصير ما تطبع به في العادة اغلب عليه مما كان مطبوعا عليه
اذا خالف العادة ولذلك قيل العادة طبع ثان وقد
تقدم قول الحكماء ليس في الطبع ان يكون ما ليس في الطبع
وينشد لابن الرومي

واعلم بان الناس من طينة * يصدق في القلب لها الثالب
لولا علاج الناس اخلاقهم * اذا لفاح الحمأ اللازب

واما الفاقة فهو ان يفتقر الانسان لوحشة انفراده ومهانة
وحدته الى اصطفاء من يأنس بمواخاته ويثق بنصرته وموالاته
وقد قال الحكماء من لم يرغب في ثلاث بلي بست من لم يرغب
في الاخوان بلي بالعداوة والخذلان ومن لم يرغب في السلامة
بلي بالشدائد والامتهان ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة
والخسران ولعمري ان اخوان الصدق من انفس الذخائر وافضل
العدد لانهم سهماء النفوس واولياء النوائب وقد قالت
الحكماء رب صديق اود من شقيق وقيل لمعاوية اي الناس
احب اليك قال صديق يحببني الى الناس وقد قال
الشاعر * * * * * * * * * *

لمودة ممن تحبك مخلصا * خير من الرحم القريب الكاشح

فصـــل

فاذا عزم الانسان على اصطفاء الاخوان فليكشف عن اخلاقهم قبل اصطفائهم ولا تبعثه الوحدة على الاقدام قبل الخبرة وليس فيمن يكون النفاق والملق بعض سجاياه خير يرجى ولا اصلاح يؤمل ولاجل ذلك قالت الحكماء اعرف الرجل من فعله لا من كلامه واعرف محبته من عينه لا من لسانه قال حماد بن عجرد

كم من اخ لك ليس تنكره * مادمت من دنياه في يسر
متصنع لك في مودته * يلقاك بالترحيب والبشر
واذا عدا والدهر ذو غير * عدى عليك اذا مع الدهر

على ان الانسان موسوم بمن قارب * ومنسوب اليه افاعيل من صاحب * وفي الحديث المرء مع من احب وقال ابن مسعود رحمه الله ما شئ ادل على شئ ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال بعض يظن بالمرء ما يظن على قرينه وينشد * * * * * *

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدى

فلزم من هذا الوجه ايضا ان تحترز عن اخلاء السوء ومصاحبة اهل الريب وقد قال بعض البلغاء صحبة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وينشد * * * * * * * *

مجالسة السفيه سفاه راى * ومن عقل مجالسة الحليم
فانك والقرين معا سواء * كما قد الاديم من الاديم

فلما

فلما لزم سبر الاخوان قبل اخائهم وخبرة اخلاقهم قبل اصطفائهم فالخصال المعتبرة فى اخائهم بعد المجانسة التى هى اصل الاتفاق اربع خصال احدها عقل موفور يهدى الى مراشد الامور فان الاحمق لا تثبت معه مودة ولا تدوم لصاحبه استقامة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال البذاء لؤم وصحبة الاحمق شؤم وقال بعض الحكماء عداوة العاقل اقل ضررا من مواخاة الاحمق لان الاحمق ربما ضر ويظن انه ينفع والعاقل لا يتجاوز الحد فى مضرته وينشد

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تثق بكل اخ اخاء
وان خيرت بينهم فالصق * باهل العقل منهم والحياء
فان العقل ليس له اذا ما * تفاضلت الفضائل من كفاء

والخصلة الثانية الدين الواقف بصاحبه على الخيرات فان تارك الدين عدو نفسه فكيف ترجى منه مودة غيره وقال بعض الحكماء اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والراى والادب فانهم رداء لك عند حاجتك ويد عند نائبتك وانس عند وحشتك وزين عند عافيتك وينشد لحسان بن ثابت

اخلاء الرخاء هم كثير ۞ ولكن فى البلاء هم قليل
فلا تغررك خلة من تواخى ۞ فمالك عند نائبة خليل
وكل اخ يقول انا وفى ۞ ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين ۞ وذاك لما يقول هو الفعول

﴿والخصلة الثالثة﴾

ان يكون محمود الاخلاق مرضي الافعال مؤثراً للخير امرا به
تاركا للشر ناهيا عنه فان مودة الشرير تكسب الاعداء
وتفسد الاخلاق ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث ندامة
وملامة وقال ابن المعتز اخوان السوء كشجرة النار يحرق
بعضها بعضا

﴿ والخصلة الرابعة ﴾

ان يكون لكل واحد منهم ميل الى صاحبه ورغبة في مواخاته
فان ذلك اوكد في حال المواخات واشد لاسباب المصافات
لانه ليس كل مطلوب اليه طالبا ولا كل مرغوب فيه راغبا
ومن طلب مودة ممتنع عليه ورغب في زاهد فيه
كان معنى خائبا كما قال البحترى

طلبت منك مودة لم اعطها * ان معنى طالب لا يظفر

وقال العباس بن الاحنف

فان كنت لا يدنيك الا شفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع
واقسم ما تركى عتابك عن قلى * ولكن لعلمي انه غير نافع
فانى اذا لم الزم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

فاذا استكملت هذه الخصال في الانسان وجب اخاؤه
وتعين اصطفاؤه وبحسب وفورها فيه يجب ان يكون
الميل اليه والثقة به فان الاخوان على طبقات مختلفة
لكل واحد منهم حال يختص بها في المشاركة وثلمة يسدها
في الموازرة وليس تتفق احوال جميعهم على حالة واحدة وقال
بعض الحكماء الرجال كالشجر شرابه واحد وثمرته مختلفة
وقال المامون الاخوان ثلاث طبقات طبقة
كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء تحتاج اليه احيانا

وطبقة كالداء لا يحتاج اليه ابدا ولعمري ان الناس كلهم على ما وصف وليس من كان منهم كالداء من الاخوان المعدودين بل هم من الاعداء المحذورين وانما يداجون بالمودة استكفافا من شرهم وتحرزا من مكاشفتهم وقد قال بعض الحكماء مثل العدو الضاحك اليه كالحنظلة الخضرة اوراقها القاتل مذاقها وينشد ليزيد بن الحكم الثقفي

تكاشرني كرها كانك ضاحك * وعينك تبدي ان صدرك لي دوي
لسانك معسول ونفسك علقم * وشرك مبسوط وخيرك منطوي
فليت كفافا كان خيرك كله * وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

وقال بعض الصحابة انا نصافح ايديا نرى قطعها وقال ابو ذر او غيره انا لنضحك في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقد قال بعض الشعراء

رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لي موتا لم يطع
ويراني كالشجا في حلقه * عسرا مخرجه ما ينتزع
ويحييني اذا لاقيته * واذا يخلو له لحمي رتع

فاذا خرج من كان كالداء من عدد الاخوان فالاخوان هم الصنفان الاخران من كان منهم كالغذاء وكالدواء لان الغذاء قوام النفس وحياتها والدواء علاجها وصلاحها فافضلهم من كان كالغذاء لان الحاجة اليه اعم فينبغي لمن وجده الزمان مثله وقل ان يكون له مثل لانه اعز من الكبريت الاحمر واغلى من نفيس الجوهر فالواجد لهذا ينبغي له ان يعض عليه بنواجذه ويكون به اشد شحا من نفائس امواله لان نفع الاخوان اعم من نفع المال وينشد

للفرزدق

* يمضي اخوك فلا تلقى له خلفا * والمال بعد ذهاب المال يكتسب

ثم لا ينبغي ان يزهد فيه لخلق او خلقين يكرههما منه اذا رضي سائر اخلاقه فان الكمال معوز وقد قال الكندي كيف تريد من صديقك خلقا واحدا وهو ذو طبائع اربع مع ان نفس الانسان لا تجيب الى طاعته احيانا فكيف بنفس غيره وحسبك ان يكون لك من اخيك اكثره وقد قال ابو الدرداء معاتبة الاخ خير من فقده وينشد لابي تمام الطائي

ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما باخيك كله *

وقد قال بعض الحكماء طلب الانصاف من قلة الانصاف قال الشاعر

ومن الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

روى عن جعفر بن محمد انه قال لابنه من غضب من اخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءا فاتخذه لنفسك خلا وعن الحسن بن وهب انه قال من حقوق المودة اخذ عفو الاخوان والاغضاء عن تقصير ان كان وعن علي في قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وهكذا ان لا يسيء الظن به مالم يتيقن تغييره وينشد لابن الرومي

هم الناس والدنيا ولابد من قذى * يلم بعين او يكدر مشربا

ومن قلة الانصاف انك تبتغي * المهذب في الدنيا ولست المهذبا

واما الملول من الاخوان فهو سريع التغير وشيك التنكر فوداده خطر واخاؤه غرر وهم نوعان منهم من يكون ملله استرلحة

ثم يعود الى المعهود من اخائه فهذا اسلم المللين واقرب الرجلين يسامح في وقت استراحته ليرجع الى الحسنى من مودته وان تقدم المثل بما نظمه الشاعر حين يقول

وقالوا يعود للماء في النهر بعدما * عفت منه اثار وجفت مشارعه
فقلت الى ان يرجع الماء عائدا * وتشعب شطاه تموت ضفادعه

ولكن من هذا مللة لا ينبغي ان يطرح حقه بالتوهم وتسقط حرمته بالظنون ومنهم من يكون مللة تركا واطراحا لا يرجع لخاء ولا ودا ولا يتذكر حفاظا ولا عهدا وهذا ذم الرجلين حالا لان مودته من وساوس الخطرات وعوارض الشهوات فينبغي ان يقلع عنه قبل الخلطة بحسن المتارك ومثل هذا كما قال ابن هرمة

فانك واطراحك وصل سلمى * لاخرى في مودتها نكوب *
كثاقبة لحلي مستعار * باذنيها فشانتها الثقوب *
فادت حلي جارتها اليها * وقد بقيت باذنيها ندوب

فصل في حق الاخوة والصحبة

اعلم ان الاخوة نوعان احدهما اخوة الدين والثاني اخوة الدنيا فاخوة الدين اثبت في الدنيا والاخرة واحمد عاقبة واكثر منفعة وارجى يوم القيامة شفاعة الا ترى الى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخ يذكرك امر اخرتك خير لك من اخ يعطيك كل يوم دينارا وعن ابي بكر رضي الله عنه انه قال دعوة الاخ لاخ في الله

تستجاب وروى انه قيل يارسول الله اى الاصحاب خير
قال الذى اذا ذكرت اعانك واذا نسيت ذكرك وقد
تقدم من حقوق الله ما يكفى وقد قال ابو بلال مرداس رحمه
الله * *

من كان من اهل هذا الدين كان له * ودى وشاركته فى تالد المال
الله يعلم انى لا احبهم * الا لوجهك دون العم والخال

واما اخوة الدنيا فانما يحتاج اليها الانسان للاستعانة
بها فى المهمات وجر المنافع ودفع النوائب والملمات ولكن
ينبغى للانسان ان يختار لنفسه من صفته كما قال
الشاعر * * *

اصحب من الاخوان من وده * اصفى من الياقوت والجوهر
ومن اذا سرك اودعته * لم يذكر السر الى المحشر
ومن اذا اذنبت ذنبا اتى * معتذرا عنك ولم يهجر
ومن اذا ما غبت من عينه * اقلقه الشوق ولم يصبر

وقد قال بعض الحكماء اخلص الناس مودة
من لم تكن مودته عن رغبة ولا رهبة وهذا قليل فى
الوجود لان الكامل معدوم غير موجود ثم اذا صفت عند
الانسان اخلاق من اختبره واتخذه اخا يرجو نفعه وخيره
لزمته حقوقه ووجبت عليه حرمته وقد قال بعض
السلف العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال
بعض الحكماء من جادلك بمودة فقد جعلك عديل نفسه
فاول حقوقه اعتقاد مودته ثم ايناسه بالانبساط
اليه فى غير محرم ثم نصحه فى السر والعلانية وقد قال

عليه السلام ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة
من نهار الا يسئل عن صحبته يوم القيامة هل ادى فيها
حق الله او ضيعه وقال ايضا ما اصطحب اثنان الا كان
احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وعن الزيدى انه قال
اتيت الخليل بن احمد فوجدته قاعدا على طنفسة فوسع لى
فكرهت التضييق عليه وقال انه لا يضيق سم الخياط على
متحابين ولا تتسع الدنيا على متباغضين وقد قال صلى الله
عليه وسلم لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه
ومنها تخفيف الاثقال عنه ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة
او يناله من نكبة فان مراقبته فى الظاهر دون السر نفاق
وتركه فى الشدة لوم وذلك من طباع اخوان العلانية اعداء
السريرة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
خير اصحابك المعين لك على دهرك وشرهم من سعى لك
بسوء فى يومه وعن على انه قال خير اخوانك من واساك
وخير منهم من كفاك وينشد

وكل اخ عند الهوينا ملاطف * ولكنما الاخوان عند الشدائد

وقيل لبعض السلف ما الذى يجب على الاخوان اذا اجتمعوا
قال التواصى بالحق والتواصى بالصبر قال الله تعالى
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ومن حق الصاحب على
الصاحب ان يحفظه من جميع ما يسوءه او اراد ظلمه اذا قدر
على ذلك ويواسيه بنفسه وماله ويروى ان رجلا جاء
الى ابى هريرة وقال انى اريد ان اواخيك فقال اتدرى
ما حق الاخاء قال لا قال لا تكن احق بدينارك ودرهمك

وثوبك منى قال ان لم ابلغ هذه المنزلة قال فاذهب اذا وكان يقول لان اعطى اخا فى الله درهما احب الىّ من ان اتصدق بعشرين ولان اعطى اخا فى الله عشرين احب الى من ان اتصدق بمائة وهدية اهديها اخى فى الله احب الىّ من ان اعتق رقبة وينشد لصالح بن عبد القدوس

شر الاخاء من كانت مودته * مع الزمان اذا ما خاف اورغبا
اذا وترت امرءا فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لايحصد به عنبا
ان العدو وان ابدا مسالمة * اذا راى منك يوما فرصة وثبا

وينبغى ان يتوقى الافراط فى محبته فان الافراط داع الى التقصير لان تكون الحال بينهم باقية * اولى من ان تكون متناهية * وقد روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يومًا ما وعن عمر رضى الله عنه انه قال لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وينشد لابى الاسود الدؤلى

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْخَيْرِ وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى * فَإِنَّكَ رَاءٍ مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ
وَاحْبِبْ اِذَا اَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا * فَإِنَّكَ لَاتَدْرِى مَتَى اَنْتَ نَازِعُ
وَابْغِضْ اِذَا اَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ * فَإِنَّكَ لَاتَدْرِى مَتَى اَنْتَ رَاجِعُ

وانما يلزم من حق الاخاء بذل المجهود فى النصح والتناهى فى رعاية ما بينهما من الحق وتستوى حالتهما فى المغيب والمشهد

وهكذا يقصد التوسط في زيارته فان تقليل الزيارة داع الى الهجران وكثرتها سبب الملل وقد قال عليه السلام يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وينشد للبيد

توقف عن زيارة كل يوم * اذا اكثرت ملك من تزور *

وقال الاخر

اذا شئت ان تقلى فزر متواترا * واذا شئت ان تزداد حبا فزر غبا

وبحسب ذلك فليكن عتابه لاخيه فان كثرة العتاب سبب القطيعة واطراح جميعه دليل على قلة الاكتراث بامر الصديق وقد قال بعض الحكماء لاتكثرن معاتبة اخوانك فيهون عليهم سخطك ومن حق الاخوان ايضا ان يغفر هفواتهم * ويستر زلاتهم * لان من رام بريئا من الهفوات * سليما من الزلات * رام امرا معوزا * وطلب وصفا معجزا * وقد قالت الحكماء اى عالم لايهفو وصارم لا ينبو وجواد لايكبو وقال بعض العلماء لاتصحب من تحب ان لايراك الا معصوما وقالوا من حاول صديقا يأمن زلته كان كضال الطريق الذي لايزداد لنفسه اتعابا الا ازداد عن غايته بعدا وقيل لخالد بن صفوان اي اخوانك احب اليك قال من غفر زلتي وقطع عللي * وبلغني املي وينشد لبشار بن برد * * *

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم يبق الذى لا تعاتبه
وان انت لم تشرب مرارا على القذا * ظمات واي الناس يصفو مشاربه
فعش واحدا وصل اخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

ويحكى الاصمعي عن بعض الاعراب انه قال تناس

مساوي الاخوان يدم لك ودهم واوصى بعض الادباء اخاله فقال كن للود حافظا وان لم تجد محافظا وللخل واصلا وان لم تجد مواصلا وعن اكثم بن صيفي انه قال من تشدد نفر ومن تراخى تالف والشرف في التغافل وعن شبيب بن شيبة انه قال الاديب العاقل هو الفطن المتغافل وقال بعض الحكماء وجدت اكثر امور الدنيا لا تجاوز الا بالتغافل وينشد

ليس الغبي بسيد في قومه * ولكن سيد قومه المتغابي

ومن حقوق الاخ على الاخ ايضا ان ينصحه في امر دينه ودنياه ويعلمه ما جهل من العلم الواجب عليه ويواسيه بنفسه وماله ويامره بالمعروف وينهاه عن المنكر وان رءى له زلة فليتجرد عنها وليستتبه منها وليسترها عليه وليحب له ما يحب لنفسه ومهما اساء اليه اخوه فاعتذر اليه فليقبل عذره وقد قال عليه السلام من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل كان عليه مثل وزر صاحب مكس وينشد لابي العتاهية

ان في صحة الاخاء من الناس * وفي خلة الوفاء لعله

فالبس الناس ما استطعت على * النقص والا لم تستقم لك خله

عش وحيدا ان كنت لا تقبل * العذر وان كنت لا تجاوز زله

من اب واحد وام خلقنا * غير انا في المال اولاد عله

وعن علي بن ابي طالب انه قال خيركم من وصل واعان ونفع وعن الحسن انه قال كان احدهم يشق لاخيه ازاره باثنين وسئل ابن عمر ما حق المسلم على المسلم فقال ان لا تشبع ويجوع وتلبس ولا يلبس وينبغي ان لا يبحث عن خفي احوال الناس

فضلا عن اخيه وقد قال

ماكدت الخص عن اخي ثقة ❊ الا ذممت عواقب الفحص

فصل

وينبغي للعاقل ان يتالف الاعداء باظهار التودد والمدارات وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وامرت بمدارات الناس كما امرت بالفرائض وقد قال بعض البلغاء من استصلح عدوه زاد في عدده ومن استفسد صديقه نقص من عدده والتودد والمدارات من سمات الفضل وشروط السودد فانه ليس احد يعدم عدوا ولا يفقد حاسدا وبحسب وفور النعمة تكثر الاعداء والحسدة فمن اغفل تالف الاعداء مع وفور النعمة وظهور الحسد توالى عليه من مكر حليمهم وبادرة سفيههم ما تصير به النعمة غراما عليه وقال بعض الادباء العجب ممن يطرح عاقلا كافيا لما يظهره من عداوته ويصطنع عاجزا جاهلا لما يظهره من محبته وهو يقدر على استصلاح من يعاديه بحسن صنائعه واياديه وينشد للتنوخي

الق العدو بوجه لا قطوب به * يكاد يقطر من ماء البشاشات

فاحزم الناس من يلقى اعاديه * في جسم حقد وثوب من مودات

الرفق يمن وخير القول اصدقه * وكثرة المزح مفتاح العداوات

وللشافعي فيما قيل

لما عفوت ولم احقد على احد * ارحت نفسي من هم العداوات

الى احيى عدوى عند رؤيته ۞ لادفع الشرعنى بالتحيات
واظهر البشر للانسان ابغضه ۞ كانما قد حشى قلبى مودات
الناس داء وداء الناس قربهم ۞ وفى اعتزالهم قطع المودات
وقال بعض الحكماء من علامات الاقبال اصطناع الرجال
وروى ان حكيما سمع رجلا يذم الزمان واهله وانه فسد
الزمان ولم يبق احد يصحب فقال له يا هذا انت طلبت صاحبا
تؤذيه فلا ينتصر وتنال منه ولا ينتصف وتاكل رحله ولا
يرزؤك بشيء وتجفو عليه ويحلم فلم تنصف فى الطلب فمن ذلك
لم تجد حاجتك ولكن اردت صاحبا يوذيك فلا تنتصر ويجفوك
ولا تنتقم وياكل رحلك فلا تنال منه شيئا وجدت اصحابا واخوانا
وخلانا وانا اول من يصحبك وهذا كما قال بعض المشايخ
ان اردت ان تصطحب مع اهل زمانك فاجعل قبيحهم احسانا
واعوجاجهم استقامة وان ظلموك فتب لهم كما قيل
اذا مرضنا اتيناكم نعودكموا * وتذنبون فناتيكم فنعتذر ۞
وهذا من اخلاق الصديقين وانبياء الله المرسلين والذى يعامل
هذه المعاملة هو الذى جعله المامون من داء الاخوان لامن دوائهم
ومن سمهم لامن غذائهم وقد قال بعض الحكماء اشر
ما فى الكريم ان يمنعك خيره وخير ما فى اللئيم ان يكف عنك
شره غير ان فساد الزمان وتغير اهله يوجب شكر من كان
شره مقطوعا وان كان خيره ممنوعا كما قال المتنبى
انا لفى زمن ترك القبيح به * من اكثر الناس احسانا واجمال
وقد روى عن المغيرة بن شعبة انه قال التارك للاخوان متروك
ومن كان كذلك فهو كالصورة الممثلة يروعك حسنها ويعوزك

نفعها

من السؤلين من يرجوعنده دفع حاجته وادراك بغيته وفي الحديث اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه وقيل للحسن وهو من نقلة هذا الحديث يعني صباح الوجوه فقال انما يعني البشر والتهلل في الوجوه عند قضاء الحوائج ويروى ان سائلا سال مالك بن دينار فقال يا ابا يحيى تصدق على بشئ فدخل مالك بيته فلم يجد الا شيئا من التمر فناوله اياه فقال يا ابا يحيى رضي الله عنك واعتقك من النار فقال الى تقول فقال نعم فدخل بيته فلم يجد الا قطيفة كان يلبسها في الشتاء ويفترشها في الصيف فناوله اياها فقال له يا ابا يحيى رضي الله عنك واعتقك من النار فقال الى تقول هذا فقال نعم فنزع عمامته من على راسه فناوله اياها فقال السائل يا ابا يحيى رضي الله عنك واعتقك من النار فقال يا هذا لم يبق معي شئ فخذ بيدي وادخلني السوق فبعني باي ثمن شئت فانصرف السائل عنه وعن عيسى عليه السلام انه قال من رد سائلا لم تغش الملائكة بيته سبعة ايام وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده ويقال ان لله وجوها من خلقه اختصهم بالنعم لمنافع العباد فاذا منعوها حولها الى غيرهم فينبغي لمن وقف عليه السائل ان يعطيه من خير ما عنده وذكر ان رجلا بالبصرة راسه في حجر امراته تطعمه التمر والزبد اذ وقف عليه سائل بالباب فقال السلام عليكم يا اهل الدار اطعموني مما تاكلون قال فقامت المراة لتعطيه التمر والزبد فانتهرها فقال اما اعطه كسرة يابسة ففعلت فلما ان

ويقال من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر ولا ينبغي ان يتدنس بمطالب الشوم ومطالع اللوم ويتضرع للارذال ويتذلل للانذال وقد يقال في التوراة من تضعضع لغني لينال ما في يده احبط الله ثلثي دينه واما اذا كان السؤال لضرورة نازلة وفاقة حالة فلا حرج عليه في السؤال ولا لوم وقد قال بعض الحكماء * الضرورة توقح الصورة * وينشد للكميت *

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا راى للمضطر الا ركوبها

ويحكى عن بعض الماضيين انه قال خرجنا حجاجا فلما صرنا ببعض المناهل غشينا فقراء البادية من كل جانب وجعلت جارية منهم تتخطى الرقاب وتسال بلسان اعذب من الماء وارق من الهون قال فقمت اليها فنظرت الى وجه يملا العيون حسنا فتعوذت بالله من الشيطان الرجيم فلما وقفت على رحلنا قلت لها يا جارية ايحل لك اظهار هذا الوجه في مثل هذا الموقف فلطمت وجهها لطما رفيقا وقالت

قد صنته وحجبته حتى اذا * لم يبق لي طمع وما ت الهيثم
ابرزته من خدره مقهورة * والله يشهد لي بذاك ويعلم
كشف الزمان قناعه في بلدة * قل الصديق بها وعز الدرهم
ويعز ذاك على الا انه * زمن يجور كما تراه ويظلم

قال فقلت لها من انت قالت بنت الهيثم الشيباني توفي وبقيت في عيال الله به عليم قال فاعطيتها بعض ما كان عندي من النفقة ويقال لو علم المسؤل ما عليه لا عطى حتى لا يمسك شيئا وينبغي للسائل المضطر ان يتخير

اربعون درهما وعنه عليه السلام انه قال لا تحل المسالة
الا لثلاث غرم مفضع او فقر مدقع او دم موجع وروي
عن قبيصة بن مخارق انه قال تحملت حمالة فاتيت النبي
صلى الله عليه وسلم اسأله فيها فقال نؤديها عنك اذا جاءت
ابل الصدقة يا قبيصة ان المسألة حرمت على الا في ثلاث
رجل تحمل بحمالة فالمسألة حلال حتى يؤديها ثم يمسك ورجل
اصابته جائحة حتى جاحت ماله يسئل حتى يصيب قوام العيش
ثم يمسك ورجل اصابته حاجة او فاقة حتى شهد له ثلاثة
من اهل الحجا من قومه ويسألهم حتى يصيب قواما من
عيش ثم يمسك وما سوى ذلك فهو سحت واما المكروه
فهي مسألة من له اوقية كما تقدم وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من سال على ظهر غنى جاءت
مسالته يوم القيامة خدوشا او خموشا او كدوحا في وجهه
قيل وما حد الغنا قال خمسون درهما او عدلها فضة
او قال ذهبا ويقال لن تزال المسألة بالعبد حتى
ياتي يوم القيامة وليس في وجهه مدغة لحم

(فصل)

والذى ينبغي للمسلم والاليق به التعفف عن السؤال وصيانة
النفس والتجمل بحسن الحال ويكون كما قال الشاعر
حيث يقول

وقد يكتسي المرء خز الثياب * ومن دونها حالة مضنيه
كما يكتسي وجهه حمرة * وعلتها ورم في الرية

اليمانى يا عطاء لا تنزلن حاجتك بمن غلق دونك بابه وجعل عليه حجابه ولكن انزلها الى من بابه مفتوح الى يوم القيامة امر عباده بالدعاء وضمن لهم الاجابة وينشد

لا تضرعن لمخلوق على طمع * فان ذلك وهن منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه * فانما الرزق بين الكاف والنون

ويقال لو علم السائل ما عليه لجعل الحجر فى فمه حتى لا يسئل وروى ان اعرابيا سال النبى صلى الله عليه وسلم فالح عليه يقول يا رسول الله اطعمنى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المنزل فاخذ بعضادتى الحجرة فاقبل على الناس بوجهه فقال والذى نفسى بيده لو تعلمون من المسألة ما اعلم ما سال رجل رجلا وهو يجد ليلة تبيته ثم امر له بطعام ويقال المسألة على ثلاثة اوجه مسألة محرمة ومسألة مباحة ومسألة مكروهة فاما المسألة المحرمة فهى مسألة من اظهر على نفسه الفقر وليس بفقير او اظهر على نفسه معنى معلوما وهو لم يرده مثل الحج او النكاح او انتسب الى قوم وليس منهم وما اشبه ذلك لان هذا من باب اكل اموال الناس بالخداع والاحتيال وقد قال عليه السلام المكر والخديعة فى النار * (واما المسألة المباحة) * فهو مسألة من لا يجد غنا يغنيه وذلك غداء وعشاء وفى الحديث عنه عليه السلام انه قال من سال وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جهنم قالوا يا رسول الله وما يغنيه قال ما يغديه ويعشيه وعنه عليه السلام انه قال من سال ومعه اوقية فقد سال الناس الحافا والاوقية

او قال صاع من طعام فاسال الله فرجع الرجل الى امراته
فقالت ما قال لك فاخبرها فقالت له نعم ما ردك اليه
فما لبث ان رد الله عليه ابله وابنه فاتى النبى صلى الله
عليه وسلم فاخبره فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فامر
الناس بمسالة الله والرغبة اليه وقرا ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب * وعن ابى سعيد
الخدرى انه قال اصبحت يوما وليس عندنا طعام وقد
عصبت على بطنى حجرا من الجوع فقالت لى امراتى لو اتيت النبى
صلى الله عليه وسلم فتسأله فقد ساله فلان فاعطاه فاتيته
كى التمس شيئا فذهبت اطلب فانتهيت الى النبى عليه السلام
وهو يخطب ويقول فى خطبته من يستعفف يعففه الله ومن
يستغن يغنه الله ومن سالنا شيئا فوجدناه اعطيناه وواسيناه
ومن استغنى عنا واستعفف فهو احب الينا ممن يسألنا
قال فرجعت وما سالته شيئا فرزقنا الله حتى لا اعلم
اهل بيت من الانصار اكثر اموالا منا وفيما يروى عن لقمان
الحكيم انه قال لابنه يا بنى اذا افتقرت فافزع الى ربك
وحده فادعه وتضرع اليه واسأله من فضله وخزائنه
فانه لا يملكها غيره فلا تسال الناس فتهون عليهم ولا يسدوا
اليك شيئا وينشد لمحمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة او راغب
فاذا تلطف فى الدخول اليهم * عاف تلقوه بوعد كاذب
فاطلب الى ملك الملوك ولا تكن * يا ذا الضراعة طالبا من طالب

وروى عن عطاء السلمى انه قال قال لى طاوس

كعب قال يطمع الرجل فى الشئ فيطلبه فيذهب عليه
دينه والشره تشره النفس فى هذا وفى هذا حتى لا تحب
ان يفوتها شئ فتكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة
فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن
منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت
به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله ولم تعده لله فلولم يكن
لك اليه حاجة لكان خيرا لك ثم قال له هذا خير
لك من ماية حديث عن فلان وفلان وعن على بن ابى
طالب او غيره انه قال استغن عمن شئت فانت نظيره
فاحتج الى من شئت فانت اسيره فاحسن الى من شئت
فانت اميره ويقال اترك الطمع يتركك الفقر واحمل
نفسك على ما لك يحملك وانزع الطمع من قلبك يحل القيد
من رجلك ويقال من طمع فى مال غيره نزعت
البركة من ماله ويقال من ترك سؤال الناس عز
عليهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليد
العليى خير من اليد السفلى وعنه عليه السلام انه قال
لا تلحوا فى المسالة فانه لا يسالنى انسان فيخرج له فى السؤال
شئ وانا كاره الا لم يبارك له فيه وعنه عليه السلام
انه قال لان ياخذ احدكم حبلا فياتى به راس جبل
فيحتطب ثم يحمله فيبيعه خير له من ان يسال الناس اعطوه
او لم يعطوه وروى عنه عليه السلام ان رجلا اتاه
فقال له ان بنى فلان اغاروا على فذهبوا بابلى وابنى فقال
عليه السلام ان آل محمد لكذا وكذا اهل بيت ما عندهم مد

وليلة والضيافة ثلاثة ايام وما وراء ذلك صدقة ولايحل
له ان يثوى عنده حتى يحرجه وقال لاخير فيمن لا يضيف
ويقال الاضياف ثلاثة ضيف يسير فى طلب العلم وضيف
يسير فى زيارة من ينبغى له ان يزوره من اخ فى الله او رحم وضيف
صاحب حاجة ادركه الليل قبل الوصول اليها فهولاء واشباههم
اضياف تجب على الناس ضيافتهم كافة اذا لم يكن لهم طعام والله
اعلم وقد ذكرت جملة من حقوق الضيف وغيره فى كتابنا المسمى
بقواعد الاسلام فلا نطيل الكتاب باعادتها ههنا والله اعلم

فصل

واما السائلون فقد اوجب الله تعالى حقهم فقال واتى
المال على حبه الى قوله والسائلين وذلك اذا دعتهم الضرورة
الى السؤال والا فعز المؤمن تجمله فى فاقته واستغناؤه بربه
عن خلقه وقد اثنى الله على قوم فقال يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف الى قوله الحافا وعن النبى عليه السلام
انه قال عز المؤمن استغناؤه عن الناس وقال ان
الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال ايضا سلوا
الله من فضله وافضل العبادة انتظار الفرج فان الله يحب ان
يسئل من فضله ويقال كثرة طلب الحوائج الى الناس تميت
القلب وتورث الذل وتذهب بنور الوجه وعن عبد الله
بن سلام انه قال قلت لكعب الاحبار ما الذى يذهب
العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوه وعقلوه قال الطمع
وشره النفس وطلب الحوائج فقيل للفضيل فسر لى قول

كعب

مع ما اتاه الله من الملك اذا دخل المسجد فنظر الى مسكين
فجلس اليه فقال مسكين جلس الى مسكين وقيل ما من كلمة
كانت تقال لعيسى عليه السلام احب اليه من ان يقال له
يا مسكين وعن كعب الاحبار انه قال ما فى القران من يا ايها
الذين امنوا فهو فى التوراة يا ايها المساكين وعن الفضيل انه
قال بلغنى ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لى ان اعلم
علامة رضاك عنى فقال علامة ذلك ان تنظر كيف
رضى المساكين عنك * وينشد

لا تغد عيناك مسكينا تلاقيه * فانما هى اقسام وارزاق
وكم محب له يرجو شفاعته * وللمساكين يوم الحشر اسواق

وجملة حقوق المساكين ان لا يتكبر الانسان عليهم من اجل
فقرهم وان يعطيهم الحقوق التى اوجبها القران لهم من الزكاة
والكفارات وخمس الغنيمة وواجب الصدقات وان يعطف
عليهم وينظر اليهم بعين الرحمة وان لا يتركهم يموتوا جوعا
اوعطشا وهو قادر على انجائهم من ذلك ويوفيهم جميع حقوق
اهل القبلة وان كانوا اهل ولاية فلهم حقوق اهلها من المودة
والاستغفار والله اعلم * (واما ابن السبيل) * فله
ايضا حق على من اجتاز اليه وهذا اذا خرج عن الاميال
وانقطع عن اهله وماله ولم يجد من يسلف له ولا يبيع
له واما من يتردد فى البلدان متفرجا من كرب البطالة
وليست له حاجة هو قاصد اليها فلا حق له فى الضيافة واما
حق الضيف فهو واجب على من نزل به لقول النبى عليه السلام
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته يوما

يساء اليه * (فصل) * وحقوق اليتامى واجبة على كافة
المسلمين في جميع مصالحهم ان لم تكن لهم الاولياء والاوصياء
فعلى حاكم المسلمين القيام بهم وان لم يكن فجماعة المسلمين
وليستخلفوا لهم امينا ثقة يقوم بمصالحهم كما يقوم بها لنفسه
وان قام بهم احد من غير ان يكون لهم خليفة فقد اجزاعن
الناس وقد قالت المشايخ رحمهم الله ثلاثة علمهم فيما
يصلح لهم اليتيم والغائب والزكاة واظن الوديعة والمسجد
ايضا وكذلك الغياب وجب ايضا على الناس حفظا اموالهم
بالخلائف يعملون فيها كل ما يصلح لهم حتى يقدموا عليها
او يموتوا فتصلح لورثتهم وقد رخص الله تعالى للاوصياء
في مخالطة اليتامى فقال ويسالونك عن اليتامى قل
اصلاح لهم خير الاية وان لم يكن لليتيم مال ولا يقدر
على الاكتساب فعلى المسلمين القيام به من اموالهم ولا يترك
للضيعة وكذا الفقير والمسكين والمنبوذ وان تركوهم حتى ماتوا
جوعا وهم يقدرون على تنجيتهم فقد هلكوا والله اعلم * *
واما المساكين فقد اوجب الله لهم الحقوق ايضا وقال
وات ذا القربى حقه والمسكين الاية وذم من لم يحض على طعام
المسكين ولا يكرم اليتيم فقال بل لا تكرمون اليتيم
ولا تحضون على طعام المسكين ثم اخبر عن اهل النار حين
سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم
نك نطعم المسكين الاية وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمان عليه السلام

انه قال اصنع المعروف الى من هو اهله والى من هو ليس باهله فان اصبت اهله والا فانت اهله وعنه عليه السلام انه قال ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وفعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة ويحييها ويحيى بها اهلها والله اعلم

الباب الثامن في الافضال الواجب في الاموال

قال الله سبحانه ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الى قوله واتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب الاية اما ذوى القربى فقد تقدم الكلام فيهم واما اليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلون فسنشير الى لمع من حقوقهم ان شاء الله اما اليتامى فهم ضعفاء الله فى ارضه وقد امر الله سبحانه العباد بالاحسان اليهم واوجب لهم حقوقا وانفذ الوعيد الشديد في اكلة اموالهم فقال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ربى يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة وعنه ايضا انه قال انا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة واشار بالسبابة والوسطى وقال من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة مر عليها بيده حسنة وقال عليه السلام خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم

الخلق مع الخلق والمشاورة عند المحاورة والاستغفار لذوى الاستكثار والعفو فى العمد والسهو وجمعهن فى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر وقال بعض الشعراء

بنى ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين

وقيل للعتابى انك تلقى العامة ببشر وتقريب فقال دفع ضغينة بايسر مؤنة واكتساب اخوان باهون مبذول وقيل فى منثور الحكم من قل حياؤه قل احباؤه وانشد لبعضهم

المرء لا يعرف مقداره * ما لم يبين للناس افعاله
وكل من يمنعني بشره * فقل ما ينفعني ماله

واما العمل فهو بذل الجاه والاسعاد بالنفس والمعونة فى النائبات وهذا يبعث عليه حب الخير للناس وايثار الصلاح لهم وليس فى هذه الامور سرف لانها وان كثرت فهى افعال خير تعود بنفعين نفع على فاعلها من اكتساب الاجر وجميل الذكر ونفع على المعان بها فى التخفيف عنه والمساعدة له وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال كل معروف صدقة وعنه ايضا انه قال المعروف كاسمه واول من يدخل الجنة يوم القيامة المعروف واهله وعن عيسى عليه السلام انه قال كل معروف عملته فى غنى او فقير فهو صدقة والدال على الخير كفاعله والله تحب اغاثة الملهوف وعن عيسى عليه السلام انه قال استكثروا من شئ لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وعنه عليه السلام

انه

ويقال المروءة ست خصال ثلاثة في السفر وهي بذل الزاد
وحسن الخلق ومداعبة الرفيق وثلاثة في الحضر وهي تلاوة
القرءان ولزوم المساجد وعفاف الفرج وعن حذيفة رضى
الله عنه انه قال رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة
بسماحته وقال بعض علماء السلف البخل هو اسالك المال
عن العرض الذى هو اهم من حفظ المال وصيانة الدين اهم
من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل قال وصيانة
المروة اهم من حفظ المال قال والمضايق في الدقايق
مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة فهو ايضا
بخيل والله اعلم * (واما البر واسداء المعروف) *
فيبعث عليهما سماحة النفس وسخاءها المالوف وهي في ذلك
قسمان احدهما صلة بالحقوق الواجبة في اموال المثرين
من الزكاة والكفارات واصناف النفقات وغير ذلك من
حقوق المساكين وابن السبيل وغيرهم من تنجية المضطرين
بالجوع والعطش والدفع عن المظلومين والقسم الثاني
اسداء المعروف وهو ايضا يتنوع نوعين قولا وعملا فاما
القول فهو طيب الكلام وحسن البشر والتودد بجميل القول
وهذا يبعث عليه حسن الخلق ورقة الطبع وينبغي ان
يكون محمودا فانه ان اسرف فيه كان مقلدا مذموما وان
اقتصد فيه كان معروفا وبرا محمودا وعن ابن عباس رضى
الله عنه في قوله تعالى والباقيات الصالحات الاية انها الكلام
الطيب وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس ويقال
ادب الله رسوله بخمس لين الجانب مع الاجانب وحسن

الفصل الاول فى واجب المروة والبر

اعلم ان الواجب بالمروة هو المسامحة وترك المضايقة فى المحقرات والاستقصاء فى المعاملات وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له اى الاعمال افضل فقال السماحة والصبر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن سمح اذا باع سمح اذا اشترى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وعنه عليه السلام انه قال ان بدلاء امتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدر والنصح للمسلمين وروى ان معاوية سال الحسن بن على عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بصنيعه وحسن المنازعة والاقدام فى الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والانعام فى الجدب والرافة بالسائل مع بذل النائل وقال بعض الشعراء

وفتى خلا من ماله * من المروة غير خالى
اعطاك قبل سؤاله * وكفاك مكروه السؤال

وحقوق الاخوان اكثر من ياتى عليها كتابى هذا وفيما ذكرنا كفاية والله المستعان

الباب السابع فى حق المروة والبر

واسداء المعروف والخير وهو من اسباب الالفة واجتماع القلوب على المحبة ولذلك ندب الله عز وجل اليه وقرنه بالتقوى وقال ‍ـ وتعاونوا على البر والتقوى لان فى التقوى رضى الله وفى البر والمواسات رضى الناس فمن جمع بين رضى الله ورضى الناس فقد كملت سعادته ونعنى بالمروة والبر صرف المال الى الاغنياء والاشراف فى ضيافة وهدية واعانة لان بذلك يكسب العبد الاخوان والاصدقاء ويلتحق بزمرة الاسخياء الذين هم سادات الناس فى الدنيا فلا يوصف بالجود الا من يصنع المعروف ويسلك سبيل المروة وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت هذه القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وحكى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام ان ذكر عبادى احسانى اليهم فان عبادى لا يحبون الا من احسن اليهم وفى الحديث الناس كلهم عيال الله فاحبهم اليه انفعهم لعياله ونظمه بعضهم فقال ‍ـ

الناس كلهم عيال الله تحت ظلاله ❊
فاحبهم طرا اليه انفعهم لعياله ❊ ❊

وهذا الباب ينحصر فى فصلين احدهما فى المروة والبر والثانى فى اسداء المعروف وحق الضيف وابن السبيل واغاثة

وهذا باب اختلط على اكثر الناس فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون وقال الامام الحضرمي

لم يرض ولنا قديما مداهنة * فى دينهم وكذا لم يرض اخرنا

فليس وان كان الانسان مامورا بتالف الاعداء ومداراتهم فلا ينبغي ان يكون اليهم راكنا ولابهم واثقا بل يكون منهم على حذر ومن مكرهم على تحرز فان العداوة اذا استحكمت فى الطباع صارت طبعا لا تستحيل ولا تزول فانما يستدفع بالتالف اظهارها كالنار يستدفع بالماء احراقها ويستفاد به انضاجها وان كانت محرقة بطبع لا يزول ولا يتغير وقد قال بعض الشعراء

واذا عجزت عن العدو فداره * وامزح له ان المزاح وفاق

فالنار بالماء الذى هو ضدها * تعطى النضاج وطبعها الاحراق

غيره

اذا بسط العدو اليك كفا * ولم تستطع لها دفعا ومنعا

فقبلها وعدلها الليالى * فان امكنتها يوما فقطعا

اعلم ان الاخ الصديق الناصح الشفيق هو الذى يعينك على التقوى* ويميط عنك الاذى* ويواسيك فى الشدة والرخا ويهدى لك عيوبك ويقومك عند اعوجاجك ويحفظك حيا وميتا وينتصر لك فى مغيبك شفقة لك وحمية كما وصفه الشافعى فيما قيل

احب من الاخوان كل موالى * وكل غضيض الطرف عن عثرات

يوافقنى فى كل امر اريده * ويحفظنى حيا وبعد ممات

فمن لى بهذا ليت انى اصبته * اقاسمه مالى من الحسنات

تصفحت اخوانى فكان اقلهم * على كثرة الاخوان اهل ثقات

نفعها وفي مثله قال بعض الحكماء اذا كان لك اخ لا تنتفع
به فصورمثاله في الحائط واظن انه قال فهو زين في العين واخف
في الحائط وينشد لابن الرومي

عذرنا النخل في ابداء شوك * تردبه الانامل عن جناه
فما للعوسج المذموم ابدى * لنا شوكا بلا ثمر نراه

واما الفرق بين المدارات والمداهنة فالمدارات مامور بها
لدفع شر الاشرار وتالفهم لجر المنافع وكفاية العار وطلب الثار
كما قيل عن ابي عبيدة مسلم رحمه الله لا تكرهوا غوغاكم فانها
مسدة لمياهكم ومطفية لنيرانكم وعن عمرو بن العاص انه قال
اكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار وقيل لا يستقيم
هذا الدين الا بالفقهاء والسفهاء والسيوف فالمدارات معناها
مخالفة الناس على اخلاقهم على وجه يسلم لك دينك وقد
روى عن بعض الانبياء عليهم السلام انه قال يارب دلني
على عمل تحبني به الناس واسلم فيما بيني وبينك قال
خالق الناس على اخلاقهم فاهل الدنيا باخلاق الدنيا واهل
الاخرة باخلاق الاخرة فاذا اسقمت المدارات صارت مداهنة
والمداهنة معناها مدارات الناس على وجه يذهب فيه
دينك كما قال تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون ويقال
سبب نزول هذه الاية ان قريشا قالوا يا محمد اعبد الهتنا
سنة نؤمن بك فابى فقالوا فشهرا فابى قالوا فيوما فابى
فقالوا فساعة فابى قالوا فاستلمها بيدك نؤمن بك فتوقف
عليه السلام وطمع ان فعل ان يؤمنوا فنزلت الاية وقيل له
لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا الخ الاية

مضى السائل شرق زوجها بالتمر والزبد فمات فاقامت المراة ماشاء الله فتزوجت فبينما هي مع زوجها تطعمه التمر والزبد كفعلها مع زوجها الاول اذ وقف سائل بالباب فقال السلام عليكم يا اهل الدار اطعموني مما تاكلون فقامت المرأة لتعطيه كسرة فقال اعطه تمرا وزبدا فضحكت المراة فقال لها ما يضحكك فقالت له ترى هذا السائل الذي تنعمت فيه انت قال نعم قالت كان صاحبه زوجي كما كنت واخبرته الخبر فقال ذلك زوجك قالت نعم قال انا والله ذلك السائل الحمد لله الذي اورثني ماله واسكنني داره واوطاني زوجته ثم قام مبادرا الى السائل فقال ادخل يا هذا فوالله لاشاطرنك ما انعم الله به علي فقال له السائل لست من سؤال الدنيا وانا ملك من الملائكة بعثني الله اليك ليختبر شكرك الحمد لله الذي جعلك لنعمته شاكرا ولفضله ذاكرا ثم غاب عنه وينبغي للسائل ان لا يصرح بالسؤال ما وجد عنه مندوحة لان في التعريض صيانة من ذل الطلب كالذي حكي ان رجلا ساير بعض الولاة فقال ما اهزل برذونك فقال يده مع ايدينا فوصفه اكتفاء بهذا التعريض الذي بلغ ما لا يبلغه صريح السؤال وفي كتاب الادب قال وحكي ان عبيد الله بن سليمان لما تقلد وزارة المعتضد كتب اليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول

ايا دهر با اسعافنا في نفوسنا * واسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم اتمها * ودع امرنا ان المهم المقدم

فقال عبيد الله ما احسن ما شكى امره بين اضعاف مدحه وقضى حاجته ويروى ان اعرابيا قدم على علي بن ابي طالب فقال يا امير المؤمنين لي اليك حاجة الحياء يمنعني ان اذكرها لك فقال يا اعرابي خطها في الارض فخطها فيها اني فقير فقال علي لغلامه قنبر يا قنبر اكسه حلتي فكساه الحلة فانشأ الاعرابي يقول

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَى مَحَاسِنُهَا * فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلَا
إِنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَائِي نِلْتَ مَكْرُمَةً * وَلَسْتَ تَبْغِي بِمَا قَدْ نِلْتَهُ بَدَلَا
إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبِهِ * كَالْغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا
لَا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي عُرْفٍ بَذَلْتَ بِهِ * كُلُّ امْرِءٍ سَوْفَ يُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَا

فقال علي يا قنبر زده مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابي قال له قنبر يا امير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت به من شأنهم قال مه يا قنبر لا تفعل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا من اثنى عليكم واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه * ويقال الملائكة تنزل من السماء فيطوفون على الابواب لينظروا كيف صنع الناس فيما اعطاهم الله واكثر ما ياتونهم بعد صلاة المغرب ولذلك قيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ردوا السائل بوقار ولين

وحسن كلمة او بر د جميل فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جان لينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله و في الحديث ردوا السائل ولو بمثل راس طائر وفي الحديث لولا ان السائلون يكذبون ما افلح من ردهم وفي الاثار ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعنقود عنب فساله مسكين فاعطاه اياه فانصرف ذلك المسكين ليبيعه فادركه الرجل فاشتراه منه فاعطاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية فساله ذلك المسكين فاعطاه له ففعل ذلك ثلاث مرات فقال له عليه السلام يا هذا اردت ان تكون تاجرا فانزل الله تعالى واما السائل فلا تنهر وفي بعض الكتب ان ابليس اللعين قال لموسى عليه السلام اوصيك بثلاث لا ترد سائلا ولا تخل بامراة لا تحل لك ولا تقبل امانة فانصرف اللعين وهو يضرب وجهه ويقول اخبرته بهن يحذر الناس منهن * فالواجب على من وقف عليه السائل ان لا يخيبه ان قدر على ذلك اي سائل كان لقوله عليه السلام اعط السائل وان جاء على فرس ولا سيما سائل المسجد لانه ضيف الله اوى الى بيت الله وذكر في بعض الكتب ان رجلا سال اهل المسجد بليل ليطعموه فتفرقوا عنه فلم يشتغلوا به فلما اصبحوا وجدوه ميتا فاخذوا في جهازه فدفنوه فرجعوا الى المسجد فوجدوا الكفن في المحراب مكتوب فيه كفنكم مردود عليكم والرب ساخط عليكم والله أعلم واحكم * * * * * * * *

* (فصل في التحذير عن مخالطة الناس والحث على العزلة) *

قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن خليله عليه السلام فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب الآية وقال مخبرا عن اصحاب الكهف واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف الآية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعجب الناس الى منزلة رجل يؤمن بالله ورسله ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعمر ماله ويحفظ دينه ويعتزل الناس وعنه عليه السلام انه قال المجالس ثلاثة فاجلها واشرفها مجلس بين المسلمين وبين عدوهم والثاني في بيت من بيوت الله يذكرون الله تعالى والثالث بيت الرجل حيث لا يرى ولا يرى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال قال لى عليه السلام يا عبد الله بن عمرو كيف اذا بقيت في حثالة من الناس وقد مرجت عهودهم واماناتهم وكانوا هكذا وشبك عليه السلام اصابعه قلت يا رسول الله ما تأمرني به قال آمرك ان تتقى الله وان تأخذ بما تعرف وتدع ما تنكر وعليك بخويصة نفسك واياك والعامة وروى عن ابى الدرداء انه قال احذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا دبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا حرفوه وفي خبر آخر عنه عليه السلام في حديث عبد الله قال ذلك ايام الهرج فقيل وما ايام الهرج قال

حين لا يأمن الرجل جليسه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال للحارث بن عميرانه ان يدفع عن عمرك فسياتى عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلاة وقبلت الرشا ويباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجاء ويحك ثم النجاء وعن سفيان الثورى انه كان يقول ما رايت للانسان خيرا من ان يدخل فى جحره وكان يقول هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وكان يقول انكر المعرفه عند من يعرفك ولا تتعرف الى من لا يعرفك وروى عن الحسن بن حى انه فقد شابا كان يجالسه فخرج الى منزله فضرب عليه الباب فخرج اليه الشاب فقال له الحسن مالى لم ارك فقال انما هذه دار ليست بدار لقاء وانما هى دار عمل واللقاء هنالك ثم انصرف فما رآه الحسن بعد ذلك حتى مات * ويُنشد *

دَعُوهُ لاتَلُومُوهُ دَعُوهُ * فَقَدْ عَلِمَ الَّذِى لَمْ تَعْلَمُوهُ
وَاَعْلَمُ بِالْهُدَى فَسَمَى الَيْهِ * وَطَالَبَ مَطْلَبًا لَمْ تَطْلُبُوهُ *
اَجَابَ دُعَاءَهُ لَمَّا دَعَاهُ * وَقَامَ بِحَقِّهِ وَاَضَعْتُمُوهُ
بِنَفْسِى ذَاكَ مِنْ فَطِنٍ لَبِيبٍ * تَشَدَّدَ وَتَوَقَّى مَطْعَمًا لَمْ تَطْعَمُوهُ

وعن وهيب بن الورد انه قال كانوا يقولون العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في اعتزال الناس قال وهيب ولقد عالجت الصمت ولم اجد نفسي تقبل منه على ما احب فرايت ان ايسر هذه الاجزاء عاشرها والزمته وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في العزلة راحة من خلطاء السوء وروي عن الحسن البصري انه كان ربما جلس في بيته واعتزل الناس اياما وان رجلا من اصحابه دخل عليه يوما فقال له يا ابا سعيد اما استوحشت في وحدتك فقال يا ابن اخي لا يستوحش مع الله الا احمق * وينشد *

* وَوَحْدَةُ الْمَرْءِ بِلَا أَنِيسٍ *
* خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ الْجَلِيسِ *

وقال بعض العلماء اذا اراد الله ان ينقل العبد من ذل المعصية الى عز الطاعة انسه بالوحدة واغناه بالقنوع وبصره عيب نفسه فمن اعطي ذلك فقد اعطي خير الدنيا والاخرة ويقال مكتوب في الانجيل من اعتزل الناس نجا وروي عن ذي النون المصري انه قال وصف لي عابد في الجبل فدخلت فيه اطلبه لاعرف مكانه الذي ياوي اليه فبينما انا في بعض الذيل اذ سمعت صوتا ينادي يا من بيده ملكوت كل شيء يا من هو بالنفوس عليم قد طال شوقي الى لقائك فاتبعت الصوت فاذا انا به في وسط شجر ملتف فاسما بصره فزع مني فقال لي يا هذا من انت فقد افزعتني فقلت من هرب الى الله لا يفزعه

ادمى فقال لم افزع منك لانك ادمى ولكن كل من جهز جهازا خاف على جهازه قلت وما جهزت فتخاف عليه قال جهزت بدنى اطلب به ربحا من سيدى وكان تخوفى من فتنك قال وقلت وما رايت من فتنى قال لان بنى ادم لصوص القلوب الا من عصمه الله قلت انما اتيتك استهديك الطريق قال بالعقل تدرك ما تريد قلت وما العقل قال الصدق والحلم والمبادرة وروى عن عروة بن الزبير انه خرج من المدينة ونزل العقيق فقالوا له فى ذلك فقال لهم فررت منكم قالوا ولم قال رايت مساجدكم لاغية واسواقكم لاهية والفواحش فى حواشيكم بادية فتخوفت ان ينزل بلاد بكم فيصيبنى معكم وروى عن ابراهيم بن عبد الله انه قال قيل للحسن البصرى يا ابا سعيد ها هنا رجل لم نره قط الا جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رايتموه فاخبرونى به فنظر اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الذى اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن فقال يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما منعك من مخالطة الناس فقال امر شغلنى عن الناس قال فما يمنعك ان تاتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس اليه قال امر شغلنى عن الناس وعن الحسن قال له الحسن وما ذلك الشغل يرحمك الله قال انى اصبح وامسى بين ذنب ونعمة فرايت ان اشغل نفسى عن الناس بالاستغفار من الذنب واشكر الله على النعمة قال له الحسن يا عبد الله انت عندى افقه من الحسن فالزم ما انت

فيه * وينشد في العزلة

اذا ما كنت في زمن عبوس * وفي ناس من البشر الخسيس
لزمت البيت مصطبرا كأني * اخو قبر دفنت بلا انيس

وينبغي لمن طلب السلامة ان يعتزل الناس وينفرد عنهم وذلك لامرين احدهما انهم يشغلونه عن عبادة ربه عز وجل بل يمنعونه منها بل يوقعونه في الشر والهلاك على ماروى عن حاتم الاصم انه قال طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجدها طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها اذا فمنعوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم ففعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصتي وقد ذكر عن سفيان الثوري انه كان يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان ففي كتاب الغزالي قال ولئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وافترضت وفي مثل زماننا هذا يقول

* الشاعر *

هَـذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَاذِرُهُ * فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودِ *
قِدْمًا نُحَدِّثُ مِنْ اَنْكَادِهِ عَجَبًا * حَتَّى وَقَفْنَا عَلَى تِلْكَ الْمَوَاعِيدِ *
دَهْرٌ بِهِ الْخَيْرُ مَفْقُودٌ بِاَجْمَعِهِ * وَالشَّرُّ وَالْجَوْرُ فِيهِ غَيْرُ مَفْقُودِ *

انْ دَامَ هَـزٌ اوْلَمْ يَحْدُثْ لَهُ غِيَرٌ * * *
لَمْ نَبْكِ مَيْتاً وَلَمْ نَفْرَحْ بِمَوْلُـودِ * * * *

والامر الثانى الذى يطلب من اجله التفرد من الناس ان الناس يفسدون عليك ما يحصل من العبادة ان لم يعصمك الله تعالى بسبب ما يعرض من قبلهم من دواعى الرياء والتزيين ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال رؤية الناس بساط الرياء وهؤلاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقات والتزاور ولقد ذكر عن هرم بن حيان انه قال لاويس القرنى رضى الله عنه يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء قال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منها بدعاء على ظهر الغيب وعن داود الطائى انه قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر من الناس فرارك من الاسد ولقد حكى عن بعض العلماء انه جلس مع بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعوا فى آخر حديثهما فقال العالم للعارف ما اظن انى جلست مجلسا انا ارجا له من مجلسى هذا فقال له العارف لكنى انا ما جلست مجلسا اخوف منه من مجلسى هذا الست تعمد الى احسن حديثك وعلومك فتنشرها وتظهرها بين يدى وانا كذلك فقد وقع الرياء قال فبكى العالم حتى غشى عليه وكان بعد ذلك يتمثل بهذين البيتين * * * * * * * *

يَا وَيْلَتِي مِنْ مَوْقِفٍ مَا بِهِ * * * * *
أَخْوَفُ مِنْ انْ يَعْدِلَ الحَاكِمُ * * * *

يَارَبِّ عَفْوًا مِنْكَ عَنْ مُذْنِبٍ * * * *
أَسْرَفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمُ * * * * *

فهذه حال اهل الزهد والرياضة فى ملاقاتهم فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشره والجهالة واعلم ان الزمان قد اصبح فى فساد عظيم واصبح اهله فى ضرر كبير وضلال جسيم فاحترز منهم جهدك فانهم يشغلونك عن طاعة الله حتى لايكاد يحصل لك منها شئ ثم يفسدون عليك ما حصل حتى لايكاد يسلم لك منها شئ فلزمتك العزلة عنهم والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان واهله وقد ورد فى الحديث يأتى على الناس زمان يكون الناس فيه ذئابا فمن كان ذيبا اكل مع الذئاب ومن لم يكن ذيبا اكلته الذئاب وفى الحديث ايضا عنه عليه السلام انه قال يأتى على الناس زمان لايسلم فيه لذى دين دينه الامن يفر بدينه من قرية الى قرية ومن حجر الى حجر يفر ويروغ كما يروغ الثعلب قيل يارسول الله متى ذلك الزمان قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعصية الله عز وجل فاذا كان ذلك الزمان فقد حلت فيه العزبة والعزلة والغربة قيل وكيف وقد امرتنا بالتزوج قال اذا كان ذلك الزمان يكون فيه هلاك الرجل على يد ابويه فان لم يكونا فعلى يد قرابته فان لم تكن فعلى يد زوجته قيل فكيف ذلك قال يعيرونه بضيق ذات اليد فيتكلف من الامور ما لايطيقه فيورده ذلك موارد الهلاك وفى الحديث ايضا يأتى على الناس زمان يخرج الرجل من بيته

ومعه دينه ويرجع وليس معه شيئ والله اعلم فان قيل
ماحكم العزلة والحد الذى يجب منها قيل له قد ذكر فى اثر
بعض العلماء انه قال ـــــ الناس فى ذلك رجلان
رجل لاحاجة بالخلق اليه فى علم وبيان حكم فالاولى لهذا
الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم الا فى جمعة اوجماعة
اوعيد اوحج اوزيارة اواقامة حق ميت اومجلس علم
بالسنة اوحاجة فى معيشة لابد له من ذلك والا فيوارى
شخصه ويلزم بيته لايعرف ولا يعرف واما ان احب
هذا الرجل ان ينقطع عن الناس ولايخالطهم فى امر من الامور
البتة من دين ودنيا وجماعة وجمعة وغيرها لما يرى فى ذلك
من مصلحته فانه لايسعه ذلك الا باحد امرين اما ان
يصير الى موضع لاتلزمه هناك هذه الفروض كرؤس الجبال
وبطون الاودية ونحوها ولعل هذا احد الوجوه التى دلت
العباد على تلك المواضع البعيدة عن الناس * والامر
الثانى * ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذى يلحقه فى مخالطة
الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فحينئذ
ربما يكون له ذلك عذرا قال ـــــ ولقد رايت انا
بمكة حرسها الله بعض الشيوخ المتفردين من اهل العلم
وهو لا يحضر الجماعة فى المسجد الحرام مع قربه منه وسلامة حاله
فحاورته فى ذلك فذكر من عذره ما اشرنا اليه وهو
ان ما يجده من الثواب لايفى بما يلحقه من الاثام والتباعات
فى الخروج الى المسجد ولقاء الناس قال ـــــ وجملة الامر
فلا عتب على المعذور والله تعالى اولى بالعذر وهو عليم بذات

الصدور ولكن الطريق العدل هو الاول بان يشارك الناس
في الجمعة والجماعة وصنوف الخيرات ويباينهم فيما سوى
ذلك فان احب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس
بمرة فسبيله الخروج الى مواضع لا تتوجه اليه هذه الفروض
هنالك لان كونه مع الناس في مصر واحد لا يحضر جمعة
ولا جماعة لعذر يراه في ذلك من وزر اوتباعة فانه يحتاج
الى نظر دقيق وعلم غامض حتى لا يسقط عنه ذلك فيه خطر
من الغلط والاولان اسلم واحفظ والله ولي الهداية بمنه
واما الرجل الثاني فرجل يكون قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس
اليه في امر دينهم لبيان حق اورد على مبتدع اودعوة الى
خير بفعل اوقول اونحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال
عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا لخلق الله تعالى
دابا على دين الله مبينا لاحكام الله وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ظهرت البدع في امتي
فعلى العالم ان ينشر علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين وقد قال الله تعالى الذين
يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الى قوله ويلعنهم
اللاعنون هذا اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز
له ايضا وذكر ان بعض العلماء قصد ان ينفرد عن الخلق
لعبادة الله تعالى فبينما هو في الجبال اذ سمع صوتا ينادي
يا فلان اذ صرت من حجج الله على خلقه تركت عبادة الله
فرجع فكان هذا سبب صحبته الخلق قال واعلم ان
مثل هذا الرجل المحتاج اليه في باب الدين يحتاج في صحبة

الخلق الى امرين شديدين احدهما صبر طويل وحلم عظيم
ونظر لطيف واستعاذة دائمة والثانى ان يكون فى هذا
المعنى منفردا عنهم وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم
وان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه
واعرضوا استغنم ذلك منهم وان كانوا فى حق وفى خير
ساعدهم وان صاروا الى لغو وشر خالفهم وهاجرهم بل
ردعليهم وزجرهم ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم
من الزيارة والعيادات وقضاء الحاجات التى ترفع اليه
ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافات ولا يرجو ذلك منهم
ولا يريهم من نفسه استيحاشا لذلك ويباسطهم بالقول
ان قدر وينقبض عنهم فى الاخذ ان اعطى ويتحمل منهم
الاذى ويظهر لهم البشر ويتجمل بظاهره لهم ويكتم حاجته
عنهم ويقاسيها فى سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك ان
ينظر لنفسه خاصة ويجعل لها حظا من العبادات الخالصة
كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان نمت الليل لاضيعن
نفسى وان نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لى
بالنوم مع هاتين قالــــ وفى مثل هذا المعنى عرضت
لى ابيات من الشعر وهى

فَإِنْ كُنْتَ فِي هَدْيِ الأَئِمَّةِ رَاغِبًا * فَوَطِّنْ عَلَى أَنْ تَرْتَبِكَ الْوَقَائِعُ
بِنَفْسٍ وَقُورٍ عِنْدَ كُلِّ كَرِيهَةٍ * وَقَلْبٍ صَبُورٍ وَهُوَ فِي الصَّدْرِ مَانِعُ
لِسَانُكَ مَخْزُومٌ وَطَرْفُكَ مُلْجَمٌ * وَسِرُّكَ مَكْتُومٌ لَدَى الرَّبِّ ذَائِعُ

وَذِكْرُكَ مَعْمُورٌ وَبَابُكَ مُغْلَقٌ * وَثَغْرُكَ بَسَّامٌ وَبَطْنُكَ جَائِعُ
وَقَلْبُكَ مَجْرُوحٌ وَسُوقُكَ كَاسِدٌ * وَفَضْلُكَ مَدْفُونٌ وَطَعْنُكَ شَائِعُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ جَارِعُ غُصَّةٍ * مِنَ الدَّهْرِ وَالاخوان وَالقَلْبُ طَائِعُ
فَدُونَكَ هَذَا الْعِلْمَ خُذْهُ ذَرِيعَةً * لِيَوْمٍ عَبُوسٍ عَزَّ فِيهِ الذَّرَائِعُ

نعم فالنفس معهم والقلب ما ابعده عنهم وذلك لعمرى امر شديد وعيش نكيد وفيه يقول بعض العلماء في وصيته يا بني عش مع اهل زمانك ولا تقتد بهم ثم قال ما اشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال خالط الناس وزائلهم ودينك لا تكلمنه وقال ايضا كن كابن لبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب فهذه نكتة مقنعة قال ثم اقول اذا هاج الفتن بعضها في بعض وتراجع الامر فتولى الناس عن امر الدين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يعنيهم امر دينهم البتة وترى الفتنة تعم الناس وتدب بين الخاصة فللعالم العزلة وله العذر فيها ويتفرد عن الناس بدينه ويدفن العلم ويعبد الله بكتمان علمه واخاف ان يكون هذا الذى ذكرناه هو حال زماننا النكد الصعب الذى عمت فيه الفتنة واطبق الكتمان وعظم البلاء ومات الدين وتنكرت الدنيا والله المستعان وعليه التكلان * * (واما الجاهل لامر دينه) * * فعليه بملازمة احد رجلين عالم يرشده الى طريق الاخرة وخدن ينتفع به فيما لا بد له من امر دنياه وما سوى هذين فليعتزله وان قيض له رجلا جامعا له ما يحتاج اليه من امر

دينه ودنياه فليستمسك به ويدع ما سواه والله اعلم * وأما مدارس علماء الآخرة اهل الاجتهاد في العلم والعبادة المتعاونين على البر والتقوى فهم اجل اخوان في الله واعوان على طاعة الله فلا تشغل الانسان عنهم عزلة لانهم * جمعوا فائدتين احداهما العزلة عن العوام ومخالطته امورهم والثانية اكتساب الثواب الجزيل في مشاركتهم في الجمعة والجماعة ومجالس الذكر وتكثير شعار الاسلام مع ما للناس فيهم من الهداية والبركات والنصيحة فصار الكون معهم اعدل طريقين واحسن حالا وهذا اذا كانت المدارس ثابتة على رسم المتقين وسير السلف الصالحين وأما * الان فقد تغيرت الامور وعظمت البلية واندرس الدين * والسير الموروثة عن المشايخ بالكلية فلا سلامة يجدها * الانسان الا من رزقه الله العلم والتوفيق فيلزم بيته * ويكف لسانه ويشارك الناس في اصناف الخيرات من المجالس والجماعات ويجانبهم في سائر احوالهم وامورهم * وما هم فيه من الافات ان وجد الى ذلك سبيلا والا فيلزم العزلة والغربة والله المستعان وعليه التكلان وأما * الذي يهون عليك العزلة فثلاثة امور احدها استغراق اوقاتك في العبادة وقد قال عليه السلام ان في العبادة لشغلا واعلم ان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس فاذا اعطيت العبادة حقها وجدت حلاوة المناجات * فاستأنست بكتاب الله فحينئذ تستوحش من الخلق و * تشتغل عن صحبتهم وكلامهم * الثاني قطع الطمع عنهم

بمرة واحدة فيهون عليك امرهم لان من ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء والثالث تذكر ما في مخالطتهم من الآفات وتكرر ذلك على قلبك فان هذه الامور الثلاثة اذا لزمتها طردتك عن صحبة الخلق الى باب الله تعالى والتفرد لعبادته والله ولي التوفيق والعصمة

(القنطرة العاشرة قنطرة الشيطان)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وسلم

فاعلم يا اخي ارشدنا الله واياك لطاعته ان الشيطان للانسان عدو مضل مبين * قد تجرد لمعاداتنا في كل وقت وحين * فيلزمنا ان نستعيذ بالله ذي القوة المتين * ان يعيذنا من مكايد هذا الكلب اللعين * وقد حكي عن مجاهد انه قال ان لابليس خمسة امراء من اولاده عقد لكل واحد منهم على شيء من امره ثم سماهم * ثبورا * والاعور * ومسوطا * وداسما * وزلنبورا * قال فاما ثبور * فصاحب المصيبات الذي يامر بالثبور * وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية * والاعور * صاحب الزنا الذي يزينه للناس ويامر به * ومسوط * صاحب الكذب الذي يشيعه يلقى الرجل فيخبره الخبر فيذهب ذلك الرجل فيقول لقد رايت رجلا ما اعرف وجهه ولا اسمه اخبرني كذا وكذا وما

هو الامسوط * وداسم * وهو الذى يدخل مع الرجل الى اهله فيغضبه عليهم * وزنبور * صاحب السوق الذى يركز رايته ولواءه فى السوق فاذا كان اللعين قد اجتهد كل الاجتهاد فى اهلاكك فليس لك منه ملجأ ولا منجا الا التضرع والاستعاذة منه بخالقك وقد امر اكرم الخلق عليه السلام بذلك فقال قل رب اعوذ بك من همزات الشياطين فالواجب على العبد التشمر لمحاربته لانه عدو لا مطمع فيه فى مصالحته بل لا يقنعه الا اهلاك الانسان وقد قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وقد ذكر فى بعض الكتب عن ابليس اللعين انه قال فضلنا على الناس بثلاث نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى * ويعود كهلنا فتى * وقد ذكر فى كتاب النقاش ان بعض العلماء قال ان الشياطين يتوالدون ولا يموتون واما غيرهم من الجن فانهم يتوالدون ويموتون والله اعلم وقال تعالى لنبيه عليه السلام مع عصمته قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ الى قوله يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ وذكر بعض العلماء انه قال ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم واحسب ان بعضهم قال راسه كراس الحية فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا غفل وسوس وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشيطان يجرى من بنى آدم مجرى الدم من اللحم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وذكر بعض العلماء ان الله تعالى جعل قلب بن

ءادم مثل الزجاجة فلا يعمل شيئا من الشر الا رمى له ملك موكل عليه نهيا من الله تعالى وزجرا ينكر ذلك عليه ويلقى الامر بالطاعة اليه فذلك منه نور يتلالأ وذلك فجورها وتقواها قال ويلقى اليه الملك الخير فيور و يتلالا فيستدل ابليس انه الامر من الله تعالى بالخير والطاعة فيلقى اليه الوسوسة بالمعصية فذلك قوله تعالى الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة يعنى من ذرية ابليس الذين هم الجن وابوهم الجان وهو ابليس اللعين وذكر بعض العلماء ان الشياطين توسوس الى الجن من غير الشياطين كما توسوس الى الناس والله اعلم وذكر ان بعض الصحابة قالوا يا رسول الله يتعرض لقلوبنا اشياء لان يقع احد من السماء الى الارض فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق احب اليه من ان يتكلم به قال عليه السلام اوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان قال الغزالى هذا يحمل على الكراهية الصارفة للوسوسة لان الوسوسة صريح الايمان والله اعلم ويروى ان يحيى بن زكرياء عليهما السلام سال ابليس عن احوال بنى ءادم عندهم فقال هم ثلاثة اصناف صنف معصوم منا وهم امثالك وصنف كالكرة في ايدى الصبيان وصنف ثالث هم اشد علينا يعنى اهل الوقوع في الخطايا المستغفرين منها يجتهد فيهم حتى يوقعهم في المعاصى فيستغفرون منها ثم يوقعهم ثانية ثم يفزعون الى التوبة فيفسد ون عليه اجتهاده فيهم والله اعلم * * * * * * * * *

فصل

فصـــل

اعلم ان الشيطان منصوب لمحاربتك مستعد العداوتك فهو اثناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه ولا يرضى حتى يهلك الانسان راسا وهذا حاله مع عوام الناس اهل الرغبة والبطالة فكيف بمن يجود لطاعة الله ودعوة الخلق الى عبادة الله فله اذا مع سائر الناس عداوة عامة ومع اهل الاجتهاد عداوة خاصة وان امرهم له اهم ومعه عليهم اعوان اشدها على الانسان نفسه وهواه وله اسباب ومداخل وهو عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال الشيطان فارغ وانت مشغول والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه وهو لا ينساك فاذا لابد من محاربته وقهره وقد حذر الله منه جميع الناس فقال يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ولم يسلما منه في الجنة دار الامن والسرور بعد ان نبههما على عداوة الشيطان فقال يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك مع انه لم ينههما الا عن شجرة واحدة واطلق لهما ما وراء ذلك فاذا لم يأمن نبي من الانبياء وهو في الجنة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن البلاء والشهوات المنهي عنها وقد قال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان وقال لنبيه عليه السلام وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية * * * * *

فصل في مجاهدة الشيطان

فان قال قائل اراك قد عظمت مكر الشيطان ومكائده فكيف الطريق الى مجاهدته فاعلم ان الناس قد اختلفوا في ذلك فقال بعضهم ينبغي للانسان ان يشتغل بعبادة الله تعالى ولا يلتفت الى الشيطان بل يجعل بدل التحرز منه طاعة الله تعالى وقال ءاخرون التحرز من الشيطان واخذ الحذر منه مقام التوكل على الله عز وجل والاعتماد عليه اذ لا قدرة للشيطان على اضلال ولا اغواء الا بمشيئة الرحمن وهاتان الطائفتان غالطتان مخالفتان لنصوص القرءان واتفاق اهل الاسلام على وجوب التحرز من الكفار واعداد ما استطاعوا لهم من قوة وكراع وسلاح وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فكيف يكون امر الله شغلا او توكلا على غيره وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين مكة وعلى راسه المغفرة وظاهر يوم احد بين درعين فاذا امرنا بعدو يرانا ونراه فكيف بعدو يرانا ولا نراه ويجري منا مجرى الدم وقد امر الله تعالى رسوله عليه السلام بالاستعاذة من جميع الشياطين بقوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون اى في شيء من احوالي كلها والتحرز من الشياطين اولى من التحرز من الكافرين لان الشيطان اذا انكبك بشيء من مكره كنت من العاصين الخاسرين والكفار اذا انكبوك بشيء من مكرهم

كان ذلك مكفر السيأتك فالصواب اخذ الحذر منه كما امر
رب العالمين هكذا ذكر في مختصر كتاب الرعاية وقال بعضهم التدبير
في دفع الشيطان الاستعاذة بالله منه لا غير فان الشيطان
كلب سلطه الله عليك فان اشتغلت بمحاربته وتعبت وضاع
عليك وقتك وربما يظفر بك فيعقرك فان الرجوع الى رب الكلب
ليصرفه عنك اولى وقال اخرون الطريق المجاهدة والقيام عليه
بالدفع والرد والمخالفة والصواب في ذلك ان تجمع بين الطريقين
وهو ان يستعيذ بالله تعالى اولا من شره كما امرنا وهو تعالى الكافي
من شره ثم انه اذا نازعنا وغلب علينا علمنا ان ذلك ابتلاء من
الله ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا في امر الله تعالى وصبرنا كما انه
يسلط علينا الكفار مع قدرته ان يكفينا امرهم وشرهم ليكون
لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة قال الله تعالى
ولو شاء الله لانتصر منهم الاية وقال تعالى ولنبلونكم حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين الآية فكذلك الشياطين.
وهذا التسليط تسليط تخلية لا تسليط امر وقهر كما قال انا
ارسلنا الشياطين على الكافرين اراد ارسال تخلية اى خلا
بينهم وبين الكافرين والله اعلم واختلف القائلون بمجاهدة
الشيطان في كيفية مجاهدته والتحرز منه فقالت طائفة منهم
ينبغي ان يؤخذ الحذر منه في اغلب الاحوال توقيا لخطرة
تخطرها وقال اخرون يؤخذ الحذر منه عند كل طاعة تعرض
مخافة ان يدخل فيها ما يفسدها وقال بعض العلماء مجاهدته
في ثلاثة اشياء احدها ان يعلم الانسان مكائده وحيله
فلا يجالس على الانسان حينئذ كاللص اذا علم ان صاحب

الدار قد احس به فر وهرب الثاني ان يستخف دعوته
فلا يعلق قلبه به ويتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان
اقبلت عليه ولع بك ولج وان اعرضت عليه سكت الثالث
ان تديم ذكر الله تعالى بلسانك وقلبك وقد روى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ذكر الله في جنب
الشيطان كالاكلة في جنب ابن ادم فان قال قائل كيف
تعلم مكائده وكيف الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان له
وساوس بمنزلة السهام التي ترميها وذلك انما يتبين بمعرفة
الخواطر واقسامها وله ايضا حيل بمنزلة الشبكات التي
تنصبها وذلك يتبين بمعرفة المكائد واوضاعها ومجاريها
فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل بقلب ابن آدم
ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الهام وقرن به
ايضا شيطانا في مقابلة الملك يدعوا الى الشر يقال له
الموسوس ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعوا الا الى الخير
والموسوس لا يدعوا الا الى الشر في قول اكثر العلماء وقد
حكى عن بعضهم ان الشيطان ربما يدعوا الى الخير وقصده
في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول من الخير ليحرمه درجة
الفاضل ويدعوه الى الخير ليجرده بذلك الى ذنب عظيم لا يوفي
خيره بذلك الشر من عجب او غيره فهذان داعيان قائمان
على قلبه يدعوانه وهو يسمع قلبه نحس بذلك على ما روى
في الاخبار انه اذا ولد لابن ادم مولود قرن الله سبحانه
به ملكا وقرن الشيطان به شيطانا فالشيطان جاثم على
اذن قلب ابن ادم اليسرى والملك جاثم على اذن قلبه

اليمنى فهما يدعوانه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للشيطان لمة بابن آدم والملك لمة يعنى نزلة بالدعوة من قولهم لم بالمكان والمربه اذا نزل ثم ركب الله فى بنية الانسان طبيعة مائلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف ما كانت من حسن او قبيح فذلك هو النفس الصارفة الى الافات فهذه ثلاث دعاة ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هى آثار تحدث فى قلب العبد تبعثه على الافعال والترك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها مأخوذ من خطرات الريح ونحوها وحدوثها جميعا فى قلب العبد من الله بالحقيقة لكنها اربعة اقسام منها ما يحدث الله تعالى فى القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له الهوى وينسب اليه وقسم تحدثه عقب دعوة الملهم فينسب اليه فيقال له الهام وقسم يحدثه عقب دعوة الشيطان فينسب اليه ويقال له الوسوسة وتنسب اليه بانها خواطر من الشيطان وانما هى فى الحقيقة حادثة عن دعوته فهو كالسبب فى ذلك ولكنه ينسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذى من قبل الله ابتداء قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون بشر امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذى يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذى يكون من قبل الشيطان لا يكون الا بشر اغواء واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا واستدراجا والذى يكون من قبل النفس يكون بالشر وبما لا خير فيه تمتعا وتعسفا ولقد روى عن بعض السلف

ايضا ان هوى النفس قد يدعو الى الخير والمقصود منه شرك
الشيطان فهذه انواعها ثم بعد هذه انك محتاج الى معرفة
ثلاثة فصول لا بد لك منها البتة وفيها المقصود احدها الفرق
بين خاطر الخير وخاطر الشر في الجملة والثاني الفرق بين
خاطر شر ابتدائي او شيطاني او هوائي به اذ التفرق بينهما فان
لكل واحد منهما دفعا من نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر
خير ابتدائي والهامي او شيطاني ليتبع ما يكون من الله تعالى
او من الملهم ويجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك الهوائي
على قول من يقول به * * * *

اما الفصل الاول

فقد قالت العلماء اذا اردت ان تعلم خاطر الخير من خاطر الشر *
وفرق ما بينهما فزنه باحد الموازين الاربعة يبين لك حاله
فالاول ان تعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان
وافق جنسه فهو خير وان كان بالضد بشبهة او رخصة فهو
شر فان لم يبين لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان
فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان بالضد اتباعا للطالحين
فهو شر فان لم يستبين لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس
والهوى وانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية
وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع
وجبلة لا ميل رجاء الى الله تعالى وترغيب فهو شر اذ النفس امارة
بالسوء لا تميل باصلها الى خير فباحد هذه الموازين اذا امعنت
النظر يستبين لك خاطر الخير من خاطر الشر والله تعالى

ولى الهداية بفضله انه جواد كريم

واما الفصل الثانى

اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان وبين خاطر شر يكون من هوى النفس او من الله تعالى ابتداء فانظر فيه من ثلاثة اوجه * (احدها) * * ان وجدته مصمما راتبا على حالة واحدة فهو من الله تعالى او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان قال وكان بعض العارفين يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بمقمع بالغ وقهر ظاهر ومثل الشيطان مثل الذئب اذا طردته من جانب دخل من جانب * * (وثانيها) * * * ان وجدته عقب ذنب احدثته فهو من الله تعالى اهانة وعقوبة لشوم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال بعض العلماء هكذا تؤدى الذنوب الى قسوة القلب اولها خاطر ثم تؤدى الى القسوة والرين وان كان هذا الخاطر مبتدء الا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هذا فى الاكثر لانه يبتدى بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل حال * * * والثالث * ان وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله تعالى ولا يزول فهو من الهوى فان وجدته يضعف ويقل بذكر الله تعالى فهو من الشيطان كما ذكر فى تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس انه الشيطان جاثم على قلب ابن ءادم اذا ذكر الله تعالى

خنس واذا غفل وسوس

واما الفصل الثالث

اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى
او من الملك فانظر في ذلك من ثلاثة اوجه فان كان قويا
مصمما فهو من الله تعالى وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة
الناصح يدخل معك في كل وجه ويعرض عليك كل نصح رجاء
اجابتك ورغبتك في الخير والثاني ان كان ذلك عقب اجتهاد
منك وطاعة فهو من الله تعالى قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا
زادهم هدى وان كان مبتدا فهو من الملك في الاغلب والثالث
ان كان من الاعمال الباطنة فهو من الله تعالى وان كان من
الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك في الاكثر
اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول اكثرهم
واما خاطر الخير الذى يكون من قبل الشيطان استدراجا
الى شر يزيد على ذلك الخير فلقد قال بعض العلماء انظر
ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذى خطر بقلبك
مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن
لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من
الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك على ضد ذلك مع
خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع
امن ومع بصيرة وعلم بالعاقبة لا مع عمى وجهالة فاعلم انه
من الله تعالى او من الملك قال الغزالى قلت انا وكان

النشاط خفة في الانسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشطه فلا خير فيه وان كان بضد ذلك فهو خير واما الثاني فمحمود الا في مواضع معدودة ذكر في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العجلة من الشيطان الا في خمسة تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات واقراء الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنب واما الخوف فيحتمل ان يكون في تمامه وادائه على وجهه وحقه وقبول الله تعالى اياه واما بصارة العاقبة ان يبصر ويتيقن انه رشد وخير ويحتمل ان يكون لرؤية الثواب في العقبى ورجائه فاعلم ذلك موفقا فهذه الفصول الثلاثة التي لزمتك معرفتها في فصل الخواطر فارعها وامعن النظر فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة في هذا الباب والله الموفق للصواب بفضله

واما فصل الحيل والمخادعة من الشيطان

فمجرى ذلك ومثاله ان مكائد الشيطان مع ابن ءادم في الطاعة من سبعة اوجه احدها ان ينهاه عنها فان عصمه الله ورده بان يقال اني محتاج الى ذلك جدا انه لابد لي من التزود من هذه الدنيا الفانية الى الاخرة التي لا انقضاء لها ثم يامره بالتسويف فان عصمه الله ورده بان يقول اجلي ليس بيدي وعلي ان اسوف عمل اليوم الى غد فعمل غد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول له عجل عجل لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى ورده بان يقول له قليل العمل مع التمام خير من كثير مع النقصان ثم يامره باتمام العمل مراءاة للناس فان عصمه الله تعالى ورده بان يقول

ما اصنع بمراءة الناس افلا يكفيني رؤية الله تعالى ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول ما اعملك وما ايقظك فان عصمه الله ورده بان يقول المنة لله تعالى في ذلك دوني وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة بفضله ولولا فضله فما ذا كان قيمة هذا العمل في جنب نعمة الله تعالى علي وجنب معصيتي له ثم ياتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا يقف عليه الا متيقظ وهو ان يقول اجتهد انت في السر فان الله تعالى سيظهره عليك ويلبس كل عامل رداء عمله واراد بذلك ضربا من الرياء فان عصمه الله تعالى ورده بان يقول يا ملعون الى الان كنت تاتيني من وجه افساد عملي والان تاتيني من وجه اخلاصه لتفسده علي انما انا عبد الله تعالى وهو سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني حقيرا وذلك اليه ولا ابالي اظهر ذلك للناس او اخفاه عنهم فليس بايديهم شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة لك الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان كنت شقيا لم ينفعك عملك فان عصمه الله تعالى ورده بان يقول انما انا عبد وعلى العبد امتثال الامر لعبوديته والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ولانه ينفعني العمل كيف ما كنت لاني اذا كنت سعيدا احتجت الى العمل زيادة للثواب وان كنت شقيا فانا محتاج اليه كي لا الوم نفسي على ان الله تعالى لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا تضرني وعلى اني ان دخلت النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان والطاعة

لن يدخل النار البتة ودخل الجنة لانه يستحقها بعمله ولكن لوعد
الله الصادق ولهذا المعنى اخبر الله تعالى عن السعداء اذا قالوا
الحمد لله الذى صدقنا وعده فعلى العبد ان يحترز من الشيطان
والهوى كل الاحتراز وان يستعين على مجاهدته ورد خطراته بذكر
الله تعالى بالقلب واللسان ويكثر الاشتغال بالطاعة والقربات
وكثرة الذكر والاستغفار وتلاوة القرءان ولا تضره الوسوسة
بالمعصية مالم يعزم عليها وكذلك الغفلة عن الشيطان فى اكثر
الاوقات مالم يترك فرضا او يرتكب محرما بالقلب او باللسان
او بالجوارح الا ترى ان من اهتم بشيء ثم رقد ان اهتمامه
يوجب انتباهه لاجله واذا كان الاهتمام موجبا انتباه النائم
فايجابه لتذكر الغافل اولى فليأخذ العبد حذرا من شياطين الانس
والجن اجمعين وليستعن بالله على ذلك فهو نعم المستعان ونعم المعين
فتيقظ * يا اخى رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس
على ما ذكرنا سائر الافعال والاحوال واستعن بالله واستعذ
به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله
* * * العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد * * *
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا

تم

م

تم الجزء الثانى يتلوه الجزء الثالث واوله القنطرة الحادية عشرة قنطرة النفس

